الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية أصول الدين والشريعة
والحضارة الإسلامية
قسم العقيدة ومقارنة الأديان

رقم الترتيبي:...../...../2005

رقم التسجيل: .....

معرفة الآفاق وأثرها في تحقيق الاستخلاف

بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في العقيدة

إعداد الباحث:
كمال جحيش

إشراف الدكتور:
مولود سعادة

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
د مولود سعادة – المشرف	أستاذ محاضر	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

الفصل الأول : المعرفة في الإسلام أصلها و غايتها

تمهيد 2

المبحث الأول : مفهوم المعرفة 3

المطلب الأول : مفهوم المعرفة في اللغة 3

المطلب الثاني : مفهوم المعرفة في القرآن الكريم 3

المطلب الثالث: مفهوم المعرفة في السنة النبوية 5

المطلب الرابع : المفردات المفيدة لمعنى المعرفة 6

1- العلم. 6

أ- العلم في القرآن الكريم 6

ب- العلم في السنة النبوية 9

ج- الفرق بين المعرفة والعلم 10

د- تطور مفهوم العلم 13

2- الحكمة. 16

أ- الحكمة في القرآن الكريم 17

ب- الحكمة في السنة النبوية 20

المبحث الثاني : مصادر المعرفة: 22

المطلب الأول : الوحي 23

المطلب الثاني : الآفاق 26

المطلب الثالث : الفطرة البشرية 29

1- الفطرة هي الإسلام 29

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- الفطرة هي الخلقة 30
المبحث الثالث : وسائل المعرفة 35
المطلب الأول : الحس و العقل 35
المطلب الثاني : القلب 38
المبحث الرابع : الغاية من المعرفة 42
الفصل الثاني:الاستخلاف ومفهومه في القرآن الكريم والفكر الإسلامي 45
تمهيد
المبحث الأول : مفهوم الخلافة و الاستخلاف 47
المطلب الأول : مفهوم الخلافة في اللغة 47
المطلب الثاني : مفهوم الخلافة في القرآن الكريم 48
المطلب الثالث: مفهوم الخلافة في السنة النبوية 56
المطلب الرابع : الفرق بين الاستخلاف و الاستعمار 58
المطلب الخامس : الفرق بين الخلافة و الاستخلاف و الاستعمار 60
المبحث الثاني : الخلافة في الفكر الإسلامي 62
المطلب الأول : من هو الخليفة ؟ 62
1- الخليفة هو آدم عليه السلام. 62
2- الخليفة هو آدم عليه السلام وكل نبي. 63
3- الخليفة بنو آدم وذريتهم. 64
4- الخليفة هو آدم عليه السلام وذريته. 65
المطلب الثاني : المستخلف له. 66
1-الإنسان خليفة لأقوام سابقين من الجن أو من غيرهم. 66
2- الإنسان يخلف أفراده بعضهم بعضا
69

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3 - الإنسان خليفة عن الله 70

الفصل الثالث: أسس الاستخلاف 75

تمهيد

المبحث الأول : الأسس الإيمانية 76

المطلب الأول : التوحيد 76

المطلب الثاني : الإيمان بالأنبياء و الرسل 85

المطلب الثالث : الإيمان بالبعث 86

المطلب الرابع : الإيمان بالقضاء و القدر 92

المبحث الثاني : الأسس المادية 101

الفصل الرابع : الإنسان المستخلف 107

تمهيد 108

المبحث الأول : بداية وجود الإنسان 109

المطلب الأول : القرآن الكريم وبداية الوجود الإنساني 109

المطلب الثاني : القرآن الكريم و تكريم الإنسان. 115

1- خلق آدم بيده سبحانه وتعالى. 117

2- تخصيصه بعلم الأسماء. 118

- المسلمون والعلم 118

3- تحميله أمانة التكاليف. 120

4- تسخير الموجودات له. 122

المبحث الثاني : عناصر تكوين الإنسان 124

المطلب الأول : عنصر الجسد. 124

المطلب الثاني : عنصر النفس. 127

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: الغاية من خلق الإنسان 134
المبحث الرابع : العبادة و الخلافة 142
الفصل الخامس : الآفاق وصلتها بالاستخلاف 146
تمهيد
المبحث الأول : خصائص الآفاق في القرآن الكريم 148
المطلب الأول : الآفاق مخلوقة الله. 148
المطلب الثاني : النظام. 154
المطلب الثالث : الغائية. 157
المطلب الرابع : الجمال. 159
المطلب الخامس : التسخير. 161
المبحث الثاني : سننية الآفاق 162
المطلب الأول : مفهوم السنة. 162
المطلب الثاني : خصائص السنن 166
1 - الربانية 166
2 - الاطراد 168
3- الحياد 174
الفصل السادس : تسخير الآفاق وصلتها بالاستخلاف 178
تمهيد
المبحث الأول:مفهوم التسخير 180
المطلب الأول : مفهوم التسخير في اللغة 180
المطلب الثاني : مفهوم التسخير في القرآن الكريم 180
المطلب الثالث : المفردات المفيدة لمعنى التسخير في القرآن الكريم 182
1 - التذليل 182

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- التمهيد	183
3- التمكين	183
المبحث الثاني : ميادين التسخير	186
المطلب الأول: الأرض	186
1- ظاهر الأرض وباطنها.	187
2- البحار والمحيطات.	190
المطلب الثاني : فضاء السماوات	191
المبحث الثالث : مستويات التسخير	193
المطلب الأول : التسخير الابتدائي	193
المطلب الثاني : التسخير الكسبي	194
المبحث الرابع : ضوابط التسخير	200
المطلب الأول : الاعتدال وعدم الإسراف	201
المطلب الثاني : الشكر	206
الخـــــاتمة	212
فهرس المصادر والمراجع	216
فهرس الآيات القرآنية	227
فهرس الأحاديث النبوية	254
فهرس المصطلحات	256
فهرس الأعلام	259
فهرس المحتويات	263

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مُقَدِّمَة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلق الله أجمعين، سيدنا محمد وآله وصحبه وحملة هدايته وسلم تسليما كثيرا.

وبعد: فإن القرآن الكريم كتاب هداية أساسا، أنزله الله تعالى تبيانا لكل شيء، وحث على تدبره، واستخراج كنوزه، حتى تصلح دنيا المسلم وأخراه، والقرآن الكريم قسم كبير منه، فيه حديث عن الكون ومشاهده التي لا تحصى في السماء والأرض، وهذه المشاهد هي التي سماها القرآن الكريم في سورة فصلت بالآفاق[1].

ولم يكن استعراض القرآن الكريم لهذه المشاهد استعراضا مقصودا لذاته، كما لم يكن مقصورا على غرض واحد بذاته أيضا، وقد ظن كثير من المسلمين أن عناية القرآن الكريم بمشاهد الكون لا يتعدى القصد منها الدعوة والتذكير بها، وأن ما يقال خلاف هذا هو مما لا تتحمله دلالات الآيات القرآنية ولا تقتضيه عباراتها.

وهذا الظن وغيره ربما أوحى إلى كثير من المسلمين أيضا، أن عناية القرآن الكريم بآفاق الكون ليست أكثر من استمداد الأدلة على قضايا الإيمان منها وحسب.

والذي نزعمه ونعتقد أن القرآن الكريم يدعو إليه، هو النظر إلى آفاق الكون بقصد تحصيل المعرفة بها، ليس لاستمداد الأدلة وحسب، بل لتكون هذه المعرفة معينا على شيء آخر، وهو زيادة تسخير الموجودات المسخرة أصلا بما يفضي إلى استخلاف الإنسان في الأرض، وذلك لأن هذا الاستخلاف لا يحصل بمجرد استكمال شرائط القسم الأول، على اعتبار أن مقاصد القرآن الكريم كلها متكاملة فيما بينها ولا يمكن فصل أحدها عن غيره.

---

(1) هي قوله تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(53)﴾.

من هنا نعتقد أن القرآن الكريم في عرضه لمشاهد الكون يتضمن من بين ما يتضمنه جانبين هامين: جانب متصل بدعوته إلى تحصيل المعرفة بقصد ترقية الإيمان، وجانب متصل بدعوته إلى الأخذ بأسباب التمكين، وهذا بدوره لا يتحقق من دون المعرفة، وهاتان الغايتان لا تتعارضان ولا تنفصلان أيضا، وهذا التلاقي والارتباط بين هذين الأمرين يدل على وحدة الغايات والمقاصد التي يدعو إليها القرآن الكريم، ومع هذه الدعوة المتكررة، إلا أن واقع المسلمين يشهد على إحجامهم عن النظر في آفاق الكون واستثمارها في جانبي المعرفة والتسخير، وإن اقبلوا عليها أقبلوا باحتشام، فإذا كان المسلمون يسعون إلى الاستخلاف الذي وعدوا به في الآية الخامسة والخمسين من سورة النور[2]، فإن ذلك لا يتم إلا بأن يقفوا وقفة متأنية مع أنفسهم ويعيدوا تقدير آفاق الكون، وفق ما وجه إليه القرآن الكريم، ذلك لأنهم أقل الناس في عالم اليوم اهتماما بتحصيل العلم والمعرفة بها، وأقل الناس أيضا اهتماما بتسخيرها والمحافظة عليها أيضا وعدم السعي فيها بالفساد.

والدعوة إلى الاهتمام بهذا الجانب من العلوم والمعارف ليس يفهم منها أنها تدعو إلى مزاحمة العلوم الخاصة بالأمة، أو دحرجتها عن مكانتها كما قد يتوهم، بل إن هذه الدعوة تأتي داعمة لهذه العلوم، ممكنة لها ومثبتة لأركانها، ثم إن شمولية مفهوم العلم والمعرفة في الإسلام تنتظم هذه العلوم والمعارف في سلك واحد بمراتب متفاوتة، تجعل هذه التفرقة لا مبرر لها، ذلك أن المعرفة يمكن تصنيفها صنفين: معرفة تصديق ومعرفة تحقيق، والأولى مبنية على تصديق الخبر وموصلة إلى الإيمان، والثانية مبنية على التحقق التجريبي من صدق القضايا المتعلقة بعالم الشهادة، والأولى موجهة للثانية، كما الثانية داعمة للأولى ومؤيدة لها.

وأحسب أن هذه الجوانب لم تأخذ حظها من البحث والدرس، وأغلب ما كتب حول هذه القضية نحسب أنه لا يلبي الحاجة في ضرورة الربط بين مختلف جوانبها، فأغلب

---

(2) هي قوله عز وجل: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(55)﴾.

الدراسات هي حديث عن الخلافة دون ربطها بمحل الاستخلاف الذي هو الأرض و آفاق الكون عموما كما هو الحال بالنسبة لما كتبه فاروق أحمد دسوقي في كتابه: "الخلافة الإسلامية: حقيقتها وأصولها الاعتقادية وحتمية عودتها"[3]، و" استخلاف الإنسان في الأرض"[4] للمؤلف نفسه، وللمؤلف محاولة في الربط بين الخلافة والعلم بسطها في كتابه:"الإسلام والعلم التجريبي"[5]، لكنها تحتاج إلى مزيد من التأصيل والتفصيل.

ومن الدراسات ذات الصلة بهذا الموضوع أيضا " منهج الحضارة الإسلامية في القرآن الكريم "[6] لمحمد سعيد رمضان البوطي، حيث تحدث فيه عن الحضارة وعناصرها وبسط الحديث عن الإنسان وعن الكون وعن المعرفة، وقد كان هذا المؤلف فضل التوجيه فيما أقدمت عليه في قضايا كثيرة، غير أني رأيت أن هناك جوانب كثيرة تحتاج إلى بسط أكثر، كما تحتاج إلى إعادة تركيب، خاصة منها ما تعلق بالمعرفة في الإسلام وكذا المباحث المتعلقة بالإنسان، وبالآفاق وتسخيرها وغيرها.

من هنا جاء اهتمامي بهذه القضية، حيث رأيت أن أحاول طرح هذا الموضوع من زاوية أخري، تربط مسألة الخلافة بمحل الاستخلاف مع تبين أثر المعرفة المتعلقة بآفاق الكون بتحقيق هذا الاستخلاف، وقد رأيت صياغة هذه القضية في جملة من الأسئلة أحسبها تعبر عن هذه الاهتمامات أجملتها في :

ما المقصود بالآفاق؟ ما قيمتها المعرفية في البنية الإسلامية؟ وكيف يمكن أن تكون عنصرا محركا للفعل الاستخلافي الإنساني ضمن المنظور الإسلامي؟

والذي حملني على تناول هذا الموضوع سببان رئيسان؛ أما الأول فهو أنني أثناء بحثي في الموضوع الذي قدمته في الماجستير عن " محمد إقبال " لفت انتباهي هذا الأخير إلى عناية

---

(3)الخلافة الإسلامية ؛ حقيقتها وأصولها الاعتقادية وحتمية عودتها . ط1 1418هـ / 1998م

(4)استخلاف الإنسان في الأرض، دار الدعوة، الإسكندرية.

(5) فاروق أحمد دسوقي، الإسلام والعلم التجريبي، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت 1407هـ/1987م.

(6)منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، ط3، دار الفكر ، بيروت:1998م.

القرآن الكريم بآفاق الكون، عناية استغرقت مئات من الآيات الكريمة، وفي أغراض مختلفة، حيث رغبت في أن استظل بظلال القرآن في بحث قضية استخلاف الإنسان وعلاقة ذلك بمعرفة آفاق الكون، وأما السبب الثاني؛ فهو ذو صلة بواقع المسلمين وحاضرهم عموما، ويتمثل في الانفصام الواقع في جميع جوانب حياتهم، وهو انفصام ضرب بجذوره في ميدان العلم قبل أن يمتد إلى العمل، ومن بين معالمه؛ الظن بأن العلم في الإسلام يقتصر معناه على العلوم الشرعية، أما سائر العلوم الأخرى فليست داخلة في مفهوم العلم، وانبنى على هذا الزعم، أن الاستخلاف المنشود الذي وعد به المؤمنون لا علاقة لتحققه بغير العلوم الشرعية بالمفهوم السابق، وإذا علمنا أن هذه العلوم المستثناة داخلة في أغلبها فيما له علاقة بآفاق الكون، أدركنا كيف أن هذا يجر إلى أحد أمرين ؛ إما ترك عشرات الآيات القرآنية بلا تفسير بحجة الوقوع في التفسيرات العلمية المرتجلة التي تخضع الآيات القرآنية لنظريات علمية لم تثبت بعد، وإما الاكتفاء بتفسيرات العلماء القدامى الذين " خاضوا بحار العلوم ، ولجج المعارف، واقتحموا حصون الأفكار في أزمانهم، ولم يتركوا منها مشرعا إلا وردوه، واتخذوا من كافة معارفهم وأفكارهم معينا لفهم كتاب الله فهما يقوم على حقائق العلم الصحيح لتبين هدايته وإقامة حجته"[7]، والأمران كلاهما في غير صالح المسلمين اليوم. حيث رأيت أن محاولة الإجابة على الأسئلة السابقة من شأنها أن تسهم في دفع هذا الالتباس، وفي تجاوز هذا الانفصام.

ولتحقيق الغرض من تناول هذا الموضوع، رأيت إتباع المنهج الاستقرائي في البداية، حيث أعمد إلى استقراء الآيات القرآنية في القضية معرجا بعد ذلك على أقوال بعض المفسرين بحسب مقتضى الحال، ومستعينا بالسنة النبوية في استيضاح مقاصد الآيات القرآنية كلما أمكن ذلك، ثم أتبعها بشيء من التحليل بقصد توضيح القضية مدار البحث ، مستعينا

(7) محمد الصادق عرجون ، القرآن العظيم؛ هديته وإعجازه في أقوال المفسرين، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 1386هـ/1966م ص 273.

المبحث الثاني:ميادين التسخير.

المبحث الثالث: مستويات التسخير.

المبحث الرابع: ضوبط التسخير.

ولا أدعي الكمال لهذا الجهد المتواضع، ولا أزعم أني أتيت فيه بالقول الفصل، بل إن باب البحث فيه مفتوح لكل طالب حق.

وفي الختام أحمد الله تعالى على فضله وإنعامه، بأن هيأ لي أسباب إتمام هذا البحث، وأسأله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، هو ولي ذلك والقادر عليه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بالمقارنة بين أقوال المفسرين والباحثين في القضية مدار البحث كما أعمد إلى النقد أحيانا بقصد تبين وجه الحق.

وكان اعتمادي على مجموعة من المصادر والمراجع يمكن تصنيفها كما يلي:

المصادر: وتتمثل خاصة في كتب التفسير، وقد حاولت تنويعها قدر الطاقة، فكما استعنت بتفاسير القدامى استعنت أيضا بتفاسير المحدثين، ولم أجعل نصب عيني تفاسير مذهبية بعينها، بل حاولت اقتناص الحكمة حيث وجدتها. وأخص من هذه التفاسير بالذكر: تفسير ابن كثير، القرطبي، الآلوسي وتفسير المنار وابن عاشور، وهناك تفاسير أخرى كانت استعانتي بها بدرجة أقل.

أما المراجع فهي كثيرة، ويمكن تصنيفها بصفة عامة صنفين: أما الصنف الأول فيتعلق بالكتب التي تبحث في خلافة الإنسان، أذكر منها خاصة " آدم عليه السلام" للبهي الخولي الذي يعد واحدا من الكتب التي لا غنى عنها عند البحث في قضية خلافة الإنسان، ، وكتاب" الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم" لعبد الرحمن المطرودي.

وأما الصنف الثاني فجملة المراجع التي تدور حول قضية المعرفة والعلم ودورهما في الخلافة، وأذكر منها خاصة : كتاب:"منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم " للبوطي، و"رسائل النور" للنورسي وكتاب: " دراسات إسلامية في الفكر العلمي" لأحمد فؤاد باشا، وغيرها.

وقد قسمت هذا البحث إلى ستة فصول رأيتها تغطي في مجملها جوانب المشكلة المطروحة، حيث جعلت الفصل الأول لمعالجة قضية المعرفة في الإسلام وهذا قصد وضع الإطار للنشاط المعرفي المفضي إلى الاستخلاف، وقد قسمته على أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: مفهوم المعرفة، وتناولت فيه مفهوم المعرفة في اللغة وفي القرآن الكريم والسنة النبوية، مع تخصيص حيز للحديث عن العلم والحكمة بوصفهما من المفردات القريبة في مدلولها من المعرفة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: وتناولت فيه مصادر المعرفة عرجت فيه بالحديث على الوحي بوصفه المصدر الأول، وثنيت بالحديث عن آفاق الكون بوصفها مصدرا لتحيل المعرفة، ثم تحدثت عن الفطرة البشرية من حيث هي مصدر من مصادر المعرفة أيضا.

المبحث الثالث: وجعلته للحديث عن وسائل المعرفة، و الحديث فيه منصب على الحس والعقل وكذا القلب.

وأما المبحث الرابع فكان للحديث عن الغاية من المعرفة.

وأما الفصل الثاني فقد جعلته بعنوان: الاستخلاف ومفهومه في القرآن الكريم، وجعلته في مبحثين، الأول يدور حول مفهوم الخلافة والاستخلاف، والثاني خصصته لما دار من نقاش حول قضية الخلافة في الفكر الإسلامي.

وبالنسبة للفصل الثالث فيتمحور حول بحث أسس الاستخلاف ، وجعلته في مبحثين؛ الأول يتناول الأسس الإيمانية، والثاني يتناول الأسس المادية.

وأما الفصل الرابع فكان للحديث عن الإنسان المستخلف، تناولت في المبحث منه قضية بداية وجوده ومنازل تكريمه التي أنزله الإسلام إياها، وركزت على ما له صلة مباشرة بخلافته في الأرض، وفي المبحث تناولت عناصر تكوين الإنسان وحولت فيه إبراز ملامح الانسجام بين فطرته وفطرة آفاق الكون، ومشيرا إلى أن هذا يدل على أن الإنسان وجد على هذا الوصف ليكون خليفة في الأرض، وجعلت المبحث الثالث للحديث عن الغاية من خلق الإنسان، والمبحث الرابع لبحث العلاقة بين الخلافة والعبادة.

وفي الفصل الخامس الذي عنونته بـــ "الآفاق وصلتها بالاستخلاف" فجعلت المبحث الأول منه للحديث عن خصائص الآفاق في القرآن الكريم، مع محاولة تبين ما بينها من انسجام وانتظام، وأنها كذلك لتيسير خلافة الإنسان، والمبحث الثاني جعلته حديثا عن مفهوم السنة وخصائص سنن الآفاق.

وأما الفصل السادس الذي كان عنوانه: تسخير الآفاق وصلتها بالاستخلاف، فكان في أربعة مباحث تهدف في مجملها إلى بيان نموذج التسخير الاستخلافي، وهذه المباحث هي:

المبحث الأول: مفهوم التسخير.

الفصل الأول :

المعرفة في الإسلام؛ أصلها وغايتها .

المبحث الأول: مفهوم المعرفة

المبحث الثاني : مصادر المعرفة

المبحث الثالث: وسائل المعرفة

المبحث الرابع: الغاية من المعرفة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

لا شك أن الصلة التي تربط استخلاف الإنسان في الأرض بالمعرفة وثيقة جدا، ولعل هـذه القضـية هي من بين ما نبهت عليه الآيات القرآنية في قوله عز وجل:﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(31)قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(32)قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ(33)** ﴾ [1]، فهذه الآيات تشير إلى أن خلافـة الإنسان في الأرض لابد لها من المعرفة، معرفة ذات صلة وثيقة بهذه الأرض، دون أن تكـون مقطـوعة الصـلة بخالق الإنسان، من هنا يأخذ الحديث أهميته عن المعرفة وطـرقها، وأصـلها وغايتها، لأنه يمثل التأطير النظري المحدد للطريق الذي ينبغي أن يسلكه الإنسان وهو بصدد تحصيل المعرفة.

وبالنظـر إلى مـا تطرحه الفلسفة الغربية من مفاهيم في المعرفة ورغم معارضتها في عمـومها للمفاهيم القرآنية، إلا أنها امتدت بشكل كبير في الفراغ الذي يعانيه المسلمون في هذا الجانب، صار معه لزاما طرح هذه القضية المرة تلو الأخرى، بقصد التنبيه والتوجيه تارة، وتارة بقصد التصحيح والترسيخ، وفي هذا السياق نزعم أن القرآن الكريم وهو يقدم للإنسان نظاما متكاملا في العقيدة والشريعة، سلك في ذلك طريقا مشفوعا بأساس معرفي وإن لم يكن على سبيل الاستقلال، إلا أن محاولة التعرف على الكيفية التي يريدنا القرآن الكريم أن ننظر بهـا إلى أنفسنا وإلى العالم من حولنا تنطوي على أهمية كبيرة، فما مفهوم المعرفة في القرآن الكريم؟ وما هي مصادرها ووسائلها؟ وما هي غايتها؟

(1)سورة البقرة الآية 31- 33

المبحث الأول: مفهوم المعرفة

المطلب الأول: مفهوم المعرفة في اللغة: جاء في لسان العرب " عَرف العرفان العلم (...)، عرفه يعرفه عرفة وعرفانا وعِرفانا ومعرفة واعْتَرَفه (...)، ورجل عَرُوف وعروفة :عارف يعرف الأمور ولا ينكر أحدا " [1].

وجاء في مختار الصحاح : " عرفه يعرفه بالكسر؛ معرفة وعرفانا بالكسر، والعرف؛ الريح طيبة كانت أو منتنة، والمعروف ضد المنكر، والعرف ضد النكر، يقال أولاده عرفا أي معروفا " [2].

وقال الجرجاني في التعريفات : " المعرفة ما وضع ليدل على شيء بعينه، وهي المضمرات ... والمبهمات، وما عرف باللام والمضاف إلى أحدهما، والمعرفة أيضا إدراك الشيء على ما هو عليه وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف " [3].

وعلى ذلك، فالمعرفة هي إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي ما كان نقيض الإنكار.

المطلب الثاني: مفهوم المعرفة في القرآن الكريم

إذا استعرضنا القرآن الكريم، نجد أن لفظ المعرفة بمشتقاتها وردت (71) مرة، منها (39) مرة وردت " معروف " وهي تقابل المنكر، كما في قوله تعالى: ﴿ **يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** (17)﴾[4]،أما الباقي فجاءت بصيغ مختلفة أغلبها بصيغة الفعل"عرفوا"كما في قوله تعالى﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا**

---

(1) ابن منظور ، لسان العرب . ط3، دار صادر، بيروت:2004م ، ج 9 ص 110 .

(2)- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح . دار الفكر، بيروت: 1401هـ /1981م ص 426.

(3) علي بن محمد بن علي الجرجاني ، التعريفات تحقيق : إبراهيم الأبياري ط1 دار الكتاب العربي :بيروت 1405 ج1 ص 283.

(4) سورة لقمان الآية 17.

﴿عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83)﴾[1] وكذلك الكلمة في صيغة"عرفهم"، كما في قوله تعالى:﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾[2]" وصيغة "يعرفون"، كما في قوله تعالى:﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [3] وصيغة " تعرف "، كما في قوله تعالى:﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ(24)﴾[4]، وهذه الصيغ أغلبها جاء بمعنى إدراك الشيء والإحاطة به، وتمييزه عن غيره بعلامات مخصوصة توفرت فيه، ووجدنا أن القرآن الكريم يعنى " بالفعل " فليس فيه شيء اسمه "المعرفة"، وإنما هناك فعل " التعرف ". كما نجد أن هذا الفعل نسب إلى الإنسان في جميع الآيات التي ورد فيها، ولم ينسب إلى الله عز وجل إلا ما عدي منه لمفعولين مثل "عرّفها" كما وقوله عز وجل: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾"[5]، "أي بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال. قال الحسن: وصف الله تعالى لهم الجنة في الدنيا، فلما دخلوها عرفوها بصفتها. وقيل : فيه حذف، أي عرف طرقها ومساكنها وبيوتها لهم فحذف المضاف.وقيل: هذا التعريف بدليل، وهو الملك الموكل بعمل العبد يمشي بين يديه ويتبعه العبد حتى يأتي العبد منزله، ويعرفه الملك جميع ما جعل له في الجنة ...وقال ابن عباس: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾: أي طيبها لهم بأنواع الملاذ؛ مأخوذ من العرف، وهو الرائحة الطيبة"[6]، والتعرف هنا لا يفيد نسبة المعرفة إلى الله وحسب ما ساقه القرطبي فإن الفعل " عرّف" فيه معنى: بيّن الشيء بعلاماته المميزة له.

(1) سورة البقرة الآية 83 .
(2) سورة يوسف الاية :58 .
(3) سورة البقرة الآية : 146.
(4) سورة المطففين الاية 24
(5) سورة محمد الآية : 6 .
(6) القرطبي ج 16 ص 223.

نخلـــص مما سبق إلى أن "المعرفة" في القرآن الكريم تفيد حصول العلم بالشيء من دون الحاجة إلى استدلال عليه، وهذا من خلال العلامات المخصوصة التي تميزه عن غيره تفصيلا.

المطلب الثالث: مفهوم المعرفة في السنة النبوية:

لفظـــة المعـــرفة واردة بكثرة في السنة النبوية، وهي حسب ما بدا لنا من خلال اســـتقراء بعض الأحاديث النبوية وتتبع معناها لا تخرج على الجملة عن المعاني الواردة في القرآن الكريم، ومن أمثلة هذه الأحاديث قوله ﷺ: "الْقُضَاةُ ثَلاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي الـــنَّارِ، فَأَمَّـــا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ"[1].

والحـــديث يـــدل على تمييز الصنفين الأولين من القضاة للحق من الباطل، وهذا التمييز ولا شك تمييز تفصيلي مبني على معرفة العلامات المميزة للحق وللباطل، بينما هذا التمييـــز مفقـــود بالنسبة للصنف الأخير من القضاة. وهذا المعنى يمكن التماسه أيضا في حـــديث معاذ ابن جبل حين استب رجلان عند النبي ﷺ، حيث قال :" اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِـــنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى عُرِفَ الغَضَبُ فِي وَجْهِ أَحَدِهِمَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ غَضَبُهُ أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"[2].

فغضـــبُ الرجل عرف من خلال علامات الغضب التي بدت على وجهه، وهي علامات معروفة عند جميع الناس ، فاحمرار الوجه وانتفاخ الأوداج على سبيل المثال هما مما يعرف به غضب أي شخص و لا يحتاج إلى استدلال.

---

(1) أخـــرجه أبو داوود في كتاب الأقضية: باب في القاضي يخطيء، رقم 3573، أبو داود، السنن، ط1، دار ابن حزم، بيروت : 1419هـــ /1998م، ص550.

(2) أخـــرجه التـــرمذي في كتاب الدعوات باب ما يقول عند الغضب حديث رقم 3452،أبو بكر بن العربي، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1418هـــ/1997م المجلد السابع، ج 13 ص10.

المطلـــب الرابع: المفردات المفيدة لمعنى المعرفة: هناك مفردات كثيرة تلتقي مع المعرفة في بعض معانيها ومنها:

1 -**العلـــم** : عرف العلم تعريفات مختلفة، ومن هذه التعريفات قول الجرجاني :" هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع " وعرفه تعريفا آخر فقال" هو إدراك الشيء على ما هو به"[1]

وهو التعريف الذي ساقه صاحب الحدود الأنيقة[2].

وقـــد أورد صـــاحب كشف الظنون تعاريف مختلفة للعلم وأبان مافيها من نقص، والفعـــل نفسه فعله "القنوجي" في أبجد العلوم وقد وضح أن سائر التعريفات لا تخرج عن هذين .

العلم في القرآن الكريم والسنة النبوية:

أ- في القرآن الكريم:

وردت كلمة العلم في القرآن الكريم بمشتقاتها(781) مرة، منها أكثر من (400) مرة وردت بمعنى العلم الإلهي، والبقية بمعنى العلم الإنساني النسبي. وجاءت كلمة "العلم" بصيغ مختلفة منها :

" **علـــم**" : وهـــي صيغة المصدر، وهذه الصيغة وردت أربع مرات، ومنها قوله تعالى:"﴿ **لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴾[3].

"**العلـــم** ": وهي صيغة اسم المصدر، كما في قوله تعالى:"وهذه الصيغة تكررت 28 مرة، وفي جميع المواضع التي جاءت فيها، جاءت بما يفيد المدح، كما في قوله تعالى:

(1) الجرجاني ، التعريفات ج1 ص 199 .

(2) زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري أبو يحي، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ت : د/ مازن المبارك ط1، دار الفكر المعاصر ، بيروت : 1411 ص66.

(3) سورة النساء الآية :166 .

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(11)﴾ [1].

" العلمـــاء": وجاءت مرة واحدة في القرآن الكريم في معرض التنويه بمقام العلم والعلماء، وأن الخشية الحقة من نصيبهم، قال عز وجل:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ(28)﴾ [2]

" العالمون": وهذه وردت في قوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ(43)﴾ [3]

"يعلـــم": وهذه الصيغة وردت 71 مرة، وقد نسب فيها العلم إلى الله عز وجل في جميعها إلا في سبعة مواضع، ومن المواضع التي نسب فيها العلم إلى الله تعالى بصيغة"العلم" قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(18)﴾ [4]، ومثال ما نسب فيها العلم للإنسان بصيغة" يعلم" قوله تعالى:﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ(19)﴾ [5].

"يعلمون"، " تعلمون": وهاتان الصيغتان وردتا في شأن الإنسان، أحيانا بإثبات العلـــم لـــه، وفي غالب الأحيان بنفي العلم عنه، ومثال الأولى قوله عز وجل:﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ(9)﴾ [6]، ومثال الثانية قوله تعالى:﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(74)﴾ [7]

(1) سورة المجادلة الآية 11.
(2)سورة فاطر الآية 28.
(3)سورة العنكبوت الآية 43.
(4)سورة الحجرات الآية 18.
(5)سورة الرعد الآية 19.
(6) سورة الزمر الآية 9.
(7) سورة النحل الآية 74.

"**أعلم**": وجاءت في القرآن الكريم 55مرة، أضيف فيها العلم في جميعها إلى الله عز وجل، عدا مرة واحدة، ومثال الأولى، قوله عز وجل:﴿ **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**(117)﴾ [1]، ومثال الثانية قوله عز وجل:﴿ **قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**(96)﴾ [2].

"**عليم**": وهذه الصيغة وردت منسوبة لله عز وجل إلا في مواضع قليلة،نسبت فيها للمخلوق[3]،ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ **لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**(12)﴾ [4].

ومن خلال ما سبق من حديث القرآن الكريم عن العلم وبصيغ مختلفة، يتبين أن الله عز وجل تمدح بالعلم، وأعاب على الجاهلين تقصيرهم في طلب العلم، وجعل منه مدخلا للخشية من الله، ومدخلا للفلاح في الدنيا والآخرة.

علم الله وعلم الإنسان: تبين مما سبق أن الله عز وجل مدح في كتابه العلماء، ووصف نفسه بالعلم، لكن مما ينبغي الانتباه إليه أن هناك اختلافا بين العلم الإلهي والعلم الإنساني، فالعلم الإلهي قديم، وقد عرفه العلماء بقولهم:هو"صفة أزلية متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات على وجه الإحاطة على ما هي به، من غير سبق خفاء وعلمه عز وجل يحيط بالأشياء أزلا على ما هي عليه، دون سبق جهل "[5]، بينما العلم الإنساني حادث، وهو في حاجة إلى استدلال وتحليل وتركيب، وهو علم مسبوق بجهل على خلاف العلم الإلهي غير المسبوق بأي خفاء ولا ينقسم إلى تصور وتصديق.

---

(1) سورة الأنعام الآية 117.

(2) سورة يوسف الآية 96.

(3) نسبت لغير الله عز وجل في القرآن الكريم في سبعة مواضع ، منها ما جاء في وصف سحرة فرعون، ومنها ما جاء في وصف إسماعيل عليه الصلاة والسلام.

(4)سورة الشورى الآية 12.

(5) حاشية البيجوري المسماة تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص 39.

ب- **العلم في السنة النبوية:** يكثر ذكر العلم في السنة النبوية، ومعناه لا يختلف عن المعنى الوارد في القرآن الكريم إلا في الزيادة في التفاصيل، والشمول الذي نجده في القرآن الكريم نجده في السنة النبوية، وهذا يظهر في قول النبي ﷺ أنتم أعلم بأمر دنياكم "[1] فسمى معرفة شؤون الدنيا علما، وهو ما فهمه المسلمون من قبل وأخذوا به، يروي ابن عبد البر عن علي رحمه الله أنه قال في كلام له:" العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين، ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها منه" [2]، وقوله ﷺ: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له "[3]، "والعلم المقصود في هذا النص لا يحدد بصنف معين من العلوم، وإنما التحديد الوحيد الذي وضع فيه هو أن يوجه إلى (النفع) أي إلى مساعدة الإنسان على تطوير حياته المادية والروحية، ولتحقيق ذلك يتطلب تطوير المعارف الإنسانية وتنميتها بمختلف المجالات المادية وغير المادية، وذلك لاستثمارها وتوظيفها في خدمة التقدم الاجتماعي "[4] .فمعيار العلم المطلوب إسلاميا يتمثل "في كونه مفيدا، ويكمن معيار الفائدة في الهداية إلى الله، والتأدية إلى رضوانه، ولا فرق على هذا المستوى بين العلوم الدينية الخاصة وعلوم الطبيعة "[5].

وهذا المعنى يتعمق في قوله ﷺ:"أطلبوا العلم ولو في الصين "[6] فظاهر الحديث يدل على أن العلم المقصود هنا ليس هو العلم الديني[1]، فالمسلم لا يأخذ العلم بدينه من

---

(1)أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ،باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي، رقم 6022، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح، ط1، دار الفكر ، بيروت : 1421هـ/2000م ص1176.

(2) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج1 ص 101) .

(3) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم 4114.

(4) كامل محمود، صورة الإنسان في الحديث النبوي الشريف ط1 بيروت، دار الفكر اللبناني،1993م ص39 .

(5) مهدي كلشني، من العلم العمالي إلى العلم الديني، ترجمة : سرمد الطائي، ط1 دار الهادي، بيروت: 1424 هـ/2003م ص83 .

(6) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس وقال: هذا الحديث شبه مشهور، وإسناده ضعيف من جميع الوجوه.

المشـــركين ولا يحتاج في ذلك إلى أن يذهب لتحصيله إلى الصين، والصين في عهده عليه الصلاة والسلام ليست من بلاد المسلمين.

ج- **الفرق بين العلم والمعرفة** :يبدو التداخل واضحا بين مفهوم المعرفة ومفهوم العلم، من حيث الاستخدام، فعادة ما تساق اللفظتان في صعيد واحد بالعطف من باب البيان والإيضاح، لكننا في المقابل نستخدم اللفظتين معا فنقول " المعرفة العلمية " ،وهذا تمييـــزا لأنماط المعرفة المختلفة، فنقول أيضا "المعرفة العامية " و" المعرفة الذوقية " وغيرها، حيث تصبح صفة" العلمية " إشارة إلى لون من المعارف تحققت فيه صفات محددة دون لون آخر من المعارف .

ولأجـــل ما سبق فرق كثير من علماء المسلمين بين المعرفة والعلم وأرجعوا هذه الفروق إلى فروق من حيث اللفظ وأخرى من حيث المعنى .

أما الفروق من حيث اللفظ فهو أن فعل المعرفة يقع على مفعول واحد، وقد ورد هذا في قول الله عز وجل: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [2]، أما فعل العلم فإنه يقع على مفعولين مثل قوله تعالى : ﴿**فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ**﴾[3]،

---

(1) مـــن علماء المسلمين من برفض هذه الفكرة، ومنهم وحيد الدين خان، يقول في هذا الشأن:" ومما راد الطين بله أن الأشخاص الذين أفاقوا بعد سبات طويل، دعوا المسلمين إلى الحصول على العلم لم يكونوا أكفاء، بل إنهم حاولـــوا إختـــار هذا العمل الصحيح بطريقة خاطئة. فمثلا : لتأكيد على العلم الحديد قالوا إن كلمة العلم أينما ذكرت في القرآن إنما تعني العلوم الطبيعية التي يقوم الأساتذة بتدريسها في الكليات والجامعات، وكان هذا برهانا خاطـــئا اســـتعمل لمقصد صحيح، إذ أن الواقع هو أن العلم الذي ذكرت فضيلته في القرآن والحديث إنما هو علم الدين، لا العلوم الطبيعية. لكن- مع ذلك- يتحتم على المسلمين إحراز السبق في العلوم الطبيعية لكن أهميتها تثبت من (آية القوة) لا من (آية العلم). " وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، ترجمة: محسن عثمان الندوي ، ط 1، دار الصحوة، القاهرة: 1405هـــ/1984م ص97. وفي نظرنا ، فإن الزعم بأن كلمة العلم أينما ذكرت في القـــرآن تعـــني العلوم الطبيعية هو زعم لا دليل عليه، وكذلك القول بنقيضه، وذلك لما مر من النصوص القرآنية والنبوية في هذا الشأن.

(2) سورة البقرة الآية : 146 .

(3) سورة الممتحنة الآية :10 .

كما يقع فعله على مفعول واحد كما في قوله تعالى: ﴿ **وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾ [1]. والمتعدي إلى مفعول واحد كما يسند إلى الله عز وجل، يسند أيضا إلى الإنسان عندما يراد به إدراك المفرد[2] لكن هذا له أثر في المعنى، حيث إن فعل المعرفة يقع على مفعول واحد لأن المعرفة خاصة بإدراك المفرد والتعرف عليه بعلاماته وشواهده التي تميزه عن غيره، أما العلم فإنه يتعدى إلى مفعولين، وإلى مفعول واحد، فمتعلقه حكم أو غيره[3].

أما الفرق بينهما من حيث المعنى، فهو من عدة وجوه :

أحدها أن المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله[4]، فنقول مثلا:عرفت الله، وعلمت أنه لا إله إلا هو، لذلك أمر الله عز وجل بالعلم دون المعرفة، قال الله عز وجل: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ** ﴾ [5].

ومن وجوه التفرقة أيضا؛ أن المعرفة تطلق على إدراك الشيء بعد غيابه عن ساحة الإدراك وعودته ثانيا، فالشيء المعروف تبقى صفاته عالقة بنفس العارف بعد غيابه، حتى إذا عاد هذا الشيء إلى ساحة الإدراك عرف، وقيل عن العارف آنذاك بأنه عرف ذلك الشيء ولم يقل له علمه، ومن هذا الباب قول الله عز وجل ﴿ **وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ** ﴾ [6]، فيوسف عليه السلام إنما عرف إخوته بصفاتهم التي عرفهم بها أولا، وبعد أن رآهم بعد طول غياب أدرك أنهم إخوته، دون أن

---

(1) سورة الأنفال الآية :60 . .

(2) محمود موسى حمدان،العلم والفقه والمعرفة، فقه دلالتها واستعمالها في القرآن الكريم،ط1 مكتبة وهبة، القاهرة: 1423هـ/2002م ص40 .

(3) محمود موسى حمدان ، المرجع نفسه، ص 37.

(4) يوسف محمود محمد، أسس اليقين بين الفكر الديني والفلسفي، ط1 دار الحكمة، الدوحة: 1414هـ/ 1993م ص 94.

(5) سورة محمد الآية 19 .

(6) سورة يوسف الآية : 58 .

يطيل الفكر والنظر. ومن هذا القبيل قوله عز وجل : ﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ(30)**﴾ [1]، فالمنافقون كانوا معروفين عند النبي ﷺ من خلال جملة من المواصفات توفرت فيهم، والآية خصت بالذكر لحن القول.

والمعرفة يقابلها الإنكار، والمعروف يقابله المنكر، ومنه قوله تعالى:﴿ **أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ(69)**﴾ [2]، فالمشركون منكرون للنبي ونبوته، على الرغم من معرفتهم به معرفة تامة، حيث عاش بين ظهرانيهم وكان صادقا، ولشهرته بهذه الخلال أطلقوا عليه " الأمين" والشأن نفسه بالنسبة لأهل الكتاب، وخاصة اليهود منهم بحكم قربهم منه، حيث عرفوه بنعته ووصفه في كتابهم، ومع ذلك أنكروا معرفته وأبوا الاعتراف بأن تكون تلك الأوصاف هي أوصافه على الرغم من وضوحها، قال عز وجل:﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ(89)**﴾[3].

فالمعرفة يقابلها الإنكار أما العلم فيقابله الجهل.

ومن هذه الفروق أيضا أن المعرفة مسبوقة بجهل، ولذلك تطلق على الإنسان فقط، وأما والعلم فليس كذلك[4]، ولأجل هذا وصف الله عز وجل نفسه بالعلم و لم يصف نفسه بالمعرفة، " قال الزهري[5]: لا أصف الله بأنه عارف، ولا أعنف من يصفه بذلك، ...قال:ولا يجوز أن يكون علم الله تعالى بالأشياء من جهة الأثر والدليل، قال : والمعرفة تمييز المعلومات، فأومأ إلى أنه لا يصفه بذلك، كما لايصفه بأنه مميز"[6].

---

(1)سورة محمد الاية 30.

(2) سورة المومنون الآية 69.

(3)سورة البقرة الآية 89

(4) المقصود هنا العلم الإلهي، أما العلم الإنساني فهو مسبوق بجهل كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

(5) هو محمد ابن أحمد ابن سليمان أبو عبد الله الزهري النحوي،(ـــ/ ت 617هـــ)من تصانيفه : البيان فيما أهم من الأسماء في القرآن. جلال الدين السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة . دار المعرفة ، بيروت[د.ت]، ص11.

(6) أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ط7 ، دار الآفاق الجديدة، بيروت:1411هـــ/ 1991مم، ص72

والـــذي خلص إليه أن هناك جملة اختلافات دقيقة بين المعرفة والعلم، وأن سياق الاستخدام هو الذي يحدد المعنى المقصود من كليهما، وهذا لا يمنع من استخدام أحدهما بدل الآخر، لكن ذلك أحيانا يكون على سبيل التجوز، إلا ما تعلق بالله عز وجل، فإن المطلوب هو التوقف عند ما نص عليه الشرع، من إطلاق العلم بدل المعرفة على الله عز وجل، وذلك لأن لفظ المعرفة "لم يرد على الإطلاق للدلالة على علم الله عز وجل" [1]، وأن العلم إذا أطلق على الإنسان، فإنه يقصد به العلم الكسبي النسبي، تفرقة له عن العلم الإلهي المطلق، والله عز وجل إنما رفع من قدر العلماء لكونهم يستمدون علمهم من علم الله المطلق.

د- **تطور مفهوم العلم**: مما ينبغي الإشارة إليه أنه ليس يمكن تقديم صورة وافية عـــن تطـــور مفهوم العلم في هذه العجالة، ذلك أن الحديث عن تطور مفهومه يتضمن الحـــديث عن تطور العلم ومنجزاته، والمسالك التي سلكها خلال مسيرته الطويلة، وهذا مجـــال البحث فيه واسع وقد أفردت له كتب عديدة [2]. وما يسعنا قوله هنا، أن هناك قـــناعة شـــبه تامة أصبحت سائدة بين الدارسين عموما ومؤرخي العلم خصوصا، بأن التقديـــر الـــذي حظي به الحس ونالته التجربة في القرآن الكريم هو الذي كان له الدور الأســـاس في إيجاد حركة جديدة من البحث العلمي لم تكن معهودة من قبل، بل ومخالفة لما كان سائدا قبل التنزيل، هذه الحركة الجديدة وجدت في العالم الإسلامي وبدأت تزدهر مع مرور الوقت، وسرعان ما امتد أثرها إلى الغرب المسيحي بعد ذلك ....، الأمر الذي جعـــل "روجـــر بيكون[3]" يقول: "هناك طريقان لاكتساب المعرفة: طريق البرهان

(1) يوســـف محمود محمد، أسس اليقين بين الفكر الديني والفلسفي. ط1، دار الحكمة، الدوحة: 1414هـــ/ 1993م، ص170.

(2) مـــن الكتب التي اعتنى فيها أصحابها ببيان تطور العلم: روبرت أغروس وجورج ستانسيو، العلم في منظوره الجديد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: 1989م.

(1) روجر بيكون(حوالي 1214م- حوالي1292م) ولد في انجلترا، انتهى الفكر الغربي في عهده إلى تمثل العلم والفلســـفة العـــربيين واليونانيين. لم يكن يرى في هذا العلم الجديد مجرد مادة معرفية جديدة، بل رأى فيه منهجا جديـــدا للـــبحث، لابد أن يحول طريقة تناول العلم والمعرفة تحويلا أساسيا وذلك بتطبيق الطرق الفنية الرياضية

وطريق التجربة ...فالبرهان ينتهي إلى استنتاج ويجعلنا نتفق معه، غير أن البرهان لا يقضي على الشك على نحو فعال، بحيث يهدأ العقل متبصرا في الحقيقة إلى أن تكتشف هذه الحقيقة عن طريق التجربة [1]، وبذلك فتح باب التجربة لمعرفة الحقائق عن طريقها أمام الإنسان الذي لم يعهد هذا من قبل، لكن هذا الاندفاع وما ولده من إعطاء الدور الحاسم للتجربة تولدت عنه فكرة سخيفة لاقت القبول من رجال العلم ورجال الدين على السواء، ومضمون هذه الفكرة هو :" ما كان يفسر بالإرادة الإلهية إذا ثبت أن له أسبابا مادية من داخل الكون فإنه يلغي الإيمان، فصار رجل العلم يقول : إذا ثبت أن الأرض تدور فلا حاجة لوجود الله، وصار رجل الدين يقول نفس المقالة، الأول يحاول إثبات دورانها، والثاني يحاول نفيه"[2] وأصبح رجل العلم يسفه رأي رجل الدين، وامتد هذا إلى نظر الإنسان إلى نفسه، فالإنسان من وجهة نظر العلم وحيد في عالم فسيح الأرجاء عديم الاكتراث انبثق منه مصادفة واتفاقا[3]، وأنه قد أسند إليه دور تافه في مسرحية كونية عادية جدا، أما رجل الدين؛ فيرى أن العلم بات مهددا لمقام الجنس البشري المريح في الكون [4]

انطلاقا من هذه الرؤية أصبح العلم في مفهومه الجديد لا يهتم إلا بما يقع تحت الحس وتطاله التجربة، ولا يؤمن بما وراءهما، أصبح بذلك "العلم" عنوانا على النشاط

والتحريبية في دراسة الفلسفة واللاهوت. الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل، جلال العشري وعبد الرشيد صادق، إشراف زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت

(1) نقلا عن: فيليب فرانك ، فلسفة العلم؛ الصلة بين العلم والفلسفة. ترجمة: علي علي ناصف ط1 المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1983ص53 .

(2)محمد عز الدين توفيق ،دليل الأنصى بين القران والعلم الحديث ط2دار السلام:القاهرة 1418هـ/1998م ص9.

(3) جان ماري بيلت، عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، ترجمة: السيد محمد عثمان. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: 1415هـ/ 1994م، ص 36 .

(4) بول ديفز، الله والعقل والكون . ترجمة : د/سعد الدين خرفان و وائل بشير الأتاسي ط 1 دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق 2001 ص 14 .

المعرفي الذي يستبعد كل قضية لا تستجيب لشروطه، وهي أن تكون قابلة للاختبار[1]، واستمر الأمر على هذا الحال من الزهو حتى عم الاعتقاد بأن العلم التجريبي يمكنه أن يجيب على كل الأسئلة، بل جعل لنفسه حق الحكم على الأسئلة، فيقبل منها ما يراه مشروعا ويطرح ما يراه غير ذلك، لكن هذا الغرور اصطدم بسؤال كبير : لماذا على الإنسان أن يتحمل كل هذا ليكشف بعض أسرار الكون ؟ غير أن هذا السؤال وإن كان فلسفيا لا يلقى القبول من قبل رجل العلم، إلا أنه جعله يفتح الباب على مصراعيه لأشكال أخرى من المعرفة ليست من جنس المعرفة العلمية التي حدد مواصفاتها، لكنها يمكن أن تعينه وأن تجعل من نتائجه شيئا ذا قيمة .هذه إذن صورة تقريبية للشكل الذي تطور به العلم اقتصرنا فيها على مسائل كلية غير مفصلة، لكن الذي ينبغي أن نشير إليه هنا، هو أن هذا التطور الذي حصل في مفهوم العلم إنما تم في سياق تطور المجتمعات الغربية وتطور المسالك التي سلكتها ثقافاتها، وبالنظر إلى انتقال هذا المفهوم المضيق للعلم إلى العالم الإسلامي صار لزاما أن ننبه إلى أن مفهوم العلم الذي ساد العالم الإسلامي بتنبيه من القرآن الكريم مفهوم شمولي يستوعب ما عرف بالعلوم الشرعية وغير الشرعية وينظمها في سلك واحد، على اعتبار أنها موصلة إلى الهداية الإلهية، وأن هذه التفرقة المبنية على تصنيف غير دقيق، تفرقة مصطنعة، وبل وتشكل وجها من أوجه العلمنة الداعية إلى الفصل بين ما هو ديني وما هو دنيوي، وهو فصل لم تعرفه حياة المسلمين بما فيها ثقافتهم وطرائقهم في البحث وتحصيل المعرفة، فالعلم في الإسلام " علم يجمع بين الغيب والشهادة، بين العالم الذي لا يعلمه إلا الله وبين العالم المحسوس، علم يجمع بين ما

---

(1)النزعة الاختبارية، نزعة تمتد لتشمل سائر المذاهب التجريبية القائلة بأن المعرفة الإنسانية تتولد عن التجربة بطرق مباشرة أو غير مباشرة ، حيث لا يبقى للفكر أي نشاط خاص به، وهذا التحديد قد يتجاوز أصحاب المذاهب التجريبية الكلاسيكية التي تقف عند التجربة باعتبارها المصدر الوحيد للمعرفة، إلى المذاهب التجريبية الحديثة والمعاصرة التي ترى أن التجربة وسيلة للاختبار. سالم يفوت، فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها لمواقع، ط1، دار الطليعة، بيروت: 1986م، ص 34.

ومن هذا القبيل ما نجده عند أصحاب المدرسة الوضعية المنطقية الذين يرون أن معنى القضية هو نفسه طريقة تحققها ، فإذا لم نجد لتحقيقها سبيلا، بقيت خالية من المعنى، وعلى هذا الأساس يجب إلغاء الميتافيزيقا، لأن التحليل المنطقي يريد سبيلا ما لتحقيقها لكنه لا يعثر عليه، لذا تبقى قضاياها خالية من المعنى. المرجع نفسه، ص125.

جـــاء في وحي الله قرآنا وسنة عما غاب عن البشر في الماضي والحاضر والمستقبل، وبين الكـــون الملموس، إنه علم يجمع بين كتاب الله المقروء وكتاب الكون المفتوح ... فالعلم بـــالمعنى الغـــربي يعد جزءا من العلم بالمعنى الإسلامي ومتضمنا فيه، فعلوم الحياة مساوية لعلـــوم الآخـــرة، فكلاهما ضروري لخلافة الإله الواحد في أرضه، ولحسن إعمار الأرض ولتحقـــيق العـــبودية لله وحده في أسمى وأنقى وأصفى معانيها [1].ومن ثم فهذه التفرقة غـــريبة عـــن روح العلـــم والمعرفة في الإسلام، فإذا كان المسلمون أخذوا بهذه التفرقة لأهـــداف مدرســـية وحسب مع وعي كامل بهذا، فإنه جر لاحقا إلى نتائج لم تكن في الحسبان، وأهمها شيوع الظن بأن هذه التفرقة أصلية، بينما هي في حقيقتها تفرقة عارضة أملتها ظروف تاريخية خاصة.

2- الحكمـــة : وهـــي ثاني المفردات القريبة من معنى المعرفة، والحكمة في اللغة جـــذرها " حكم "، وهو بمعنى : منع، ومنه الحكم : المنع، والحاكم : المانع من الظلم، ومـــنه الحكومة، وحكَمةُ الدابة : حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكه تمنعه من مخالفة راكبه، ومنه قول حرير : أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم... إني أخاف عليكم أن أغضـــبا [2] وبمعـــنى : العدل، فيقال: رجل حكيم : عدل، وبمعنى الإتقان، فيقال: أحكم الأمر أي أتقنه [3]، والحكـــــم العلـــم والفقه، قال الله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**(12)﴾ [4]، أي علما وفقها[5] .وعرفت الحكمة تعريفات عدة نذكر منها : عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم [6] وعرفها الجرجاني تعريفات عدة منها قوله : " الحكمـــة علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة

(1) إسلام الرفاعي عبد الحليم ، طبيعة العلم .ط1 عالم الكتب ، القاهرة : 1422هـ/2002م ، ص35 .
(2) لسان العرب ج 12 ص144 .
(3) نفس المصدر ص 143 .
4 سورة مريم الآية 12
(5) نفس المصدر ص 141 .
(6) نفس المصدر ص140 .

البشـــرية"[1] وقوله : وقيل الحكمة يستفاد منها ما هو الحق في نفس الأمر بحسب طاقة الإنســـان".وقـــيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة، وقيل الحكمة هي الكلام المعقون المصـــون عن الحشو وقيل هي وضع الشيء في موضعه وقيل هي ما له عاقبة محمودة"[2]. والظاهـــر أن هذه التعاريف صيغت بحسب متعلقاتها من المعارف فتكون الحكمة في كل شيء كماله وتمامه .وقد أجمل جميل صليبا معاني الحكمة؛ اللغوية والاصطلاحية بقوله : "الحكمـــة: العلـــم والتفقه، وهي العدل في الحكم والكلام الموافق للحق، وصواب الأمر وســـداده، ووضع الشيء في موضعه، وما يمنع من الجهل. وهي الكلام الذي يقل لفظه ويجـــل معناه. والجمع حكم كالأمثال وجوامع الكلم، والحكمي : المنسوب إلى الحكم، والحكميون : الفلاسفة أو الشعراء الذين يؤثرون التكلم بالحكم"[3].

أ- **الحكمة في القرآن** : ورد الجذر" حكم " في القرآن الكريم في (210) مرات، منها (84) مرة يدور معناها حول عدالة الحكم الإلهي، أو طلب الحكم بالعدل أو بمعنى الإتقان .

أمـــا المواضع الأخرى فجاءت فيها الكلمة بصيغ ومعاني مختلفة، لكنها لا تخرج على كونها تفيد معنى العلم، المعرفة، القرآن وغيرها، ومنها ما يأتي : ﴿**قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[4] .

وقوله عز وجل : ﴿**فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[5] .

---

(1) التعريفات ج 1 ص123 .

(2) نفس المصدر ص124 .

(3) جميل صليبا ، المعجم الفلسفي . الشركة العالمية للكتاب ، بيروت : 1414هـ/ 1994م ، ج 1 ص491 - 493.

(4) سورة البقرة الآية : 32 .

(5) سورة البقرة الآية : 209 .

وقـــوله عز وجل : ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1].

وقوله عز وجل : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [2].

وقـــوله عز وجل : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[3] .

وقوله عز وجل : ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [4].

وقوله عز وجل : ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [5].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾[6].

ويمكن بيانها بالجدول التالي:

صيغة الكلمة	عدد مرات تكرارها
الحكيم	42
حكيم	39
حكيما	16
الحكمة	18
حكمة	01
وحكمة	01
حكما	06
الحكم	03

(1) سورة النساء الآية :111 .

(2) سورة البقرة الآية : 269 .

(3) سورة القصص الآية : 14 .

(4) سورة مريم الآية : 12 .

(5) سورة القمر الآية: 5 .

(6) سورة آل عمران الآية : 81 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومن خلال الشواهد السابقة وكذا الجدول السابق يتبين أن الصيغ : الحكيم، حكيم، حكيما وردت إما في وصف الله عز وجل أو القرآن الكريم ، وهي تستغرق النصيب الأكبر في عدد ورود الصيغة ككل ، أما باقي الصيغ الأخرى الواردة فتتحدث عن منحة إلهية خص الله بها طائفة من عباده وحث الداعين إليه على التحلي بها وللمفسرين في بيان معاني هذا القسم كلام طويل، أجمله ابن الجوزي بقوله " وذكر أهل التفسير أن الحكمة في القرآن على ستة أوجه : أحدها: الموعظة، ومنه قوله تعالى : ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [1]. والثاني : السنة، ومنه قوله تعالى في البقرة : ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [2]، وفيها : ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾ [3]، وفي سورة النساء : ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [4]. والثالث الفهم، ومن قوله تعالى في الأنعام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾[5]. وفي مريم : ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[6]، وفي الأنبياء : ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [7]، وفي لقمان ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [8]. والرابع : النبوة ومنه قوله تعالى في البقرة ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [9] وفي ص: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[10].

(1) سورة القمر الآية : 5 .
(2) سورة البقرة الآية :151
(3) سورة البقرة الآية : 231 .
(4) سورة النساء الآية : 113 .
(5) سورة الأنعام الآية : 89 .
(6) سورة مريم الآية : 12 .
(7) سورة الأنبياء الآية : 79 .
(8) سورة لقمان الآية : 12 .
(9) سورة البقرة الآية : 251 .
(10) سورة ص الآية : 20 .

.....والخامس: القرآن، ومنه قوله تعالى في النحل : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[1].

والسادس: علوم القرآن، ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾"[2] [3].

ب – الحكمة في السنة النبوية: وهذه الكلمة من الكلمات التي دارت على لسان النبي ﷺ بكثرة وبصيغ مختلفة، وكتب السنة دالة على ذلك، ومن بين الأحاديث التي وردت فيها كلمة الحكمة، قوله عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود:" لا حَسَدَ إلاَّ في اثْنتين: رَجلٌ آتاهُ اللّهُ مالاً فسُلّطَ على هَلَكَتِهِ في الحقّ، ورَجُلٌ آتاهُ اللّهُ الحكمةَ فهُوَ يَقْضي بها ويُعَلّمُها"[4]

وقوله في الترغيب في طلبها :"الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها "[5]، فالحكمة من معانيها في السنة النبوية؛ تمام العلم والعمل، وما يصحبهما من وقار مع السعي في نشرهما والمؤمنون عليهم أن يبحثوا بدأب واستمرار عن الحكمة حتى إذا أدركوها في أي مكان ومن أي مصدر كان عليهم أن يأخذوها، ويحرصوا على تقديرها، وإعلاء شأنها، بل هم أولى الناس بذلك، والذي نخلص إليه أن الحكمة في السنة النبوية لا تخرج عما ورد في القرآن الكريم إلا من جهة التفصيل والبيان.

---

(1) سورة النحل الآية : 125 .

(2) سورة البقرة الآية : 269 .

(3) ابن الجوزي ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ط3 ، مؤسسة الرسالة : بيروت 1407هـ/ 1987م ص 261 - 262

(4) صحيح البخاري كتاب العلم باب الاغتباط في العلم حديث رقم 73 . محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، المكتبة العصرية، بيروت:1424هـ/2003م ص32.

(5) أخرجه ابن ماجة في الحكمة بإسناد ضعيف رقم: 4169. ناصر الدين الألباني، ضعيف سنن ابن ماجه، ط1 المكتب الإسلامي، بيروت: 1408هـ/1988م، ص 343.

نستخلص مما سبق من تتبعنا لمعنى الحكمة أنها متضمنة لمعنى العلم والمعرفة وتزيد عليهما من جهة أنها تشير إلى ناحية الكمال فيهما، وأن الكمال المطلوب هو العمل المبني على العلم الصادق التوجه إلى الله وأما ما دون ذلك فهو عار عن الحكمة.

كما لا يفوتنا أن نشير إلى أن هناك كلمات غير التي سبق الحديث عنها تفيد معنى المعرفة والعلم منها : العقل، الإدراك، التصور، الفقه، القلب وغيرها [1].

(1) تحدث عنها وأطال راجح عبد الحميد الكردي في أطروحته: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ط1 مكتبة المؤيد، الرياض 1412هـ/1992م ص50-59 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني : مصادر المعرفة:

المصـــدر في اللغـــة مفرد جمعه مصادر، وهو موضع الصدور أو ما يصدر عنه الشـــيء، وهو بذلك يمثل الأصل الذي ينشأ منه غيره، فقولنا مصادر المعرفة: نعني بها أصل المعرفة، وما تتولد منه، وقد عالجه علماء المسلمين قديما تحت مسمى: مباحث النظر[1]. والـــبحث في مصادر المعرفة شأن قديم جديد، وهو ليس بالشيء الثانوي فيستغنى عـــنه، بل هو أساس لكل من يروم التأسيس لبناء نظري ويرد أن يكون له مكان في دنيا العمـــل. وعادة ما يكون، الغرض من البحث في مصادر المعرفة؛ اعتماد مصادر وطرح أخرى، أو تقديم مصدر على آخر وتفضيله عليه.

وثمة أمر يجدر التذكير به، وهو أنه عند البحث في مصادر المعرفة عادة ما تصادفنا مصطلحات عدة، وغالبا ما تكون هذه المصطلحات حاملة لمدلولات مختلفة، فأحيانا نجد التعبير عن " مصادر المعرفة " بـــ" وسائل المعرفة " و" أصول المعرفة " و"منابع المعرفة"، والظاهر أن هذه المصطلحات تستعمل في النسق الفلسفي الغربي بمعنى واحد، ونود هنا أن نميـــز بـــين هذه المصطلحات، بحيث نستخدمها استخداما نراه متمشيا مع روح القرآن الكـــريم، وفي هـــذا الشـــأن نحسب أن مصادر المعرفة تختلف عن وسائلها، ونحسب أن المصطلحين يستخدمان في المنظومة المعرفية الغربية بمعنى واحد بحكم استبعاد هذه الأخيرة للمصـــدر الغيبي المتمثل في الوحي، نقول هذا على رغم وجود كثير من الباحثين[2] ممن ارتضـــى جعل المصدر ما رأيناه وسيلة، محتجا بما أورده "أبو حامد الغزالي " في الإحياء حين قال:" العقل منبع العلم ومطلعه وأساسه، والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة، والـــنور من الشمس والرؤية من العين"[3]. ونحسب أن أبا حامد الغزالي -- وقد قال ما قال -- إنما كان يعالج الموضوع بروح عالم يعيش في سياق حضاري إسلامي مهيمن، ولو

---

[1] مـــن الكتب الكلامية التي صدرها أصحابها بمباحث النظر: أبو المعالي الجويني، الشامل في أصول الدين ، تحقيق علي سامي النشار، فيصل بدير عون وسهير محمد مختار منشأة المعارف، الإسكندرية:1969 ص 97 وما يليها .

(2) انظـــر: أحمـــد محمد حسين الدغشي ، نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية . ط1 دار الفكر، دمشق: 1422هـــ/2002م ص194 وما بعدها.

(3) أبو حامد الغزالي إحياء علوم الدين،ط1،دار الثقافة، الجزائر:1411هـــ/1991م، ج1، ص108.

واجهـــه مـــا يواجه المسلمين حاليا من تحديات -- ونقصد هنا التحدي الاصطلاحي -- شديدة، ما تردد في تقويمها ورفضها إن اقتضى الأمر كما فعل في نقضه لأسس الفلسفة اليونانية وتوابعها في الفلسفة الإسلامية، ومن ثم لا يحملنا استخدام أبي حامد الغزالي لهذا المصطلح على متابعته في ذلك لما بين السياقين المعرفيين من تفاوت نحسبه شديدا.

وفي تقديرنا، فإنه عند النظر في القرآن الكريم يمكن التماس المصادر التالية :

المطلـــب الأول: الوحـــي : جاء في مختار الصحاح : الوحي : الكتاب، وجمعه وحـــي مثل حلي، حلي، وهو أيضا : الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، يقال وحى إليه الكلام نحيه وحيا وأوحى أيضا. وهو أن يكلمه بكلام يخفيه (...) وأوحى أشار، قال الله تعالى : ﴿ **فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا**﴾ [1] **والوحا** : السرعة " [2]. فالوحي إذن اجتمعت فيه خاصيتان وهما : الخفاء والسرعة، وقد وردت كلمـــة الوحـــي في القـــرآن الكريم مشيرة إلى صور كثيرة للوحي؛ مثل الإلهام الغريزي للحيوان، مثل قوله عز وجل : ﴿**وَأَوْحَـــى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾ [3]، والإشارة السريعة مثل قوله عز وجل : ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا(11)**﴾ [4]، والإلهـــام الفطري مثل قوله عز وجل : ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(7)**﴾ [5] ووسوسة الشيطان مثل قوله عز وجل : ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ(121)**﴾ [6]،

---

(1) سورة مريم الآية : 11 .

(2) مختار الصحاح ، ص 713

(3) سورة النحل الآية : 68 .

(4) سورة مريم الآية :11 .

(5) سورة القصص الآية : 7 .

(6) سورة الأنعام الآية : 121 .

وهـــذه الصور الواردة تمثل المعنى اللغوي لكلمة الوحي وهي تدل على أن الوحي ظاهرة عامة في الوجود، من حيث أن سائر الموجودات خاضعة لله تعالى شاءت أم أبت .

أمـــا في الاصطلاح فهو : وحي من الله تعالى إلى أنبيائه وإعلام لهم بما يشاء من كلام أو معنى بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقيني القاطع بما أعلمه الله به. والوحي بهذا المعنى ليس خاصا بالنبي محمد ﷺ، بل هو منحة إلهية خص بها من اصطفاهم، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّـا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَـى إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا(163)وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا(164)رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا(165)﴾ (1)

والوحي بهذا المعنى يأتي بكيفيات نصت عليها الآية القرآنية وهي قوله عز وجل : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِـهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(2). والآية تبين أن الوحي بالمعنى الاصطلاحي يأتي على أشكال ثلاثة وهي:

1)- **الوحي** : وهو هنا يشمل جميع الأشكال الواردة في معناه اللغوي .

2)- **من وراء حجاب** : وهذا مثل ما حدث مع موسى عليه السلام حين خلق الله الكلام في الشجرة .

3) إرسال رسول يكون واسطة بين الله عز وجل والرسول، والرسول المقصود هـــنا هو أمين الوحي جبريل عليه السلام. على أن معنى الوحي في الإسلام لا ينسحب علـــى القرآن الكريم وحده، بل إنه يشمل السنة النبوية أيضا، فهي المبينة للقرآن الكريم. والكلام هنا تابع للقول بحجية السنة النبوية.

---

(1) سورة النساء الآيات : 163-165 .

2) سورة الشورى الآية : 51 .

والوحي الإلهي يمثل المصدر الأول في المعرفة عند المسلمين، وكل المعارف الإنسانية مصدرها الله عز وجل. والقرآن الكريم صريح في تقديم هذه الحقيقة، قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(31)قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)﴾[1]. فأول معرفة حصلت للإنسان كانت مع آدم عليه السلام متمثلة في الأسماء، وهي معرفة عجزت الملائكة عنها وذلك لأنها مرتبطة بمهمة كلف الإنسان بأدائها وهي الخلافة. وللمفسرين في قول الله عز وجل ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أقوال متنوعة، نجمل أجمل كلام المفسرين في هذه الآية شهاب الدين الألوسي حيث قال: "وقيل: المراد بها أسماء ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وعزي إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل اللغات، وقيل أسماء الملائكة، وقيل أسماء النجوم، وقال الحكيم الترمذي[2]: أسماء الله تعالى، وقيل وقيل. والحق عندي ما عليه أهل الله تعالى: وهو الذي يقتضيه منصب الخلافة التي علمت، وهو أنها أسماء الأشياء علوية أو سفلية جوهرية أو عرضية، ويقال لها أسماء الله تعالى عندهم باعتبار دلالتها عليه، وظهوره فيها غير متقيد بها"[3] وظاهر هنا ميل شهاب الدين إلى قول الصوفية وهم الذين سماهم بأهل الله تعالى.

وإذا كان الوحي يمثل المصدر الأول والأساس في البناء المعرفي الإسلامي، فإن القرآن نفسه وجه الإنسان وسخر جميع قواه النفسية والعقلية ودعاه إلى توظيفها من أجل تحصيل ألوان مختلفة من المعارف والعلوم، تصب في نهر المضاف في خدمة مهمته المتمثلة في الخلافة، وحملة هذه المعارف والعلوم باستطاعته أن يستقيها من مظانها في الآفاق وفي نفسه دون أن يهمل النظر في التاريخ الإنساني كله. وعليه فإن مصادر المعرفة بحسب توجيه المصدر الأول الذي هو القرآن تتمثل فيما يلي :

---

(1) سورة البقرة الآيات 31 ، 32 .

(2) أحد الصوفية المشهورين(250 هـ - 320 هـ) من كتبه: الصلاة ومقاصدها، أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، مكتبة الخانجي، القاهرة: 1357هـ/1938م، ج10 ص 233.

(3)شهاب الدين الألوسي، روح المعاني ط4 دار إحياء التراث العربي، بيروت: 1415هـ/1985م، ج1 ص224.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلـــب الثاني : الآفاق : جاء في اللسان : الأُفق والأُفُق مثل عسر وعسر : ما ظهر من نواحي الفلك وأطراف الأرض، وكذلك آفاق السماء ونواحيها "[1]. وجاء في مختار الصحاح : "الآفاق : النواحي الواحد أفق"[2]. أما في القرآن الكريم فوردت لفظة "الآفاق" بمشتقاتها في ثلاث مواضع هي :

(1) قوله عز وجل : ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[3].

(2)- قوله عز وجل : ﴿**وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى(7)**﴾[4].

(3)- قوله عز وجل : ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ** (23)﴾[5]. وبين أنها وردت في المواضع الثلاثة بمعنى واحد.

قال القرطبي في تفسير الآية الأولى : قال عطاء وابن زيد أيضا: في الآفاق ؛ يعني أقطار السماوات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والأشجار والجبال[6]. فالآفاق هي هذه الموجودات المتنوعة غير الإنسان مثل السماوات والأرض والجبال والأنهار والثمار وغيرها وحتى الحيوان والطير .

وآيـــات القرآن الكريم التي تزخر بذكر هذه المظاهر تعد بالمئات (السماء 118 مرة الأرض 445، الرياح ؛ الريح 18 الجبال 31، الشمس 32، القمر 26).

وهـــي واردة في سياق التذكير، والتدليل بها على عظمة الخالق في جانب، وفي جانب آخر حث على النظر فيها والتعرف إليها وتسخيرها دون شطط مع المحافظة عليها، حيث إن الله عـــز وجل أناط الخلافة بآدم بعد أن زوده بعلم الأسماء،قال الله عز وجل:﴿**وَعَلَّمَ**

---

(1) لسان العرب ج10 ص5 .

(2) مختار الصحاح ص19 .

(3) سورة فصلت الآية : 53.

(4) سورة النجم الآية : 7 .

(5) سورة التكوير الآية : 23 .

6 محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، دار الحديث، القاهرة: 1416هـ/1996م ج15، ص 358.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(31)قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(32)﴾[1] ويظهر لنا من خلال الآيات أن عجز الملائكة عن معرفة الأسماء ومعرفة آدم لها راجع إلى كون هذه الأسماء متعلقة بالعالم الطبيعي المحسوس في بعض جوانبها فلو كانت من قبيل العالم الروحاني لكان الملائكة أقدر على معرفتها وبالتالي فلا شأن للملائكة بهذا العالم ولا بمعاناة معرفته، وأما معرفة آدم لها فنحسب أن ذلك يدخل في إعداده لمهمة الخلافة وبالتالي تزويده بما يلزم وما يحتاجه من شروط ومؤهلات ،وشرائع وأحكام، ولا شك أن من هذه الشروط معرفة كيفية التعامل مع العالم الطبيعي، ومن ثم فإن علم الأسماء في اعتقادنا متعلق بالبيئة والوسط الذي أنزل فيه آدم ليتحرك فيه ولعلنا لا نكون مجانبين للصواب إذا قلنا إن حديث القرآن الكريم عن الآفاق واستغرق شطرا لا بأس به من آياته وإن تعددت واختلفت سياقات إيرادها إنما كان بقصد التنبيه والتأكيد على تقديرها إذ لاشك أن اهتمام القرآن الكريم بالآفاق، وتخصيص هذا الحيز الكبير للحديث عنها جدير بالاهتمام بحيث يصبح من المحتم الأخذ بتوجيه القرآن الكريم ويكون الاهتمام بها بنفس الدرجة التي أولاها القرآن الكريم.

ولقد تنوعت أساليب القرآن في الدعوة إلى النظر في الآفاق، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ(11)﴾ [2]وقال : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [3]. وقال: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ

(1) سورة البقرة الآية32.

(2) سورة الأنعام الآية :11 .

(3) سورة الأنعام الآية : 99 .

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [1]، وقوله أيضا : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [2]. ففي هذه الآيات دعـــوة إلى السير في الأرض لتقصي أخبار الأولين، وفيها دعوة إلى النظر في الثمار وإلى ينعها، وكيف تخرج من المـــاء، وفيها دعوة إلى النظر في أقطار السماوات والأرض والتفكر فيها، إن هذه الدعوة المتكررة علـــى ما يبدو في هذه الآيات وفي غيرها كلها تربط "التأمل بالملاحظة : الأول دين، والثاني علـــم أو علـــى الأرجح إرهاصات علم"، [3] إنها تجعل فعل النظر مطلبا شرعيا تعبديا يثاب فاعله ويذم تاركه. وبالتالي يكون النظر مطلوبا من كل مسلم كل بحسب مستواه.

يقول أبو عبد الله القزويني في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: ليس المراد بالنظر تقليب الحدقة نحو السماء فإن البهائم تشارك الإنسان فيه، ومن لم ير من السماء إلا زرقتها، ومن الأرض إلا غبرتها فهو مشـــارك للـــبهائم في ذلك وأدنى حالا منها وأشد غفلة كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[4]" [5].وذكر القلب والعين والأذن المقترن بالتشنيع على كل من لا ينتفع بهما، فيه إشارة إلى تكامل هذه الحواس، والاكتفاء بواحدة منها ينتج عنه قصور واضح في المعرفة لا يجبر إلا بإعادة التكامل الضائع.

ثم إن النظـــر في ملكوت السماوات والأرض بما اشتملت عليه بحواس متيقظة مـــتكاملة ينبغي أن يصحبه وعي بالتكامل والترابط الموجود بين شتى أجزاء الموجودات،

---

(1) سورة يونس الآية :101 .

(2) سورة آل عمران الآية :191 .

(3) علي عزت بيغوفيتش الإسلام بين الشرق والغرب مؤسسة بافاريا ميونيخ ألمانيا ص305.

(4) سورة الأعراف الآية : 179 .

(5) أبـــو عبد الله القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات نقلا عن : أحمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية في الفكر العلمي. ط1 (دار الهداية 1418هـــ/1997م) ص144.

ذلـــك لأن " الوجود الكوني وحدة مترابطة المرافق والأجزاء، فلا تستقيم معرفة أي جزء منه إلا ضمن قاعدة واسعة من البصيرة العلمية بالدائرة الكونية كلها"[1].

المطلب الثالث:الفطرة البشرية: الفطرة في اللغة من الفعل فطر، أي بدأ وخلق، وفي القرآن الكريم وردت 20مرة، منها 15مرة وردت بمعنى خلق، والمرات الخمس الباقية وردت بمعنى تشقق مثل قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ [2].

وقبل أن نستعرض ما نراه يمثل الدلالة القرآنية للفطرة يجدر بنا أن نعرج على ما قاله العلماء في معناها وخاصة علماء التفسير منهم .

وقف المفسرون عند كلمة الفطرة الواردة في القرآن الكريم، ولهم في معناها كلام طويل، ومقامنا هذا ليس مقام استعراض أقوالهم بالتفصيل، بل سنقتصر على أهم الأقوال بما يناسب غرضنا، وللمفسرين في بيان معناها قولان رئيسان مدارهما على تفسير قول الله عز وجل : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(30)﴾ [3]، وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ(173) ﴾ [4] وهذان القولان هما :

1-الفطرة هي الإسلام : قال القرطبي :" اختلف العلماء في الفطرة المذكورة في الكـــتاب والسنة على أقوال متعددة؛ منها الإسلام؛ قاله أبو هريرة وابن شهاب وغيرهما؛ قالوا: وهو المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل واحتجوا بالآية وحديث أبي هريرة

---

(1) محمـــد ســـعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنســـانية في القرآن الكـــريم، ط3 دار الفكر ، بيروت: 1998 ص12

(2) سورة الشورى الآية : 5 .

(3) سورة الروم الآية : 30 .

(4) سورة الأعراف الآيتان : 172-173 .

وعضـــدوا ذلـــك بحديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺقال للناس يوما ألا أحـــدثكم بمـــا حدثني الله في كتابه أن الله خلق آدم وبنيه حنفاء مسلمين وأعطاهم المال حـــلالا لا حرام فيه فجعلوا مما أعطاهم الله حلالا وحراما الحديث وبقوله ﷺخمس من الفطرة فذكر منها قص الشارب وهو من سنن الإسلام وعلى هذا التأويل فيكون معنى الحديث أن الطفل خلق سليما من الكفر على الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه وأنهم إذا ماتوا قبل أن يدركوا في الجنة أولاد مسلمين كانوا أو أولاد كفار" [1].

وحـــديث أبي هريرة الذي أشار إليه القرطبي هو قوله ﷺ: " كل إنسان تلده أمه علـــى الفطـــرة وأبواه بعد يهودانه وينصرانه ويمجسانه فإن كانا مسلمين فمسلم ،كل إنســـان تلـــده أمه يلكزه الشيطان في حضنيه إلا مريم وابنها" [2]. وأصحاب هذا الرأي يفســـرون الآية من سورة الأعراف المذكورة سلفا تفسيرا استأنسوا فيه ببعض الأحاديث الـــواردة في هذا الباب فقالوا بأن الميثاق وقع حالا ومقالا ثم بحثوا في شأن الموضع الذي أخذ فيه الميثاق، ثم بنوا على هذا قولهم بفطرية التوحيد، وأن هذا يشير إلى معرفة سابقة. قـــال القرطبي: "وقيل إنه سبحانه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد وأنه جعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها"[3].

2- الفطـــرة هي الخلقة : أورد القرطبي هذا الرأي وقال :" وقال آخرون الفطرة هي الـــبداءة الـــتي ابـــتدأهم الله عليها أي على ما فطر الله عليه خلقه من أنه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاء وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ قالوا والفطرة في كلام العرب البداءة، والفاطر المبتديء، واحتجوا بما روى عن ابن عباس أنه قال لم أكن أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتى أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها قال المروزي :كان أحمد بن حنبل يذهب إلى هذا القول ثم تركه قال أبو عمر في كتاب

(1) تفسير القرطبي ج: 14 ص: 28

(2) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب معنى: كل مولود يولد على الفطرة، رقم 6656 ، ص 1309

(3) القرطبي، ج 7، ص 299

التمهيد له ما رسمه مالك في موطئه وذكر في باب القدر فيه من الآثار يدل على أن مذهبه في ذلك نحو هذا والله أعلم، ومما احتجوا به ما روي عن كعب القرظي في قول الله تعالى فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة قال من ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره إلى الضلالة وإن عمل بأعمال الهدى ومن ابتدأ الله خلقه على الهدى صيره إلى الهدى وإن عمل بأعمال الضلالة ابتدأ الله خلق إبليس على الضلالة وعمل بأعمال السعادة مع الملائكة ثم رده الله إلى ما ابتدأ عليه خلقه قال وكان من الكافرين" [1] وجملة ما أورده القرطبي هنا يتضمن الإشارة إلى قولي أولهما : أن الفطرة هي البداءة التي ابتدأهم الله عليها وثانيهما القول بأن الفطرة هي ما سبق في علم الله مما يصير إليه حال المرء في متقلبه ومثواه، والأول في نظرنا هو الأقرب إلى الصواب. وهو يتفق مع ما ذكره القرطبي في تفسير معنى الإشهاد، حيث قال:

"وقد تكلم العلماء في تأويلها وأحكامها فنذكر ما ذكروه من ذلك حسب ما وقفنا عليه فقال قوم معنى الآية أن الله تعالى أخرج من ظهور بني آدم بعضهم من بعض قالوا ومعنى أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم دلهم بخلقه على توحيده لأن كل بالغ يعلم ضرورة أن له ربا واحدا ألست بربكم أي قال فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم والإقرار منهم كما قال تعالى في السماوات والأرض قالتا أتينا طائعين ذهب إلى هذا القفال[2] وأضنب"[3].

وهذا القول الذي نص عليه القرطبي في تفسير معنى الإشهاد الوارد في الآية ذكره الزمخشري قبل ذلك، حيث قال : هذا " من باب التمثيل والتخييل، ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربو بيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك، وباب التمثيل

---

(1)القرطبي ج14 ص28

[2]هو أبو بكر محمد بن إسماعيل القفال الشاشي الفقيه الشافعي،(290هـ/368هـ) كان فقيها محدثا لغويا شاعرا، لم يكن بما وراء النهر للشافعيين مثله. ابن خلكان ، وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، ج4 ص200.

(3) القرطبي، ج 7 ، ص 314 .

واســـع في كلام الله ورسوله وكلام العرب ونظيره قوله تعالى:﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(40)﴾[1] ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ(11)﴾ [2].. ومعلوم أنه لا قول ثم وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى "[3]، ومن هذا القبيل ما أورده جمال الدين القاسمي وعزاه إلى الحاكم الجشمي[4]، حـــيث قـــال: " قال الجشمي : أي أشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقته وغرائب صنعته، من أعضاء سوية وحواس مدركة، وجوارح ظاهـــرة، وأعصاب وعروق وغير ذلك، مما يعلمه من تفكر فيه، وكلها تدل عليه وعلى صفاته ووحدانيته فبالإشهاد بالأدلة صار كأنه أشهدهم بقوله" [5]، وهذا القول هو الذي نصـــره ابن كثير وصاحب المنار وقال ابن عاشور بما يفيد معناه [6]. ومن خلال ما ساقه المفسرون في معنى الفطرة من جهة ومعنى الإشهاد من جهة ثانية وجعلهم الإشهاد قائما بالفطرة صار لزاما البحث في معنى الفطرة في القرآن الكريم فماذا تعني الفطرة في القرآن الكريم يا ترى؟

تبين لنا فيما سبق أن الفطرة وردت في القرآن الكريم (20) مرة منها (15) مرة بمعـــنى خلق والمرات الخمس الباقية بمعنى تشقق، وفعل الخلق شامل للسموات والأرض والإنســـان والحـــيوان والطـــير وغيرها من المخلوقات، وحديث القرآن الكريم عن فطر

(1) سورة النحل الآية : 40 .

(2) سورة فصلت الآية :11 .

(3) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .ط3 بيروت دار الكتاب العربي : 1407هـ/1987 م ج2 ص176،177

(4)هو أبو سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي الجشمي [413هـ/ 494هـ] وهو من شيوخ المعتزلة في زمـــنه، وكـــان شيخ الزمخشري، له عدة كتب في التفسير منها: التهذيب في التفسير، التفسير المبسوط، التفسير الوجيـــز، قيل إنه قتل بسبب رسالة رد فيها على الأشاعرة أسماها :"رسالة إبليس إلى إخوانه المناحيس" ، وكتابه التهذيب في التفسير قيد التحقيق من قبل عدنان زرزور.

(5) محمد جمال الدين القاسمي ، محاسن التأويل .ط1 دار إحياء الكتب العربية 1377/1958م ج7، ص2897 وما بعدها .

(6) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير . دار سحنون للنشر تونس ج9 ص168 .

الإنسان وخلقه حديث متنوع، تارة يكون الحديث عن حسن خلق الإنسان الذي يظهر في شكله وصورته، قال عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، وقال أيضا: ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ(6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ(7)فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [2]، وتارة عن حسن الستقويم الذي عليه الإنسان جملة، قال عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [3]، ثم إن الله عز وجل جعل حسن التقويم الذي خلق عليه الإنسان دليلا عليه بأن جعله محلا لظهور آياته، قال عز وجل : ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [4]، فالإنسان بهيئته التي ركب عليها هو الشاهد على نفسه، فالله عز وجل يوم القيامة ينطق جوارح الإنسان فتكون الشهادة من نفسه، قال عز وجل : ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [5]. وعلى ذلك فالفطرة في الإنسان ليست شيئا قائما بذاته يشغل حيزا ما في الإنسان، بل هي الإنسان كله، وفي تقديرنا فإن فهم الفطرة على أنها جوهر قائم بذاته هو من جنس القول بجوهرية العقل أيضا، وما هو إلا أثر من آثار علوم الأوائل وروح القرآن منافية لهذا الموقف والله أعلى وأعلم.

والقرآن الكريم عندما حث الإنسان على طلب المعرفة وجهه إلى نفسه : قال الله عز وجل: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ(20) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[6] وقوله عز وجل ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ

(1) سورة غافر الآية : 64 .
(2) سورة الانفطار الآية : 6 - 8 .
(3) سورة التين الآية 4 .
(4) سورة الذاريات الآية : 21 .
(5) سورة يس الآية : 65 .
(6) سورة الذاريات الآية :20-21

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(53)﴾ [1] فهذه الآيات كافية للدلالة دلالة صريحة على أن النفس تمثل مصدرا لا غنى عنه من مصادر المعرفة، كما تشير الآيات السابقة إلى أن النظر في النفس لا يعارض النظر في الآفاق كما توهمت كثير من الفلسفات التي رأت في النظر في العالم الخارجي معرقلا للجهد المبذول في معرفة النفس، بينما في القرآن الكريم نجد الأمرين يسيران معا دون تعارض بينهما بل إن أحدهما قد يساعد في معرفة الآخر، ولا شك أن هذه الرؤية المنهجية كفيلة بتجاوز التعارض الموهوم الذي روجت له منظومات فلسفية غربية عديدة وهو التعارض الذي وصل حد التنابذ بين الإنسان والعالم الخارجي وحول العلاقة بين الإنسان ومحيطه من علاقة مودة وألفة إلى علاقة صراع .

(1) سورة فصلت الآية : 53

المبحث الثالث: وسائل المعرفة :

لاشـــك أن اكـــتمال النظرة إلى المعرفة المطلوبـــــة لتحقيق خلافة الإنسان في الأرض يتطلب البحث في وسائل المعرفة، قصد إعادة تقديرها وإنزال كل منها في الموضع المناسب، فما هي الوسائل المتاحة للإنسان لتحصيل المعرفة الكفيلة بجعله خليفة ؟ .

المطلب الأول: الحس والعقل: لعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن السبب الرئيس في ظهور ما يعرف بالنزعة العقلية والنزعة الحسية في نظرية المعرفة، وما نتج عنه من نزاع طويل مازال مستمرا بينهما حتى اليوم في صور مختلفة، هو التفرقة بين ما هو حسي وما هـــو عقلي، ووضع حاجز بينهما يجعل ربط الصلة بينهما ووضعهما في سلك واحد من قبـــيل الجمع بين المتناقضات، فلا سبيل إلى القول بأحدهما إلا بنفي الآخر، وفي تقديرنا وانطلاقا من القرآن الكريم، فإن هذه التفرقة تفتقد إلى المصداقية، بل ليس هناك ما يسوغ الميل إليها، صحيح أن كل معرفة متعلقة بالعالم المادي تبدأ بالمحسوس، غير أن المعطيات الحسية وحدها لا ترقى إلى درجة تزويدنا بالمعرفة بمعناها الحقيقي مهما تكررت، والذي يجعـــل هذه المحسات ذات قيمة معرفية هي حركة التعقل في الإنسان، ولهذا نجد حديث القـــرآن الكـــريم عن المعرفة الآتية من طريق الحواس مقرونا دوما بالدعوة إلى استعمال دلالات العقل الكفيلة بإعطاء معنى لهذه المحسات، سواء في دعوته المستمرة إلى استخدام الحـــواس، أو في التعـــريض بمن لا يقدرون على استعمال حواسهم وأفئدتهم بالمستوى المطلـــوب، فليس في القرآن الكريم فصل بين ما هو محسوس وما هو معقول، وما سادت هذه التفرقة مختلف شعب المعرفة الإسلامية إلا بتأثير من الفلسفة اليونانية، التي سرعان ما نقلـــت إلى المســـلمين الصبغة الأخلاقية التي ألصقتها بالمحسوس والمعقول، حيث قالت بشـــرف المعقول وخسة المحسوس. [1] وكان من نتائجها أيضا " تقديس العقل بما يقرب من التأليه حتى إنه يجوز الكلام بهذا الصدد عن نوع من الوثنية العقلانية "[2].

(1) طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ط1 المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء: 2000 م ص154 .

(2) طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق ص155 .

فالقـــرآن الكريم عد الحواس من جملة نعم الله التي أنعم بها على الإنسان قال عز وجـــل: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [1]، وقال أيضا : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [2] ،وقال عز وجل أيضا: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [3]، ففي هـــذه الآيات نجد ذكرا للسمع والبصر والفؤاد مع دعوة الإنسان إلى مقابلتها بالشكر، ومع عدها من أنعم الله عز وجل فإن القرآن الكريم حث على استعمالها لتحصيل المعارف والعلـــوم وشـــنع علـــى الذين ألغوا أسماعهم وأبصارهم وعقولهم وجعل ذلك سببا في خسرانهم وورودهم جهنم، قال الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [4]، قال الرازي في تفسير هذه الآية :" أما قوله : ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ فتقريره أن الإنسان وسائر الحيوانات متشاركة في قوى الطبيعة الغاذية والنامية والمولدة، ومتشاركة أيضا في منافع الحواس الخمس الباطنة والظاهرة، وفي أحوال التخيل والتفكر والتذكر، وإنما حصل الامتياز بين الإنسان وبين سائر الحيوانات في القوة العقلية والفكرية التي تهديه إلى معرفة الحـــق لذاته، والخير لأجل العمل به. فلما أعرض الكفار عن اعتبار أحوال العقل والفكر ومعـــرفة الحق والعمل بالخير كانوا كالأنعام، ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن الحيوانات لا قـــدرة لها على تحصيل هذه الفضائل والإنسان أعطي القدرة على تحصيلها، ومن أعرض عن اكتساب الفضائل العظيمة مع القدرة على تحصيلها، كان أخس حالا ممن لم يكتسبها مع العجز عنها "[5]، وليس المقصود من السمع والبصر هنا مجرد توظيف لحاسة السمع أو

(1) سورة النحل الآية : 78 .

(2) سورة المؤمنون الآية : 78 .

(3) سورة الملك الآية : 23 .

(4) سورة الأعراف الآية : 179 .

(5) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب ط 3بيروت : دار الفكر 1405هـ /1985 م ج 15 ص 68

البصـــر بالمعنى البسيط فقط، بل إن المقصود من السمع هو اكتساب المعرفة التي توصل إلـــيها الآخرون، والبصر يمتد إلى تنمية هذه المعارف بما يضاف إليها من خبرات ،وهذا التوظيف لا يتم كما اتفق، بل إن ذلك يجب أن يكون محاطا بقدر من المسؤولية لقوله عز وجل:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا(36)﴾ [1].

وقوله عز وجل: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [2]وقال أيضا: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [3]. وهذه الآيات صريحة في وجوب استثمار الحواس، وفي الوقت نفسه ربطها بفعل التعقل والفقه الذي نسب بدوره إلى القلب. وليس المراد بالنظر تقلـــيب الحدقـــة نحو السماء فإن البهائم تشارك الإنسان فيه، ومن لم ير من السماء إلا زرقتها، ومن الأرض إلا غبرتها، فهو مشارك للبهائم في ذلك وأدنى حالا منها[4].

والقـــرآن الكـــريم استثار قوى الحس والعقل عند الإنسان، وعرض أمامه صورا بهيجة لمخلوقاته عرضا يصل حد التأنيب لمن لا يقف أمامها بالتأمل تارة والملاحظة تارة أخرى، فكونها صورا تبدو مألوفة للإنسان بسبب تكرارها المستمر أمام ناظريه، جعله في أحيان كثيرة لا يلقي لها بالا، ويمضي كأن لم يرها، هذه الحالة يراها القرآن الكريم قصورا عـــند الإنسان ينبغي أن يتجاوزه، وتجاوزه يكون بالوقوف وقفة تأمل وملاحظة، وعدم الاستســـلام للمألوف من العادات في كل شيء، بما فيها ما يتصل بالظواهر التي تمر أمام أعينـــنا وأسماعـــنا صباح مساء والله عز وجل ذم هذا المسلك في غير ما آية، قال الله عز وجـــل: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا

(1) سورة الإسراء الآية: 36

(2) سورة الفرقان الآية 44 .

(3) سورة الملك الآية 10 .

(4) أبو عبد الله القزويني ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات . نقلا عن أحمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية في الفكـــر العلمـــي، ص144 ، وهو زكريا بن محمد الكوفي القزويني(ت 682هـــ)، كشف الظنون: ج2ص 1127.

مُعْرِضُونَ﴾[1]، وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [2]، وقوله عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ(27)وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ(28)﴾ [3]، ففي هذه الآيات الكريمات استثارة واضحة لقوى الحس عند الإنسان، وهي تكون ذات معنى عند من يعقل، فالمحسات وحدها ليست معرفة.

المطلب الثاني: القلب : هو وسيلة أيضا من وسائل المعرفة، وباستقراء القرآن الكريم نجده ذكر 134مرة، وقد ورد ذكره في مواضع كثيرة مقرونا بالسمع والبصر، مثل قوله عز وجل: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4]، وورد مقرونا بالفقه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[5]، وبالعلم في قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[6] ، وبالتدبر أيضا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[7] ، كما جعله القرآن محلا لليقين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [8]، وجعله محل تلقي

(1) سورة يوسف الآية 105.
(2) سورة البقرة الآية 164 .
(3) سورة فاطر الآية 27 ، 28 .
(4) سورة البقرة الآية :7.
(5) سورة الأعراف الآية 179.
(6)-سورة التوبة الآية93 .
(7) سورة محمد الآية 24 .
(8) سورة البقرة الآية 260.

الوحـــي الإلهي عند الأنبياء في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193)عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [1]. فآيات القلب في القرآن " تعبر عن عالم كبير اتسعت معانـــيه وتعـــددت جوانبه حتى لم يعد بإمكاننا حصره في المعاني العاطفية وحدها أو في المعـــاني العقلـــية، بل جاءت هذه الآيات تعبر عن وظائف مختلفة"[2] ومتداخلة يقوم بها القلـــب، ويمكن القول بأن هذه الوظائف المنوطة بالقلب متدرجة من مرتبة كونه محلا للعلـــم والاعتبار، إلى مرتبة كونه محلا لليقين والطمأنينة، ليرتقي بعدها إلى منزلة موطن كلام الله الذي حمله الروح الأمين[3].

والقلب في السنة النبوية صلاحه أساس صلاح أعمال الإنسان، مثلما هو بالضبط منـــبع صـــلاح الجسد بحكم أنه المسؤول عن إيصال الدم المغذي إلى أعضاء البدن، قال رســـول الله ﷺ: " ألا وإنّ في الجَسَد مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسدُ كلّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسَدُ كله، أَلا وهِيَ الْقَلْبُ "[4].

ومـــن خلال هذه المعاني التي اقترنت بالقلب يظهر أن القلب وسيلة من وسائل المعـــرفة، لكنه وسيلة غير مستقلة عن غيرها من الوسائل، ويمكن عده من زاوية أخرى تعبيرا عن الوحدة والاتصال بين وسائل المعرفة من جهة، ومستقرا للمعارف المتولدة عنها من جهة أخرى .

وللقلـــب عـــند علمـــاء المسلمين مكانة خاصة، وخصوصا عند رجال الله من الصـــوفية، الذين أدركوا الحاجة إلى الربط بين المعرفة والأخلاق في المبدأ والمنتهى، وكان ربطهم مؤسسا على قول الله عز وجل : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[5] وعلى قول

(1) سورة الشعراء الآية 194

(2) فاطمـــة إسماعيل محمد إسماعيل، القرآن والنظر العقلي، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي : 1420هـــ/ 2000م، ص85

(3) فاطمة إسماعيل محمد إسماعيل، القرآن والنظر العقلي، ص 87

(4) أخـــرجه البخاري في كتاب الإيمان عن النعمان بن بشير، باب فضل من استبرأ لدينه وعرضه ، رقم52، ص 27

(5) سورة البقرة الآية : 282

الرسـول ﷺ:" إن اللّـهَ قال: من عادَى لي وَليّاً فقد آذَنْته بالحرب. وما تقرّب إليّ عـبدي بشيءٍ أحب إلي مما افتَرَضْته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحـبه، فإذا أحبَبته كنت سمعه الذي يسمع به وبَصرَه الذي يبصر به ويدَه التي يبطِش بها، ورجله التي يمشي بها، وإنْ سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذ نه. وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله ترَدّدي عن نفسِ المؤمن يكرَه الموتَ وأنا أكرَه مَساءته"[1] ، وبنوا علـى مـثل هذه النصوص قولهم بأن الاجتهاد في العبادة والتقرب إلى الله بالنوافل وسائر الطاعات، من شأنه أن يجعل المؤمن يرى بنور ال،له ويصبح قلبه محلا لحصول معـارف جـودا وكرما من الله، وهي غير مضنون بها على أحد، ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله [2].

وأقـل ما يمكن قوله بشأن هذا المسلك في اعتبار القلب والإشادة به وعده محلا للمعـرفة اللدنية، أنه بلغ في هذه الإشادة حدا جعله يزدري أنماط المعرفة الأخرى، فوقع بـذلك في مـأزق التفريق بين قوى الإنسان التي يحصل بها المعرفة، شأنه في ذلك شأن فلاسـفة الإسـلام الذين وقعوا تحت تأثير الفلسفة اليونانية التي لم تعرف نعمة الوحي، حيث غالوا في تقدير العقل متابعة لها .

والشـأن نفسه يقال في النمط المعرفي الغربي العائد في جذوره إلى الفلسفة اليونانية والذي أصبح مهيمنا على مختلف قطاعات المعرفة بما فيها الإسلامية منها، فهذا النمط المعرفي يرى أن المعرفة إما حسية أو عقلية، واستبعد بذلك المعرفة الآتية بطريق الوحي، حتى إذا جاء إلى ما عرف عند الصوفية المسلمين بالمعرفة اللدنية سماها حدسا وأرجعها إلى النشاط العقلي المجرد إمعانا منه في رفض المعرفة التي تسند إلى القلـب، علـى اعتبار أن القلب عنده مستقر العواطف الوجدانية، وإذا ما جوبه بـتجارب دينية، سعى إلى تفسيرها تفسيرا نفسيا وضعيا، فنسبها تارة إلى الهلوسة، وتارة قال عنها إنها من قبيل الأمراض العصبية.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، كتاب الرقاق، باب التواضع حديث رقم6502، ص1160، 1161

(2) أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ج1 ص225

إن الـــوحدة المعرفية التي رأينا ملامحها في آيات قرآنية عدة والمؤسسة بذلك على التوحيد هي الكفيلة بأن تبعد شبح الإنشطار الحاصل في المعرفة الإنسانية المبني على شطر الإنســـان إلى شـــطرين، كما أنها كفيلة بتحقيق التفاعل السليم بين الإنسان والعالم من حوله، بحيث لا تنفصل المعرفة عن القيمة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع: الغاية من المعرفة:

لاشك أن مجرد البحث في الغاية من المعرفة يستبعد من البداية الرأي الذي يرى فيه أصحابه أن السؤال عن الغاية من المعرفة سؤال غير مشروع من أساسه على اعتبار أن الباحث عن المعرفة لا يسائل نفسه عن الغاية منها، لأن هذا البحث في نظره إرضاء للرغبة في المعرفة وحسب، واستبعادنا لهذا الرأي يستند إلى فرضية مفادها أن السؤال حول الغاية من المعرفة سؤال وثيق الصلة بكل جهد يبذل في سبيلها، ذلك أن كل معرفة تسعى إلى أن تكون ذات معنى، والغاية التي تجعل لها معنى ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظرة إلى الحياة، فمن رأى الحياة مقصورة على الدنيا وقف بها عند ما تقدمه له من منافع دنيوية،وجعل الهدف هو الارتقاء المادي وقهر الطبيعة أما من رأى الحياة تمتد إلى ما بعد الموت، فجعلها وفق رؤيته هذه، وجعل الهدف هو الارتقاء الروحي لكن هناك من لم يجعلها وسيلة إلى غاية بل جعلها الغاية نفسها، ونعتقد أن هذه الغايات ليست متعارضة حتى نكون ملزمين باختيار أحدها، بل يمكن أن تنتظم في عقد واحد، فكيف يكون ذلك يا ترى؟

إن الموقف من الغاية من المعرفة موقف يتأسس في مبدئه على النظرة إلى الحياة، والحياة من الوجهة القرآنية ليس ينهيها الموت، بل إن الموت مجرد مرحلة انتقالية في سير الإنسان نحو الخلود، خلود في الجنة أو خلود في النار، وبناء على ذلك فإن المعرفة ينبغي أن تكون خادمة لخير الإنسان في نهاية المطاف، بمعنى أن تكون معاونة ومساندة له على الوصول إلى مرضاة الله عز وجل والفوز بالجنة، ومن ثم فكل معرفة على أي مستوى كانت لا تجعل مرضاة الله نصب عينها ليست بذات قيمة، وأول معرفة دعا إليها القرآن وأشاد بها، هي معرفة الله، فهي المعرفة الحقيقية، ومن ثم فحقيقة المعرفة تنتفي عن كل معرفة لا توصل إلى الله، قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا

﴿يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ(28)﴾ [1]، فالخشية هنا مترتبة على العلم، والعلم هنا بمعناه الواسع، والآية خصت العلم بالكتاب المنظور، وفيها البيان الشافي لكل من يعتقد أن العلم المطلوب شرعا هو ما تعلق بالكتاب المسطور وحسب، والعلم الذي تترتب عليه الخشية حقا هو العلم الذي لا يقتصر فيه صاحبه على الخبرة، بل يمتد إلى العبرة، وأما العلم الذي يتوقف به عند الخبرة فأصحابه قطعوا نصف الطريق، وهؤلاء قال الله عز وجل فيهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [2] قال الله عز وجل داعيا الإنسان إلى النظر والاعتبار ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [3] فالذي يسير في الأرض بأذن واعية وعين مبصرة وقلب مفتوح، يدرك أن العمران غير القائم على معرفة الله الحق وتوحيده مآله الزوال وأن الشرك مؤذن بخراب العمران .

والعلم والمعرفة المقصودان هنا ليسا منفصلين عن العمل، بل إن قيمتهما الحقيقية تكتسبانها بالعمل، وكل معرفة أو علم ليس متبوعا بالعمل فهو كشجرة خبيثة اجتث من فوق الأرض مالها من قرار، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [4]، وقال في وصف أعمال الكفار غير القائمة على المعرفة الحقة : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [5]، وقد أحسن ابن رشد عندما قال :" وينبغي أن تعلم أن مقصود الشرع إنما هو تعليم العلم الحق، والعمل الحق، والعلم الحق هو معرفة الله تعالى وسائر الموجودات على ما هي

(1) سورة فاطر الآية 27 ، 28 .
(2) سورة الروم الآية 7 .
(3) سورة الروم الآية 9 .
(4) سورة فصلت الآية 33 .
(5) سورة إبراهيم الآية 18 .

عليـــه وبخاصة الشريفة منها ومعرفة السعادة الأخروية والشقاء الأخروي"[1]. فكل فعل معـــرفي" على خلاف الظن السائد، يعد فعلا خلقيا في الممارسة الإسلامية بدليل وقوعه تحت الحكم بالحسن والقبح، فهناك المعرفة التي تجلب الخير فتكون حسنة، وهناك المعرفة التي تجلب الشر، فتكون قبيحة " [2].

ومن هذا المنظور يصبح كل عمل ينجز عملا صالحا إذا كان مؤسسا على المعرفة الحـــق، حيث يصبح السعي في تحصيل الرزق عملا صالحا، وتعمير الأرض عملا صالحا، والتجارب العلمية عملا صالحا [3]. وانطلاقا من هيمنة هذا الناظم الإيماني تصبح الغايات القـــريبة المبـــتغاة من العلم والمعرفة غايات مشروعة، حتى لو كانت غايات دنيوية، لأنها كـــذلك مـــن حيث الظاهر فقط ، حيث يصبح إرضاء حب المعرفة والرغبة في العلم له مكانـــه، وإدراج هذه الغاية في نطاق العمل الحق ليس مزحزحا لهذه الغاية عن مكانها، وجعل هذه الغاية الدنيوية خادمة للأخروية هو مما يزيد في قيمتها ولا ينقص.

وحتى يتبين لنا هذا الترابط بين المعرفة واستخلاف الإنسان على وجهه الحقيقي، لابد من الاقتراب من معنى الخلافة و بيان أسسها.

(1) فلسفة ابن رشد ص31 .

(2) طه عبد الرحمان، سؤال الأخلاق ، ص172 .

(3) علـــي عـــبد العظيم ، فلسفة المعرفة في القرآن الكريم ، الهيئة العامة للمطابع الأميرية ، القاهرة: 1393هـــ/ 1973م ص273 .

الفصل الثاني :

الاستخلاف ومفهومه في القرآن الكريم والفكر الإسلامي .

المبحث الأول : مفهوم الخلافة والاستخلاف

المبحث الثاني : الخلافة في الفكر الإسلامي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

مكانة الإنسان في الإسلام مكانة سامية بين مخلوقات الله، وهذه القضية ليست محل سؤال، فهي محسومة من البداية، على خلاف كثير من الفلسفات التي طرحت الأسئلة حول قيمة الإنسان ومكانته، حتى زعم من زعم أن الإنسان ألقي به في عالم غير مكترث به، ولاشيء يميزه عن غيره من الكائنات يجعله يحتل مكانة خاصة، سوى ما يملكه من عقل يحتال به على غيره من المخلوقات. لكنه في الإسلام كائن مكرم محوط بجميع معاني التكريم والتفضيل، فالله عز وجل كرمه وفضله على كثير من المخلوقات، قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [1] .

ولا شك أن أبرز وجوه التكريم والتفضيل هو جعله خليفة في الأرض مع ما يستتبع هذا الجعل من منح كثير من الميزات والخصائص الجسدية والعقلية والوجدانية التي يقدر بها على عمارة الأرض، وما من شأنه أن يمكنه من أداء الأمانة التي قبل النهوض بتكاليفها بعد أن عرضت على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها ، لكن هناك جملة من الأسئلة تبقى تطرح نفسها في هذا الشأن حول معنى الخلافة والاستخلاف وعمن تكون ، وما هي عناصر هذا الاستخلاف وأسسه التي يقوم عليها ؟

(1) سورة الإسراء الآية 70 .

المبحث الأول : مفهوم الخلافة والاستخلاف

المطلب الأول: في اللغة

جاء في لسان العرب :"خَلَف فلان فلانا إذا كان خليفته، يقال: خلفه في قومه خلافة، وفي التنزيل العزيز ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [1]، وخلفته أيضا؛ إذا جئت بعده، ويقال: خلّفتُ فلانا أخلّفه تخليفا و استخلفته أنا جعلته خليفتي، واستخلفه جعله خليفة، والخليفة الذي يُستخلف ممن قبله، والجمع خلائف ... ومخلاف البلد سلطانه"[2]. فالخليفة على ذلك هو الذي صار إليه أمر تدبير من استخلف فيه، أو من يقوم مقام المستخلف في تنفيذ ما أسند إليه.

وقال الراغب الأصفهاني:" خلف فلان فلانا قام بالأمر عنه إما معه وإما بعده، قال تعالى:﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾[3]، والخلافة النيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض" [4].

ونحسب أن ما ذهب إليه الراغب الأصفهاني من أن الخلافة قد تكون لتشريف المستخلَف هو تخريج مذهبي، بمعنى؛ أنه ذهب إلى هذا الرأي تأييدا لمن مال إلى القول بخلافة الإنسان لله. وهذا دون أن يكون له شاهد من اللغة يسوغ ما ذهب إليه.

وقال ابن الأنباري: والأصل في الخليفة؛ خليف بغير هاء، فدخلت الهاء للمبالغة في مدحه بهذا الوصف ، كما قالوا علامة ونسّابة وراوية[5].

وقال الزجاج: جاز أن يقال للأئمة خلفاء الله في أرضه بقوله عز وجل: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾[6].

---

(1) سورة الأعراف الآية 143 .

(2) لسان العرب ج: 5 ص: 132 .

(3) سورة الزخرف الآية : 60 .

(4) المفردات في غريب القرآن،ط1 دار المعرفة، بيروت:1418هـ/1998م، ص162.

(5) عبد الرحمان ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ط1 1384هـ/1964م ص59-60

(6) سورة ص الآية 26 .

وقال غيره: الخليفة السلطان الأعظم[1].

والظاهر أن الزجاج تجاوز ما دل عليه النص حين زاد لفظ الجلالة "الله"؛ فظاهر النص يدل على أن الله عز وجل جعل داوود خليفة في الأرض، و لم يقل خليفة لي في الأرض.

المطلب الثاني: **مفهوم الخلافة في القرآن الكريم**

وردت مادة "خلَفَ" في القرآن الكريم ست عشرة مرة بصيغ واشتقاقات مختلفة، وفي هذا المقام سوف نستقرئها ونوردها بحسب ما جاءت به في سور القرآن الكريم حسب ترتيب المصحف، مع تقديم تفسير موجز لمحل الشاهد من أقوال المفسرين، والآيات التي ورد فيها الجذر هي:

- قوله عز وجل ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [2]، قال الآلوسي:" أي خليفة الله تعالى في أرضه وكذا كل نبي استخلفهم في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم لا لحاجة به تعالى، ولكن لقصور المستخلف عليه لما أنه في غاية الكدورة والظلمة الجسمانية"[(3)] وهذا القول جرى عليه القرطبي من قبل وعزاه لابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل[4].

- وقوله عز وجل ﴿**وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ**﴾ [5]،" أي ينشئ من بعد إذهابكم﴿ **مَا يَشَاءُ**﴾ من الخلق"[6].

---

(1) لسان العرب ج: 5 ص: 132 .

(2) سورة البقرة الآية 30 .

(3) الآلوسي ، ج220/1

(4) القرطبي ج1 ص279

(5) سورة الأنعام الآية 133 .

6 الآلوسي ج7 /30

- قوله عز وجل ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]. قال الآلوسي في تفسير هذه الآية:"أي يخلف بعضكم بعضا، كلما مضى قرن جاء قرن حتى تقوم الساعة"[2].

- قوله عز وجل ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [3]. قال الآلوسي:" واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد نوح" أي في مساكنهم أو في الأرض بأن جعلهم ملوكا" [4].

- قوله عز وجل﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[5].قال الآلوسي:" أي خلفاء في الأرض أو خلفاء لهم" [6]

قوله عز وجل﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [7].

قال الآلوسي :"أي يجعلكم خلفاء" [8].

- قوله عز وجل ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ

(1) سورة الأنعام الآية 165 .
(2) الآلوسي، 71/8
(3) سورة الأعراف الآية 69 .
(4) الآلوسي 8 /156
(5) سورة الأعراف الآية 74 .
(6) الآلوسي 163/8
(7) سورة الأعراف الآية 129 .
(8) الآلوسي 30/9

سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1]. قال الآلوسي في تفسير هذه الآية:" أي كن خليفتي في "قومي" وراقبهم فيما يأتون وما يذرون، واستخلافه عليه السلام لأخيه مع أنه عليه السلام كان نبيا مرسلا مثله، قيل : لأن الرياسة كانت له دونه، واجتماع الرياسة مع الرسالة والنبوة ليس أمرا لازما كما يرشد إلى ذلك سبر قصص أنبياء بني إسرائيل" [2].

قوله عز وجل ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ [3] .قال الآلوسي :" ...أو بئسما قمتم مقامي حيث لم تراعوا عهدي و لم تكفوا العبدة عما فعلوا بعدما رأيتم مني من حملهم على التوحيد وكفهم عما طمحت نحوه أبصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا آلها كما لهم آلهة... والمخصوص بالذم محذوف أي بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم" [4] أي أن الذم ليس منصرفا إلى الخلافة نفسها بل لعدم الجري على مقتضاها.

قوله عز وجل﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[5] قال الآلوسي:" والمعنى ثم استخلفناكم في الأرض بعد إهلاك أولئك القرون التي تسمعون أخبارها وتشاهدون آثارها" [6].

قوله عز وجل:﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [7] .والمعنى خلائف في الأرض، أي من نجا من الهلاك بالطوفان جعل خليفة.

---

(1) سورة الأعراف الآية 142 .

(2) الآلوسي 44/9

(3) سورة الأعراف الآية 150 .

(4) الآلوسي 66/9

(5) سورة يونس الآية 14 .

(6) الآلوسي 82/11

(7) سورة يونس الآية : 73 .

- قوله عز وجل:﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [1]. أي يجعل ربي قوما آخرين خلفاء الأرض بدلكم.

- قوله عز وجل:﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [2]. قال الآلوسي:" أي جاء بعدهم عقب سوء ، فإن المشهور في الخَلْف ساكن اللام، ذلك والمشهور في مفتوح اللام ضده... قال النضر بن شميل : الخَلْف بالتحريك والإسكان القرن السوء، أما الصالح فالتحريك لا غير، وقال ابن جرير أكثر ما جاء في المدح بفتح اللام وفي الذم بتسكينها وقد يعكس" [3].

- قوله عز وجل:﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [4]. قال ابن كثير: " هذا وعد من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم " [5].

- قوله عز وجل:﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [6]. في الآية تذكير بسنة الله الماضية في خلقه بأن يجعل قرنا خلفا لقرن آخرين .

---

(1) سورة هود الآية 57 .

(2) سورة مريم الآية 59 .

(3) الآلوسي/109/16

(4) سورة النور الآية 55 .

(5)إسماعيل ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ط1 ،دار الفيحاء، الرياض: 1414هـ/1994م ج3 ، ص401

(6) سورة النمل الآية 62 .

- قوله عز وجل:﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾[1].والمعنى يجعلكم خلفاء الأرض يخلف بعضكم بعضا جيلا بعد جيل.

- قوله عز وجل:﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [2] قال القرطبي في تفسير هذه الآية:"أي ملكناك لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فتخلف من كان قبلك من الأنبياء والأئمة الصالحين"[3].

- قوله عز وجل:﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [4] .قال ابن كثير:"... وحث على الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه؛ أي مما هو معكم على سبيل العارية فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم، فأرشد الله تعالى إلى استعمال ما استخلفتم فيه من المال في طاعته، فإن تفعلوا وإلا حاسبكم عليه وعاقبكم لترككم الواجبات فيه "[5].

ومن خلال استعراض معنى" خلف" في اللغة وكذا مواطن ورودها في القرآن الكريم مع معانيها من أقوال المفسرين بإيجاز تبين لنا ما يلي:

أ-أن كلمة خليفة الواردة في الآيات القرآنية تدور معانيها حول ما يأتي:

1-الخليفة هو صاحب السيادة:ويمكن التماس هذا المعنى في الآية من سورة البقرة،في قوله عز وجل:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[6].

(1) سورة فاطر الآية 39 .
(2) سورة ص الآية 26 .
(3) القرطبي ج 15ص181
(4) سورة الحديد الآية 7.
(5) ابن كثير ج 4، ص391
(6) سورة البقرة الآية 30 .

والسيادة في الآية مما يعم آدم وبنيه، وهي سيادة على ما في الأرض من ثروات مكنونة، وكذلك يلتمس هذا المعنى في قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾[1]، أي خلائف الأرض نفسها، وفي قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [2]، وفي قوله عز وجل: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[3] ، ففي الآية امتنان من الله على الناس بأن جعلهم خلفاء الأرض، أي أسيادًا فيها، ميسرةً عليهم أسبابُ العيش عليها وجعل ذلك آية عليه، وفي قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ [4]، وفي الآية زيادة امتنان أيضا بمزية الخلافة التي يجب أن تقابل بالشكر والطاعة، لا بالكفر والعصيان، ومن هذا القبيل قوله عز وجل: ﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [5] .

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [6].

2- الخليفة هو صاحب السلطان: وهذا المعنى مما تسوغه اللغة، وقد جاء في لسان العرب بحسب ما أشرنا إليه من قبل " مخلاف البلد سلطانه" [7]. ويمكن التماس هذا المعنى في قول الله عز وجل: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ

(1) سورة الأنعام الآية 165 .
(2) سورة يونس الآية 14 .
(3) سورة النمل الآية 62 .
(4) سورة فاطر الآية 39 .
(5) سورة الأعراف الآية 69 .
(6) سورة الأعراف الآية 74 .
(7) لسان العرب ج5 ص132

﴿مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [1]، وظاهر من الآية أن موسى عليه الصلاة والسلام استخلف هارون في قومه وجعله مخلاف أهله بأن جعل له سلطان التصرف في غيابه مع الإصلاح، وواضح أنه لا يتمكن من الإصلاح من ليس له سلطان .

3- الخليفة هو صاحب الملك: وهذا المعنى وارد في قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ(26)﴾[2]، وظاهر الآية يفيد أن داوود أمره الله بأن يحكم بين الناس بالحق، وبين أيضا أنه لا يقدر على الحكم بين الناس والفصل بينهم من ليس له ملك وسلطان.

4- الخليفة هو الممكن له: وهذا المعنى يمكن التماسه في قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ(10)﴾ [3]والممكَّن له هنا هو الإنسان عموما، ووجه تمكينه في الأرض هنا - والله أعلم- هو جعله خليفة فيها، وهي من قبيل قوله عز وجل: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ(61)﴾ [4]، والتمكين المقصود هنا تمكين عام شامل، والتمكين بهذا المعنى جاء في آية أخرى ولكن في معنى خاص، قصد به تمكين المومنين، وجعلهم آمنين، إن هم آمنوا و لم يشركوا، وهذا في قوله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ

(1) سورة الأعراف 142 .
(2) سورة ص الآية 26 .
(3) سورة الأعراف الآية 10
(4) سورة هود الآية 61

﴿الْفَاسِقُونَ﴾ [1] ، وفي هذه الآية اقترن الوعد بالاستخلاف بالتمكين، ما يفيد بأن الاستخلاف من معانيه التمكين.

ومما سبق نخلص إلى ما يلي:

أ - أن معنى"خلف" ومشتقاتها الواردة في القرآن الكريم لا تخرج في تقديرنا حسب السياقات الواردة فيها عن معاني" السيادة"، "السلطان "، "الملك" و" التمكين"، ومعانيها متقاربة، وإن كان بينها عموم وخصوص، فالسيادة لها معنى عام ليس من لوازمه السلطان أو الملك، وهي كما سبق بيانه تشمل بني آدم، أما السلطان فيخص كل من أوتي سلطانا معنويا كان أو ماديا؛ معنويا كما هو الحال في شأن هارون أخي موسى عليهما السلام، إذ كان سلطانه على قومه في غياب موسى معنويا بحكم وصية موسى له باستخلافه في قومه، ولو كان سلطانه ماديا ومعنويا لأمكنه دفع استضعاف قومه له حتى كادوا يقتلونه، قال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(150)﴾ [2]، وقد يكون مقرونا بالملك،كما هو الحال بالنسبة لداود عليه السلام، وقد لا يكون كذلك.

وأما التمكين فبحسب ما تبين يمكن تقسيمه إلى تمكين عام، وهو تمكين يشمل بني آدم جميعا، وهو الوارد في قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[3] وتمكين خاص ومشروط، ويخص المؤمنين وهو موضوع الآية الخامسة والخمسين من سورة النور.

ب - الآيات القرآنية ذكرت المستخلِف (الله) و (المستخلَف) و (المستخلف فيه)، لكن الآيات لم تذكر المستخلَف عنه، وهو ما فتح الباب أمام التفسيرات المختلفة والمتعارضة أحيانا، وقبل استعراضها نتناول مفهوم الخلافة في السنة النبوية.

---

(1) سورة النور الآية 55 .

(2) سورة الأعراف الآية 150

(3) سورة الأعراف الآية 10

المطلب الثالث: مفهوم الخلافة في السنة النبوية

ذكر النبي محمد ﷺ كلمة الخلافة والاستخلاف في أحاديث كثيرة، وسوف نورد طرفا من هذه الأحاديث بحسب ما يسمح به المقام، مع محاولة استخلاص مدلول الكلمة في هذه الأحاديث.

1- الحديث الأول: قوله ﷺ:" ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى "[1] ، والخليفة هنا فيه معنى الوالي، الذي يتولى أمور الناس ، وقد ذكر ابن حجر أنه "وقع في رواية الأوزاعي عن معاوية بن سلام (ما من وال) وهي أعم"[2] ، ومعنى الخليفة هنا، لا يخرج على المعنى الوارد في قوله عز وجل: ﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[3]

2- الحديث الثاني: قوله عليه الصلاة والسلام: " إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء "[4]. وظاهر من الحديث أن معنى الاستخلاف الوارد فيه لا يخرج أيضا على المعنى الوارد في قوله عز وجل:﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾[5]، وهو معنى وارد في آيات أخرى مرت معنا من قبل.

وفي هذين الحديثين نجد أن النبي ﷺ لم يعين المستخلَف عنه، حيث ذكر المستخلِف وهو الله عز وجل، وذكر المستخلَف، وذكر المستخلف فيه؛ والخلافة في الحديث الأول خلافة الحكم والسلطان، وفي الثاني خلافة تمكين وهي خلافة عامة.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري في كتاب الأحكام، باب باب بطانة الإمام وأهل مشورته، رقم 7198 ص1279.

(2) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، ج13، ص 190

(3) سورة ص الآية 26

(4) أخرجه مسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء رقم 6842، ص 1342

(5) سورة يونس الآية 14 .

وهناك أحاديث يفهم منها تعيين المستخلَف عنه، وهو الله عز وجل، ومن هذه الأحاديث ما أخرجه أحمد في مسنده عن عبد الله: حدثني أبي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن نصر بن عاصم الليثي عن خالد بن خالد اليشكري قال: خرجت زمان فتحت تستر حتى قدمت الكوفة ، فدخلت المسجد ، فإذا أنا بحلقة فيها رجل صدع من الرجال ، حسن الثغر يعرف فيه أنه من رجال أهل الحجاز ، قال : فقلت : من الرجل ؟ فقال القوم : أو ما تعرفه ؟ فقلت : لا ، فقالوا : هذا حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ، قال : فقعدت، و حدث القوم ، فقال: إن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، فأنكر ذلك القوم عليه ، فقال : لهم إني سأخبركم بما أنكرتم من ذلك، جاء الإسلام حين جاء ، فجاء أمر ليس كأمر الجاهلية ، وكنت قد أعطيت في القرآن فهماً ، فكان رجال يجيئون فيسألون عن الخير، فكنت أسأله عن الشر ، فقلت: يا رسول الله ، أيكون بعد هذا الخير شر كما كان قبله شر ؟ فقال: نعم، قال: قلت: فما العصمة يا رسول الله ؟ قال: السيف، قال: قلت: وهل بعد هذا السيف بقية؟ قال: نعم، تكون إمارة على أقذاء وهدنة على دخن ، قال : قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم تنشأ دعاة الضلالة ، **فإن كان لله يومئذ في الأرض خليفة** جلد ظهرك و أخذ مالك فالزمه ، و إلا فمت وأنت عاض على جذل شجرة ..."[1]الحديث. وهذا لا دلالة فيه على أن الله عز وجل جعل في الأرض خليفة عنه ينوبه في إقامة الأحكام، بل إن ما فيه هو جعل خليفة في الأرض يحكم وهو مأمور بأن يحكم بالعدل ، لكن لا يحكم بصفته نائبا لله ، على معنى أن يكون ظل الله في الأرض، ولو كان هذا هو المعنى لبطل المعنى الوارد في الحديث الأول، في قوله عليه الصلاة والسلام:" **ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان**"، فلو كان هذا يحكم نيابة عن الله ما كانت له بطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وحتى لو وجدتا

(1) أخرجه أحمد في كتاب: حديث حذيفة ، باب حديث حذيفة، وحديث حذيفة هذا ، أخرج أصله البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم3606، وفي كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ، رقم 7084، ومسلم في كتاب الإمارة، ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن،حديث رقم 4677 ، فالحديث له أصل، وظاهره الصحة لأن رواته ثقات، والله أعلم.

فلا معنى لها، فكونه على ذلك الوصف يرتفع به إلى منزلة المعصوم، وهذا ما لم يدعيه في ولاة أمورهم إلا الشيعة في أئمتهم.

وهناك حديث آخر أخرجه ابن ماجة في سننه والحاكم في المستدرك، عن ثوبان أن النبي ﷺقال: " إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قبل خراسان فأتوها و لو حبواً فإن فيها خليفة الله المهدي"[1]. والحديث للعلماء فيه كلام، وعلى فرض صحته فليس فيه دليل يدل على أن المقصود بـــ" خليفة الله " هنا هو " خليفة لله " أو"خليفة عن الله ".

نستخلص مما سبق أن كلمة "خليفة " في الحديث النبوي الشريف لا تخرج عن المعنى الوارد في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: الفرق بين الاستخلاف والاستعمار

لا شك أن من بين المفاهيم التي تلتبس بالاستخلاف؛ مفهوم الاستعمار، وذلك لورود كلمة " استعمركم " في سياق مشابه للسياق الذي ورد فيه الحديث عن الخلافة وعن الاستخلاف، ولتبين وجوه الفرق بينهما لابد من الرجوع إلى القرآن الكريم والاستعانة بما قاله المفسرون في هذا الشأن.

وردت كلمة" استعمر" في القرآن الكريم في موضع واحد، وذلك في قوله عز وجل:﴿**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ(61)**﴾ [2] ، وقوله تعالى :﴿**وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ والمعنى أعمركم فيها ورباكم، أي أعطاكم ذلك ما دمتم أحياء ثم هو سبحانه وارثها منكم ، أو المعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لأن الرجل إذا ورَّث دارَه مَنْ بعدَه فكأنما أعمره إياها لأنه يسكنها عمره ثم

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الفتن والملاحم وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية عن علي بن زيد ونقل عن أحمد ويحي قولهما: ليس بشيء. ابن الجوزي ، العلل المتناهية.ت: خليل الميس ط1 دار الكتب العلمية، بيروت: 1403هـ ج2 ص862.

(2) سورة هود الآية 61

يتركها لغيره"[1] وقيل: " أي جعلكم عمارها وسكانها [2]. وهذا الاستعمار يظهر من خلال الآية أنه لم يأت مقترنا بأي شرط.

أما كلمة " استخلف" فجاءت في القرآن الكريم ست مرات (6) وهي قوله عز وجل:﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ(133)﴾ [3].

وقوله تعالى:﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ(129)﴾ [4].

وقوله تعالى:﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ(57)﴾ [5].

وقوله تعالى:﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(55)﴾ [6].

وقوله تعالى:﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ(7)﴾ [7].

وكلمة "استخلف" في هذه الآيات معناها متقارب إلا ما كان في الآية الأخيرة من سورة الحديد ، وقد مرت معنا من قبل الإشارة إلى معناها، والذي يلاحظ أن أشمل معنى للاستخلاف هو ما جاء في سورة "النور" حيث إن الاستخلاف الوارد فيها

---

(1) - الآلوسي ، روح المعاني. ج12 ص 88

(2) - القرطبي ج9 ، ص 59 .

(3) الأنعام/133

(4) - الأعراف/129

(5) هود/57

(6) النور/ 55

(7) الحديد/7

مشروط بالإيمان والعمل الصالح، ما يفيد بأنه لا استخلاف من دون الإيمان والعمل الصالح، أما ما جاء في قوله عز وجل:﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ(129)﴾ [1]، ففي الآية إشعار باستخلاف بني إسرائيل، إذ هم كانوا مؤمنين، بعد أن عذب الفراعنة وأزال خلافتهم وسلطانهم، لكن التحذير يبقى قائما، فهم إذ كانوا مصلحين وقت استخلافهم، فربما يحصل منهم التغيير والتبديل، فلا يعودون مستحقين لهذا الاستخلاف، ولهذا كان تعقيب الآية:﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فهم إن بقوا على إيمانهم وصلاحهم الذي استحقوا به الاستخلاف، دام لهم ذلك، وإن غيروا وبدلوا حدث معهم مثلما حدث مع فرعون ومع غيره.

ومن ثم يتضح لنا أن الاستخلاف والاستعمار ليسا بمعنى واحد، فالاستخلاف مشروط بالإيمان والعمل الصالح، أما الاستعمار فليس مشروطا بهما، ومن ثم يكون الاستخلاف استعمارا ويزيد عليه "حيث يشتركان في عمارة الأرض ويفترقان في التوحيد والعمل الصالح"[2].

المطلب الخامس: الفرق بين الخلافة والاستخلاف والاستعمار

بعد أن تبين لنا الفرق بين الاستخلاف والاستعمار، لابد من تبين وجه العلاقة بينهما وبين الخلافة، وبالنظر إلى النصوص القرآنية الواردة في شأن هذه المفردات الثلاث والسياقات التي جاءت فيها وما قاله المفسرون بشأنها يمكن القول بأن الخلافة خلافتان : عامة وخاصة؛ والخلافة العامة هي ما ورد في الآية الثلاثين من سورة البقرة في قوله عز وجل :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [3]، فهي خلافة تعم بني آدم جميعا، وفيها معنى الاستعمار، والله عز وجل جعل بني آدم خلفاء الأرض واستعمرهم فيها، وهي خلافة ليس من شرطها لا الإيمان ولا العمل الصالح.

---

(1) الأعراف /129

(2) –بكار الحاج سالم، من سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم، رسالة مخطوطة بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة

(3) سورة البقرة الآية 30 .

أما الخلافة الخاصة فهي خلافة المؤمنين ، وهي خلافة مشروطة بالإيمان والعمل الصالح وفيها معنى الاستخلاف، وبهذا تكون عندنا خلافتان؛ خلافة هي استخلاف، وخلافة استعمار وحسب، والأولى خلافة المؤمنين العاملين عملا صالحا، وهذه من شأنها أن تستمر باستمرار وجود شرطيها ، وأما الثانية فهي خلافة غير المؤمنين المقتصرين على حرث الحياة الدنيا، و هذه معرضة للزوال، واستمرارها مرتبط بالقدر الذي تحاكي فيه نموذج الاستخلاف الرباني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني:الخلافة في الفكر الإسلامي

نالت الخلافة اهتماما كبيرا من قبل علماء المسلمين ومفكر يهم في القدم والحديث ، حيث اهتم بها المفسرون وعلماء الأخلاق ولها في الأوساط الصوفية مكانة خاصة لصلتها بنظريتهم في الإنسان الكامل، وهو ما يدل دلالة بينة على أنها واحدة من القضايا المحورية في العقيدة الإسلامية ، وليس صحيحا ما قد يقال من أن هذه القضية مفتعلة، وأنها تضخم على حساب قضايا أخرى أكثر أهمية بالنسبة للأمة، غير أن كونها واحدة من كبريات القضايا لم يجعلها بمنأى عن اختلا ف العلماء فيما يدخل تحت هذا العنوان من تفاصيل، حيث طالها ما طال كثيرا من المباحث الأخرى من التفسيرات والتأويلات، وكان القسم الأكبر من هذا الاختلاف وقع في الجواب على السؤال التالي: إذا كان الإنسان خليفة؛ فمن هو بالتحديد، هل هو الإنسان مطلقا ؟ أم أن الخليفة هنا يراد به خليفة غير مطلق الإنسان، كما يبقى سؤال يطرح نفسه أيضا، وهو: هذا الخليفة، يخلف من؟

المطلب الأول: من هو الخليفة؟:

من خلال النظر في القرآن الكريم وخاصة الآية الثلاثين من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [1] يتبين لنا أن الخليفة المذكور في الآية إما أن يكون آدم عليه السلام، آدم عليه السلام وكل نبي، بنوا آدم وذريتهم أو آدم عليه السلام وذريته.

1- الخليفة هو آدم عليه السلام: يذهب من يرى هذا الرأي إلى أن المقصود بالخلافة في الآية هو آدم عليه السلام ، فـ " خليفة " على وزن " فعيلة "بمعنى "مفعول" أي مخلوف ، أي يخلفه من كان بعده من ذريته، أما آدم فلم يخلف غيره [2]، "كما أن آدم عليه السلام وهو في الملأ الأعلى، هو الذي علم مسميات الأشياء كلها، وسجدت له

(1) البقرة الآية 30 .

(2) الرازي ج2 ص 180 .

الملائكة تكريما له، وهو الذي فاز على الملائكة في المناظرة معهم" [1]. والذي يظهر أن هذا الرأي مبني على تخريج لغوي وإن كان صحيحا من الناحية الاشتقاقية، إلا أنه تخريج بعيد ولا يلقى إجماع اللغويين، حيث قال في لسان العرب" والخليفة الذي يُستخلف ممن قبله، والجمع خلائف، جاؤوا به على الأصل مثل كريمة وكرائم، وهو الخليف والجمع خلفاء، وأما سيبويه فقال خليفة وخلفاء، كسَّروه تكسير فعيلٍ لأنه لا يكون إلا للمذكر؛ هذا نقل ابن سيده. وقال غيره: فعيلة بالهاء لا تجمع على فعلاء" [(2)]، وعلى فرض صحة هذا التخريج اللغوي فليس هناك ما يدعونا إلى العدول عن المعنى الأشهر إلى معنى أقل شهرة منه، أعني بالأشهر كون آدم هو المقصود بجعله خليفة لا أن يكون مخلوقا من ذريته. كما ساق الآلوسي هذا الرأي ولكن من غير أن يلجأ إلى تخريجات بعيدة حيث قال:"والمشهور أن المراد به آدم عليه السلام ، وهو الموافق للرواية ، ولإفراد اللفظ ولما في السياق، ونسبة سفك الدم والفساد إليه حينئذ بطريق التسبب ، أو المراد بمن يفسد.. من فيه قوة ذلك"[(3)] .

2- **آدم عليه السلام وكل نبي:** يذهب من يقول بهذا القول[(4)] إلى أن الخليفة هو آدم عليه السلام، ولما كان آدم نبيا فإن الخلافة لا تتعدى إلى من ليس بنبي، وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على نسبة الخلافة إلى الأنبياء مثلما ورد في قول الله عز وجل **﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾**[(5)] ، وصاحب هذا القول يعلل ذلك بأن النبي خليفة أتاه الله السلطان من جهة كونه منفذا لإرادة الله في إجراء أحكامه، ومن ثم فهذه الخلافة لا تنصرف إلى غيرهم من الناس لتوقع الظلم منهم، لكن هذا القول لا تسنده النصوص،

---

(1) عبد الرحمان المطرودي ، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم ، القاهرة : مكتبة وهبة ، 1410هـ / 1990م ص333 .

(2) لسان العرب 132/5

(3) الآلوسي، روح المعاني، 220/1

(4) والقرطبي ، ج1، ص279

(5) سورة ص الآية 26 .

بل إن النص خلاف ذلك، مثل قوله عز وجل: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] فهذه الآية وردت في شأن عاد قوم هود، وقد وقع الظلم منهم بالفعل ، وكذلك قوله عز وجل:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[2]، فهؤلاء الذين جعلهم الله خلائف في الأرض إنما جعلهم ابتلاء والظلم متوقع منهم.

3- بنو آدم وذريتهم : ذكر الطبري هذا القول ونسبه إلى الحسن البصري، قال الطبري: "وقال آخرون في تأويل قوله إني جاعل في الأرض خليفة أي خلفا يخلف بعضهم بعضا وهم ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم ويخلف كل قرن منهم القرن الذي سلف قبله وهذا قول حكي عن الحسن البصري، والذي دعا المتأولين قوله إني جاعل في الأرض خليفة في التأويل الذي ذكر عن الحسن إلى ما قالوا في ذلك أنهم قالوا إن الملائكة إنما قالت لربها إذ قال لهم ربهم إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء إخبارا منها بذلك عن الخليفة الذي أخبر الله جل ثناؤه أنه جاعله في الأرض لا غيره لأن المحاورة بين الملائكة وبين ربها عنه جرت قالوا فإذا كان ذلك كذلك وكان الله قد برأ آدم من الإفساد في الأرض وسفك الدماء وطهره من ذلك علم أن الذي عنى به غيره من ذريته فثبت أن الخليفة الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء هو غير آدم وأنهم ولده الذين فعلوا ذلك وأن معنى الخلافة التي ذكرها الله إنما هي خلافة قرن منهم قرنا غيرهم لما وصفنا" [3].

ويظهر من كلام الطبري أن هذا الرأي في نسبة الخلافة إلى بني آدم دون أبيهم كان من باب دفع الحرج الحاصل من نسبة الإفساد في الأرض وسفك الدماء إلى آدم ، لكن غاب عن أصحاب هذا التأويل أن الملائكة لم تصف الخليفة بسفك الدماء، يقول الطبري : "وأغفل قائلو هذه المقالة ومتأولو الآية هذا التأويل سبيل التأويل وذلك أن

(1) سورة الأعراف الآية 69 .

(2) سورة يونس الآية 14 .

(3)محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تفسير آي القرآن، بيروت ، دار الفكر :1405هـ ج 1 ص 201

الملائكة إذ قال لها ربها إني جاعل في الأرض خليفة لم تضف الإفساد وسفك الدماء في جوابها ربها إلى خليفته في أرضه بل قالت أتجعل فيها من يفسد فيها، وغير منكر أن يكون ربها أعلمها أنه يكون لخليفته ذلك ذرية يكون منهم الإفساد وسفك الدماء فقالت يا ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما قال ابن مسعود وابن عباس ومن حكينا ذلك عنه من أهل التأويل"[1]، فهذا القول يبدو بعيدا عن معنى الآية، لقصره الخلافة على بني آدم وبنيهم دون أن يكون أبوهم داخلا في مسمى الخليفة، مع أن النص يدل دلالة صريحة على أن آدم هو أول الخلفاء.

4- الخليفة هو آدم عليه السلام وذريته: ومضمون هذا القول أن الخليفة هو آدم عليه السلام وذريته، ولم تذكر الذرية في الآية استغناء بالأصل عن ذكر الفرع لدخولها تحته، وعلى ذلك يكون الخليفة "المراد به إما آدم عليه السلام وبنوه، وإنما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر أبيها كمضر وهاشم، ومنه الخلافة في قريش، وإما من يخلف أو خلف يخلف فيعمه عليه السلام وغيره من خلفاء ذريته، والمراد بالخلافة ؛ إما الخلافة من جهته سبحانه في إجراء أحكامه وتنفيذ أوامره بين الناس وسياسة الخلق لا لحاجة به إلى ذلك ، بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات فتختص بالخواص من بنيه [يريد بني آدم] "[2]، والظاهر أن هذا الرأي أكثر وجاهة من غيره، ذلك أن الله عز وجل ذكر آدم و لم يذكر ذريته لكونها سترث صورته وشكله وخصائصه وقدرته على التعلم وارتياد الآفاق.

نخلص من هذا إلى أن الخليفة هو الإنسان على الجملة، والخلاف الحاصل إنما كان في تعيين الخليفة من جنس الإنسان نفسه، وإذا ثبت هذا فإن السؤال ذي الصلة بهذه النتيجة متعلق بتعيين المستخلَف له، فعمن سيكون الإنسان خليفة يا ترى؟

---

(1) الطبري ج 1 ص 201

(2)أبو السعود، إرشاد العقل السليم ط2 دار إحياء التراث العربي، بيروت 1411هـ/1990م ج: 1ص:81-82

المطلب الثاني : المستخلف له

ويمكن إجمال آراء الإسلاميين في إجابتهم على هذا السؤال في ثلاثة مواقف رئيسة، وسوف نعرج في هذا المبحث على كل رأي على حده مع إيراد أدلته ومناقشتها، لنصل إلى الرأي الذي تؤيده الأدلة وتنصره .

1- الإنسان خليفة لأقوام سابقين من الجن أو من غيرهم: وهذا الرأي ذهب إليه بعض المفسرين والعلماء، حيث يذهبون إلى القول بأن وصف "خليفة" الوارد في القرآن الكريم بشأن الإنسان له معنى واحد في القرآن كله، وهو كونه خليفة عمن قبله من الخلق، وليس المراد أنه خليفة عن الله، " إنما المقصود هنا أن الله لا يخلفه غيره فإن الخلافة لا تكون إلا عن غائب وهو سبحانه شهيد مدبر لخلقه لا يحتاج في تدبيرهم إلى غيره، وهو سبحانه خالق الأسباب والمسببات جميعا، بل هو سبحانه يخلف عبده المؤمن إذا غاب عن أهله"[1]. ويعزى هذا القول إلى ابن عباس والحسن، من أن آدم خليفة بمعنى أنه خلف من سلف في الأرض قبله[2]، ومن قال بهذا الرأي يسلك هذا المسلك مع جميع الآيات التي ورد هذا الوصف بما فيها آية سورة البقرة، وأحسن عرض لهذا الرأي ما قدمه رشيد رضا حيث قال وهو بصدد تفسير هذه الآية : وذهب بعضهم إلى أن هذا اللفظ [خليفة] يشعر بأنه كان في الأرض صنف أو أكثر من نوع الحيوان الناطق، وأنه انقرض، وأن هذا الصنف الذي أخبر الله الملائكة بأن سيجعله خليفة في الأرض سيحل محله ويخلفه،كما قال تعالى بعد ذكر إهلاك القرون:﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[3]، وقالوا إن هذا الصنف البائد قد أفسد في الأرض وسفك الدماء وأن الملائكة استنبطوا سؤالهم بالقياس عليه، لأن الخليفة لابد أن يناسب من يخلفه، ويكون من قبيله كما يتبادر إلى الفهم، ولكن لما لم يكن دليل على أن يكون مثله من كل وجه، وليس ذلك من مقتضى الخلافة، أجاب الله الملائكة بأنه يعلم

(1) ابن تيميه، منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة ط1 1406هـ ،ج1 ص509 .

(2) ابن الجوزي ، زاد المسير ص60 .

(3) سورة يونس الآية 14 .

ما لا يعلمون مما يمتاز به هذا الخليفة على من قبله، وما له في ذلك سبحانه من الحكمة البالغة "[1]، ومن يذهب هذا المذهب في تفسير هذه الآية يستند إلى رواية ساقها الطبري في تفسيره حيث قال:"...حدثني به موسى بن هارون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي أن الله جل ثناؤه قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا"[2] والطبري بعد أن يسوق هذه الرواية يعلق عليها قائلا: "فكان تأويل الآية على هذه الرواية التي ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي، وذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه، وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه ومن غير آدم ومن قام مقامه في عباد الله " [3].

ويرى الميداني أن التعليق الذي عقب به الطبري على هذه الرواية هو شيء فهمه من عند نفسه، والرواية لا تدل على أنه فهم لابن عباس أو لابن مسعود وأن الرواية التي ساقها الطبري " حلت إشكالا فقط وهو: كيف عرفت الملائكة أن هذا المخلوق الجديد الذي أخبرهم الله به ، سيكون منه إفساد في الأرض وسفك للدماء. ودلت على أنهم سألوا ربهم سؤال الباحث عن الحكمة، إذ قالوا: (ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟) أي: أي كائن يكون ذلك الخليفة؟ فما هي صفاته؟ وما هي خصائصه؟

فلما أجابهم الرب عز وجل بأنه مخلوق يكون له ذرية يفسدون في الأرض، ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضا، قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟"[4]. وظاهر أن هذا الموقف يربط بين نفي مقولة :

---

(1) تفسير المنار ط3 1367 هـ ج1 ص 257 - 258 .

(2) الطبري، ، ج1 ص200 .

(3) الطبري ج1 ص 200 .

(4) عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، لا يصح أن يقال الإنسان خليفة عن الله في أرضه فهي مقولة باطلة .ط1 موسسة الريان ، بيروت : 1416هـ/1996م ص36- 38

الإنسان خليفة عن الله في الأرض، والتفسير القائل بأن آدم خليفة لأقوام سابقين من الجن أو من غيرهم سكنوا الأرض قبل آدم ، وهذا الربط نظن أنه ليس ضروريا، وليس هناك مسوغ قوي يسوغ الميل إليه، إذ يمكن الفصل بين القضيتين دون أن يكون لذلك أثر.

ثم إن القول بأن آدم خليفة لمخلوقات من الجن أو من غيرهم قول لا دليل عليه، بل الدليل خلاف هذا، وسياق الآية ينافي هذا الزعم ، " فإن تعقيب ذكر خلق الأرض ثم السماوات بذكر إرادته تعالى جعل الخليفة، دليل على أن جعل الخليفة كان أول الأحوال على الأرض بعد خلقها"[1]. حيث قال الله عز وجل:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(29)﴾ [2] بعد هذه الآية مباشرة نجد قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)﴾ [3] ، حيث نجد الآية الثلاثين التي تتحدث عن جعل آدم خليفة في الأرض جاءت بعد الحديث عن خلق الأرض وتسوية السماء.

وفي هذا الشأن قال العلامة البقاعي[4]: "وما يقال من أنه كان قبل آدم، عليه السلام، في الأرض خلق يعصون ، قاس عليهم الملائكة حال آدم عليه السلام ، كلام لا أصل له، والذي يدل عليه حديث مسلم[5] هذا كما ترى أنه[آدم] أول ساكني

---

(1) محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر 1984 ج1 ص 398 – 399 .

(2) سورة البقرة الآية 29

(3) سورة البقرة الآية 30

(4) هو برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ـــ / 885هـــ) اشتهر بتفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور

(5)- يشير البقاعي إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، والحديث بنصه:حدثني سريج بن يونس وهارون بن عبد الله، قالا: حدثنا حجاج بن محمد قال: قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، عن أبي هريرة "أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق

الأرض ، والذي يلوح من اسمه في بدئه الهمزة التي هي أول الحروف، وختمه بالميم التي هي آخرها، وختامها أنه أول ساكنيها بنفسه كما أنه خاتمهم بأولاده، عليهم تقوم الساعة " [1]، ثم إن هذه المخلوقات التي وردت الروايات بشأنها، لم ينص القرآن الكريم لى وجودها ولا السنة النبوية الصحيحة [2]، وزيادة على ذلك ، فلو كان آدم مجرد خليفة للجن أو لأقوام سابقين سكنوا الأرض؛ فبما كان استحقاقه كل هذا الاحتفاء الذي وصل إلى حد طرد إبليس من الجنة حين رفض السجود له ؟ وبناء على ما سبق يمكن القول بأن هذا الرأي يبدوا بعيدا وليس جديرا بأن يؤخذ به .

2- **الإنسان يخلف أفراده بعضهم بعضا:** وهذا القول من قبيل القول الأول وخلاصته أن " الإنسان من خصائصه أن يتناسل، فيخلف بعضه بعضا ، وآدم الذي هو الإنسان الأول هو خليفة بمعنى مخلوف من ذريته. وصيغة خليفة على هذا الرأي : (فعيلة) بمعنى (مفعولة) أي مخلوقة. فهذا المخلوق الجديد ستخلفه ذريته من بعده، وهذه الذرية ستخلفها ذرياتها، كلما مات قسم خلفه آخرون، ومعلوم في العربية أن صيغة (فعيل) قد تأتي بمعنى اسم الفاعل وقد تأتي بمعنى اسم المفعول، وقد تستعمل أحيانا فيهما معا" [3]. وهذا الرأي قال به بعض المفسرين ومنهم ابن كثير، حيث قال في تفسير الآية من سورة البقرة:" إني جاعل في الأرض خليفة أي قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل ".[4]

النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم، عليه السلام، بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل ". والحديث فيه ضعف، وقد ساق البيهقي الحديث في الأسماء والصفات وقال : قال علي بن المديني : وما أرى إسماعيل بن أمية أخذ هذا إلا من إبراهيم بن أبي يحي، قال البيهقي : وإسناده ضعيف اهـ. أبو بكر البيهقي، الأسماء والصفات، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ط2 بيروت، دار الكتاب العربي:1415هت/1994م ج2 ص 125

(1)برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت: 1415هـ/ 1995م ج1 ص96 .

(2) المنار ج1 ص 258 .

(3) الميداني، المرجع السابق ص33 .

(4) تفسير ابن كثير ج: 1ص 70 .

وهذا المعنى تؤيده نصوص قرآنية كثيرة، بحسب ما تم بسطه في المبحث الأول، ويمكن القول بأن سائر الآيات التي ورد فيها لفظ الخليفة فيها هذا المعنى عدا الآية الثلاثين من سورة البقرة، حيث تبين لنا أن هذا المعنى لا يشملها، بحيث لا يسعنا الصيرورة إليه وتعميمه إلا بقبول روايات لا سند لها، وسياق الآية يأباه من جهة كونها نصا في خلافة آدم ، هذا زيادة على كون السند اللغوي ضعيفا كما سبق بيانه في المبحث السابق، ومن ثم يمكن عد هذا القول موقفا أكثر من عده رأيا تسنده الأدلة.

3-**الإنسان خليفة عن الله:** وهذا القول ذكره كثير من المفسرين، ومنهم الطبري، وقد سبقت الإشارة إليه عند استعراض الرأي الأول، وذكره ابن الجوزي وعزاه إلى ابن مسعود ومجاهد، حيث قال في معنى " الخليفة " في تفسيره للآية من سورة البقرة:" أنه خليفة عن الله تعالى في إقامة شرعه، ودلائل توحيده والحكم في خلقه " [1].

كما ذكره القرطبي أيضا وعزاه لابن مسعود وابن عباس، حيث قال :" الخليفة هنا في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل آدم عليه السلام وهو خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره [2]. وشاع هذا القول وانتشر بين المفسرين والعلماء، وذهبوا مذاهب شتى في تحليله وبيانه، وهذا القول ذكره جمع من المفسرين، الطبري واحد من هؤلاء. وممن ذكر هذا الرأي وبسط القول فيه بحذر رشيد رضا فيما ينقله عن أستاذه محمد عبده ، حيث يسوق هذا الرأي في جملة الأقوال الواردة في قوله تعالى: إني جاعل في الأرض خليفة، ويقرر أن هناك من ذهب إلى المراد إني جاعل في لأرض خليفة عني، ولهذا شاع أن الإنسان خليفة الله في أرضه [3]. ويظهر من خلال سياق الكلام أنه يتبنى هذا الرأي ويسير معه وذلك بين من خلال التوضيح والبيان الذي أردفه هذا القول؛ حيث راح يبين آثار استخلاف الإنسان في الأرض التي ظهرت بما نشاهده من عجائب تسلطه على الحيوانات، وانتفاعه بها وتسخير قوى الطبيعة وسائر المخلوقات لمنفعته، فإن الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، جعل للإنسان مواهب أهلته للخلافة في الأرض، ليقيم

(1) ابن الجوزي ، المصدر السابق، ص 60 .

(2) القرطبي ج1 ص279 .

(3) المنار ص 258 .

فيها سنن الله وبدائع الحكم منافع الأحكام [1]، وهذا التفسير لمعنى خلافة الإنسان عن الله تعالى يظهر أنه يستند - فيما يستند عليه - على أساس الربط بين علم آدم للأسماء وكونه خليفة، فعلم آدم الأسماء التي عجزت الملائكة عن معرفتها هو سر خلافته، وهو كلام وجيه إلى حد بعيد، لكن قصر علم الأسماء على الأسماء الموجودة في عالم الجن وربط الخلافة بهذا المجال وحسب، نرى فيه نوعا من التحكم، ذلك أن الأسماء ليست مقصورة على هذا المعنى؛ بل يمكن عدها شاملة لعالمي الحق والخلق، فالإنسان كما يحصل له العلم بالخلق بالتدريج، يحصل له أيضا العلم بالحق بالتدريج بحسب سعيه وجهده.

كما نجد "محمد الطاهر بن عاشور" وقف عند هذه المسألة وقفة مطولة ومتأنية، وذكر أن المراد بالخليفة هنا:" إما المعنى المجازي وهو الذي يتولى عملا يريده المستخلف، مثل الوكيل والوصي، أي جاعل في الأرض مديرا يعمل ما نريده في الأرض فهو استعارة أو مجاز مرسل وليس بحقيقة، لأن الله تعالى لم يكن حالا في الأرض، ولا عاملا فيها العمل الذي أودعه في الإنسان وهو السلطنة على موجودات الأرض، ولأن الله تعالى لم يترك عملا كان يعمله فوكله إلى الإنسان، بل التدبير الأعظم لم يزل لله تعالى، فالإنسان هو الموجود الوحيد الذي استطاع بما أودع الله في خلقته أن يتصرف في مخلوقات الأرض بوجوه عظيمة لا تنتهي خلاف غيره من الحيوان، وإما أن يراد من الخليفة معناه الحقيقي إذا صح أن الأرض كانت معمورة من قبل بطائفة من المخلوقات (...) وكل هذا ينافيه سياق الآية (...)، فالخليفة آدم وخلفيته قيامه بتنفيذ مراد الله تعالى،من تعمير الأرض بالإلهام أو بالوحي وتلقين ذريته مراد الله تعالى ....واتساع تصرفاتهم [2]، وما ذكره ابن عاشور لا يخرج في مضمونه العام عما ذكره رشيد رضا، إلا انه احترز في ذلك احترازا واضحا حين قرر أن الله تعالى، لم يترك عملا كان يعمله فوكله إلى الإنسان .

أما سيد قطب فيقول في وقفته تحت ظل هذه الآية إن: " المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود، زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز

(1) المنار 12 ص 260 .

(2) التحرير والتنوير 12 ص 398 – 399 .

مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحوير والتبديل، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله- بإذن الله-في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه" [1]، كما تابع هذا الرأي جمع من العلماء قديما، ومن هؤلاء نجد "الراغب الأصفهاني" حيث يذكر أن من بين ما وجد الإنسان لأجله: وخلافته[خلافة الإنسان] لله المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ(129)﴾ [2]، وغيرها من الآيات، وذلك هو الإقتداء بالباري سبحانه على قدر طاقة البشر في السياسة باستعمال مكارم الشريعة. ومكارم الشريعة هي الحكمة والقيام بالعدالة بين الناس، والحلم، والإحسان والفضل والقصد منها أن تبلغ إلى جنة المأوى، وجوار رب العزة تعالى [3]، أما حديثا، فقد ذهب إلى هذا الرأي أبو الأعلى المودودي [4] ، والبهي الخولي[5]، وعبد المجيد النجار[6] وفاروق أحمد دسوقي[7] .

على أنه تجدر بنا الإشارة إلى أن هناك من المفسرين من قال بهذا الرأي لكنه مال إليه على طريقة الصوفية في قولهم بأن خليفة الله في الأرض هو محمد ﷺ، فهو الخليفة الأعظم و الإنسان الكامل، نذكر منهم الآلوسي، حيث يقول:"وعند أهل الله تعالى المراد بالخليفة آدم وهو عليه السلام خليفة الله تعالى وأبو الخلفاء والمجلَى له سبحانه وتعالى والجامع لصفتي جماله وجلاله، ولهذا جمعت له اليدان وكلتاهما يمين، وليس في الموجودات من وسع الحق سواه، ومن هنا قال الخليفة الأعظم ﷺ: "إن الله تعالى خلق آدم على

(1) في ظلال القرآن ج1 ، ص56 .

(2) سورة الأعراف الآية 129

(3) الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة. تحقيق: أبو اليزيد العجمي ط2 دار الوفاء، القاهرة 1408 هـ / 1987م ص90 – 91 .

(4) أبو الأعلى المودودي ، الحكومة الإسلامية. ترجمة: أحمد إدريس. ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر ، ص 150

(5) البهي الخولي، آدم عليه السلام دار التراث: القاهرة، ص123 .

(6) في كتابه خلافة الإنسان بين الوحي والعقل.

(7)في كتابيه :استخلاف الإنسان في الأرض و الخلافة الإسلامية حقيقتها وأصولها الاعتقادية وحتمية عودتها.

صورته أو-على- صورة الرحمان "[1] وبه جمعت الأضداد وكملت النشأة وظهر الحق، و لم تزل تلك الخلافة في الإنسان الكامل إلى قيام الساعة وساعة القيام ، بل متى فارق هذا الإنسان العالم مات العالم لأنه الروح الذي به قوامه، فهو العماد المعنوي للسماء ، والدار الدنيا جارحة من جوارح جسد العالم الذي الإنسان روحه. ولما كان هذا الاسم الجامع قابل الحضرتين بذاته صحت له الخلافة وتدبير العالم والله سبحانه الفعال لما يريد، ولا فاعل على الحقيقة سواه، وفي المقام ضيق، والمنكرون كثيرون ولا مستعان إلا بالله عز وجل" [2] ، والمسحة الصوفية بادية في كلام الآلوسي في أنصع صورها.

وممن سار من فلاسفة المسلمين على هذا النهج أيضا "محمد إقبال"[3] ويظهر ذلك جليا في ديوانيه: أسرار إثبات الذات ورموز نفي الذات[4]، وذلك حين يجعل مرتبة الخلافة أو النيابة الإلهية أو مقام العبودية هي أسمى ما يصل إليه الإنسان، حتى إذا وصلها صار نائبا للحق، أو إنسانا كاملا.

والرأي الذي نعتقده ونحسب أن النصوص لا تعارضه إن لم تكن تدعمه وتؤيده، هو اعتبار الإنسان خليفة بمقتضى الجعل الإلهي، دون أن نحتاج إلى طرح السؤال حول من جعل الإنسان خليفة له، حيث يصبح هذا السؤال لا ضرورة له، ويمكننا أن نكتفي بالنصوص القرآنية التي تبين أن الإنسان جعل خليفة في الأرض فنحملها على ظاهر معناها المتبادر، دون حاجة إلى الخوض في تأويلات بعيدة مثلما انجر إلى ذلك كثير من الباحثين، حين بحثوا القضية من وجهة لغوية صرفة، وأخرجوا كلمة" خليفة" من سياقاتها التي سيقت فيها، ثم راحوا يمارسون عملية تشقيق لغوي كانت نتيجته البعد عن المعنى الأقرب إلى روح القرآن الكريم، من مثل بحث معاني " خليفة " في اللغة، حيث كانت النتيجة أن

---

(1) أخرجه مسلم بلفظ " إذا قاتل أحدكم أخاه، فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته" ، كتاب البر والصلة ، باب النهي عن ضرب الوجه ، رقم 6550 .

(2) الآلوسي ، روح المعاني ج I ص 220 – 221 .

[3] هو محمد إقبال (1877م/1938م) أعظم الشعراء المسلمين في العصر الحديث، له عدة دواوين شعر كلها في استنهاض المسلمين، اشتهر خاصة بكتابه: تجديد التفكير الديني في الإسلام.

4 ترجمهما عبد الوهاب عزام إلى العربية.

من معانيها "الوراثة" و"الوكالة" «(1)» وغيرهما، وهي معاني صحيحة في اللغة لكن السياق القرآني ليست فيه قرائن تشير إليها.

ونحسب أن كون الخلافة من قبيل الفطرة يفتح المجال للقول بأن هذه الخلافة من معانيها السيادة،كما سبق بيانه من قبل، بالإضافة إلى المعاني الأخرى؛ بمعنى أن آدم خلق خليفة أي سيدا ممكنا في الأرض-بالمعنى العام- وأن بني آدم كذلك، بغض النظر عن كونهم يصلحون أو يفسدون عند الابتلاء، فهم خلفاء بالفطرة، فكما يقال بأن الإنسان في فطرته سليم من العيوب، أي أن الأصل فيه السلامة، ثم إنه عند الابتلاء؛ من الناس من تشوب فطرهم عوارض تفسدها، يحتاج مع حاله هذه إلى العمل على إزالة هذه العوارض، فكذلك كون الإنسان خليفة أي سيدا فإنه ربما حدث معه ما من شأنه أن ينحدر به عن منزلة السيادة، فيكون انحداره هذا عارضا لا أصليا، ولا شك أن المحافظة على منزلة الخلافة تحتاج إلى جهاد ومكابدة، فكذلك العمل على استعادة هذه المنزلة يحتاج إلى جهاد ومكابدة، وهذا بدوره لا يؤتي ثماره ما لم يكن مبنيا على أسس سليمة وواضحة، تؤسس للاستخلاف وتوجهه وهذا ما سنحاول معالجته في الفصل الموالي.

(1) فاروق أحمد دسوقي، الخلافة الإسلامية ؛ حقيقتها وأصولها الاعتقادية وحتمية عودتها. ط1 1418هـ / 1998م ص 171 وما بعدها .

الفصل الثالث:

أسس الاستخلاف.

المبحث الأول : الأسس الإيمانية.

المبحث الثاني : الأسس المادية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

إن تناول أسس الاستخلاف نراه أمرا لا ينفصل عن مفهومه، خاصة في مثل ما نحن بصدده، إذ يصبح من المنطقي تناول ما يقوم عليه هذا الاستخلاف من أسس وما ينطوي عليه من مكونات، فما هي هذه الأسس والمكونات؟

المبحث الأول: الأسس الإيمانية

ونقصد بها تلك العناصر الأساسية اللازمة لتحقيق الاستخلاف، التي تعود في أصلها إلى الإيمان، وأساسه الإيمان بالله، بوصفه الإطار المعرفي والقيمي الذي ينتظم سائر هذه العناصر التي لا تحقق لها من دونه، وحتى وإن تحققت بعض صورها الظاهرة، إلا أن كونها عارية عن الإيمان يفقدها قيمتها، وأهم هذه الأسس هي:

المطلب الأول: التوحيد

يمثل التوحيد الأساس الإيماني الأول الذي يوجه عمل الإنسان سواء في حياته الفردية أو الجماعية، وفي علاقته بربه أو ببني جنسه، وحتى في علاقته بآفاق الكون أيضا، وأي خلل يلحق هذا الأصل في الفهم يؤثر لا محالة سلبا على الفعل، ولذلك نجد القرآن الكريم يركز من البداية على تصحيح فهوم الناس حول الإله الحق، مبرزا وحدانيته وهيمنته، وهذا ما يظهر في دعوات الرسل جميعا، فكلهم جاءوا بدعوة واحدة، الدعوة إلى الإله الحق، قال عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(59)﴾[1]، ودعوة نوح هذه هي نفسها تتكرر مع هود، قال عز وجل: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ(65)﴾[2]، وكذلك مع صالح، قال عز وجل: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[3]، ودعوة القرآن الكريم إلى الإيمان بالله الواحد ليست مجردة عن الدلائل، بل إنها

(1) سورة الأعراف ، الاية59

(2) سورة الأعراف ، الاية65

(3) سورة الأعراف ، الاية73

تأتي في سياق إقناعي يليق بكل مستويات المخاطبين، مؤيدة بجملة من الدلائل يذعن لها المنصف الطالب للحق سواء كان فيلسوفا يحتكم إلى المنطق الصارم، أو كان عاميا يحتكم إلى الملاحظة البسيطة، وهذه الدلائل تعود من جملة ما تعود إليه، إلى المحيط الكوني الذي يحيا فيه الإنسان وأُمر بإعماره، حيث جعله القرآن محلا لتجلي الحقيقة الدالة على الإله الواحد، والإنسان يمكنه أن يصل إلى هذه الحقيقة عن طريق النظر فيه، وآيات القرآن الكريم كثيرة في هذا الشأن تبدأ أولا بالدعوة إلى توظيف كل إمكانيات تحصيل المعرفة عند الإنسان في التعرف إلى الكائنات المتنوعة ليصل من وراء هذا التنوع إلى الوحدة، ومن ظواهر الأشياء إلى بواطنها، قال عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ(17)وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ(18)وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ(19)وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ(20) ﴾[1] ، فالله عز وجل بث دلائل توحيده في مخلوقاته، ونصبها لكل ناظر منصف، والقرآن الكريم في هذا الشأن يستوعب "ما بلغه العقل الإنساني في أعلى مستوياته الفلسفية والحكمية من طاقات على بناء الأدلة ونقضها، والاعتراض عليها أو تأييدها، ويتجاوز أعلى مستويات الفلسفات البشرية والمنطق الإنساني والقسمات العقلية والهندسية والكلامية، بحيث تصبح عملية إحصاء وترتيب تلك الأدلة وطرائقها بحد ذاتها ضربا من الإعجاز. وما ذكره المتكلمون من أدلة الخلق والعناية والمانع لا تمثل إلا غيضا من فيض الأدلة التي ساقها القرآن المجيد على التوحيد"[2]، فإذا جئنا إلى آيات القرآن الكريم التي تدعو إلى الإيمان بالله الواحد، وجدناها تارة تدعو إلى التماس هذه الأدلة في آفاق الكون عامة دون تخصيص، كما في قوله تعالى﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ(101) ﴾[3]، وتارة تخصص بعض الظواهر الأخرى وتدعو إلى التمعن فيها، ومن ذلك مثلا؛ الحديث المطول عن الرياح والأمطار، والتذكير المتواصل بأهميتهما، وهذه

(1) سورة الغاشية الآية17-20

(2) طه جابر العلواني ، التوحيد والتزكية والعمران ط1 دار الهادي، بيروت: 1424هـ/ 2003م، ص52

(3) سورة يونس الآية 101

نماذج من الآيات القرآنية الواردة بشأنهما، اخترناها لتعذر تتبع جميع الدلائل التي نصبها الله عز وجل في آفاق الكون، وهي نماذج تبين كيف جعل الله عز وجل الرياح والأمطار وما يتصل بهما آية على وجوده وعلى وحدانيته:

1- قوله تعالى: - قوله عز وجل:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(21)الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(22)﴾ [1]، ففي الآية الأولى تذكير من الله عز وجل للناس بوجوب عبادته وحده لأنه المتفرد بخلقهم المتكفل برزقهم، وفي الثانية امتن الله عليهم بأن جعل لهم الأرض فراشا والسماء بناء، ومن أعظم منه عليهم أيضا أن أنزل من السماء ماء فأخرج لهم به من الثمرات ما فيه رزقهم، وهنا استدلال بنعمة الماء الظاهرة على وجوب إفراد الله عز وجل بالعبادة وهذا لما للماء من قيمة في حياة الإنسان بل في حياة كل كائن حي .

2- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(164)﴾ [2]، قال القرطبي في تفسير هذه الآية: قال عطاء: لما نزلت" وإلهكم إله واحد " قالت كفار قريش: "كيف يسع الناس إله واحد" ؟ فنزلت "إن في خلق السماوات والأرض"...وعن أبي الضحى قال: "لما نزلت وإلهكم إله واحد " قالوا هل من دليل على ذلك ؟ فأنزل الله تعالى: " إن في خلق السماوات والأرض".فكأنهم طلبوا آية فبين لهم دليل التوحيد."[3]. وبناء عليه، يمكن القول بأن الآية الأولى بمثابة " الدعوى " والآية الثانية بمثابة " البرهان على صدق الدعوى "، وواضح أن الآية من بين ما اشتملت عليه الحديث على إنزال الماء من السماء

(1) سورة البقرة الآية 21 ، 22

(2) سورة البقرة الآية 164

(3) القرطبي ج2، ص197.

لإحياء الأرض وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض، وقد جعل الله عز وجل النظر في هذه الآيات من شيم العقلاء.

فتبين إذن أن إنزال الماء من السماء وتصريف الرياح والسحاب المسخر، من بين ما جعله الله آية على تفرده بالخلق والتدبير .

3-قوله عز وجل:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ(43)﴾ (1).

وفي هذه الآية زيادة إيضاح بسوق مزيد من الدلائل البينات لتعضد الدلائل السابقة كما يدل على ذلك السياق، ومما تضمنته هذه الآية لفت نظر المجادل إلى السحاب، وكيف أن الله عز وجل يسوقه بالرياح سوقا ثم يؤلف بينه ويجعل بعضه على بعض وترى قطرات الماء تخرج من خلاله، وليس قطرات الماء وحسب، بل ينزل الله منها أيضا البرد فيصيب الله به من يشاء ويصرفه عمن يشاء، فانظر كيف تجتمع الرحمة مع العذاب في السحابة الواحدة، حيث في أعلى هذه السحابة الجبل تكون درجة الحرارة منخفضة إلى ما دون العشرين تحت الصفر، فيؤدي ذلك إلى تشكل البرد، أما في أسفلها؛ حيث درجة الحرارة مرتفعة نسبيا فيكون ذلك مساعدا على تشكل قطرات الماء، فشكل السحابة بناء على هذا شكل جبل شاهق يشق عنان السماء لعدة كيلومترات أعلا ه بَرَدٌ قاس وأسفله ودقٌ. وفي هذا من الدلائل الباهرات على وجوده وعنايته سبحانه و تعالى ما لا يخفى على كل ذي لب .

4- قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ

(1) سورة النور الآية 43

سُودٌ(27)وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)﴾ [1].

وفي هذه الآيات تنبيه "من الله تعالى على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي ينزله من السماء يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض، إلى غير ذلك من ألوان الثمار كما هو مشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها"[2].

5-قوله تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(4)﴾ [3]. قال ابن كثير: "هذا الاختلاف الكبير الذي لا ينحصر ولا ينضبط في أجناس الثمرات والزروع في أشكالها وألوانها وطعومها وروائحها وأوراقها وأزهارها ... مع أنها تستمد من طبيعة واحدة وهو الماء، كل ذلك آيات لمن كان واعيا، وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار الذي بقدرته فاوت بين الأشياء، وخلقها على ما يريد، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(4)﴾ [4] [5].

6- قوله تعالى:﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ(18)فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(19)﴾ [6]، والله تعالى يذكر بنعمه على عبيده التي لا تعد ولا تحصى في إنزاله القَطر من السماء بقدر، أي بحسب الحاجة لا كثيرا فيفسد الأرض والعمران، ولا قليلا فلا يكفي الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه من السقي

(1) سورة فاطر الآية28

(2) ابن كثير ، ج3 ص 729.

(3) سورة الرعد الآية 4

(4) سورة الرعد الآية 4

(5) ابن كثير، ج2 ص 658

(6) سورة المومنون الآية 18، 19

والشرب والانتفاع به، حتى إن الأرض التي تحتاج ماء كثيرا ولا تحتمل دمنتها إنزال المطر عليها يسوق إليها الماء من بلا د أخرى، كما في أرض مصر، ويقال لها الأرض الجرز .﴿ **فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ**﴾ أي جعلنا الماء إذا أنزل من السحاب يخلد في الأرض وجعلنا في الأرض قابلية له وتشربه ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى .

﴿**وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ**(18)﴾، أي لو شئنا أن لا نمطر لفعلنا، ولو شئنا لصرفناه عنكم إلى السباخ والبراري والقفار لفعلنا، ولو شئنا لجعلناه أجاجا لا ينتفع به لشرب ولا لسقي لفعلنا، ولو شئنا لجعلناه إذا نزل فيها يغور إلى مدى لا تصلون إليه ولا تنتفعون به لفعلنا، ولكن بلطفه ورحمته يترل عليكم الماء عذبا فراتا زلالا فيسكنه في الأرض ويسلكه ينابيع، فيفتح العيون والأنهار، ويسقي به الزروع والثمار وتشربون منه ودوابكم وأنعامكم، وتغتسلون منه وتتطهرون منه وتنظفون، فله الحمد والمنة [1].

7- قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (28)**﴾ [2]، هذه آية من آيات الله الدالة عليه وعلى عظيم قدرته وفيها امتنان من الله عز وجل على عباده بإنعامه عليهم وإغاثتهم بعد يأسهم وقنطهم من نزوله.

8-قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48)لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا(49)وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا(50)**﴾ [3]، قال ابن كثير: وهذا أيضا من دلائل قدرته التامة وسلطانه العظيم وهو أنه تعالى يرسل الرياح مبشرات أي بمجيء السحاب بعدها، والرياح أنواع في صفات كثيرة من التسخير، فمنعا ما يثير السحاب ومنها ما يحمله ومنها ما يسوقه، ومنها

(1) ابن كثير ، ج3 ص 326.

(2) سورة الشورى الآية 28

(3) سورة الفرقان الآية 48-50

ما يكون بين يدي السحاب مبشرا، ومنها ما يكون قبل ذلك تقم الأرض، ومنها ما يلقح السحاب ليمطر، ولهذا قال الله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾.

﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أي أرضا طال انتظارها للغيث فهي هامدة لا نبات فيها ." ﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ "أي ليشرب منه الحيوان من أنعام وأناسي محتاجين إليه غاية الحاجة .

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ أي أمطرنا هذه الأرض دون هذه، وسقنا السحاب يمر على الأرض ويتعداها ويتجاوزها إلى الأرض الأخرى فيمطرها ويكفيها ويجعلها،غدقا والتي وراءها لم ينزل فيها قطرة، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة"[1].

وهذه الآيات الكريمات واردة في سياق التذكير بنعم الله تعالى، حيث أفاضت آيات قبل هذه في التذكير بنعمة الظل وكيف جعل الله الشمس دليلا عليه وثنى بالحديث عن نعمة الليل والنهار وكيف جعل الليل لباسا والنهار نشورا لكسب المعاش، وليس التذكير بهذه الآيات عبثا وإنما لأجل أن ينتقل الإنسان من هذه النعم إلى المنعم، فهذا الإحكام الذي عليه هذه الظواهر، والنظام الذي تسير عليه يجعل الهروب من الحق والانحراف عنه إلى القول بالمصادفة دليلا على فساد الفطرة وانطماس البصيرة.

9-قوله عز وجل:﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ(10)يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(11)﴾ [2]، وهاتان الآيتان تذكران بنعم جليلة، ومن أعظم هذه النعم نعمة الماء، غير أن اللافت للنظر هنا هو: كيف يكون الماء سببا في حياة هذه الأنواع المختلفة من النباتات مع أنه واحد في طبيعته؟ لا شك أن هذا مدعاة للنظر عند كل متفكر، وهو دليل على الله عز وجل لا يدحض.

(1) ابن كثير، ج3 ص 428.

(2) سورة النحل الآية 10، 11.

10- قوله تعالى:﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ(60)﴾ [1]، وفي هذه الآية نقض لشرك المشركين، حيث ألزمهم بالإقرار بأن خلق السماوات والأرض وإنزال الماء من السماء وما يكون بسببه من نبات وشجر إنما كان بفعل خالق واحد، وإذا ثبت هذا، فكيف يستقيم هذا الإقرار مع توجيه العبادة لغير المتفرد بالخلق، لا شك أن من هذه حاله إن هو إلا منحرف عن الحق إذ يجعل لله عدلا ونظيرا، قال عز وجـــل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(74)﴾ [2]، وفي الآية تنبيه إلى ضعف الآلهة المزعومة، ضعف يتجلى في عجزها حتى على خلق أضعف الموجودات في نظرهم، "وخلق الذباب مستحيل كخلق الجمل والفيل. لأن الذباب يحتوي على ذلك السر المعجز؛ سر الحياة. فيستوي في استحالة خلقه مع الجمل والفيل .. ولكن الأسلوب القرآني المعجز يختار الذباب الصغير الحقير لأن العجز عن خلقه يلقي في الحس ظل الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل أو الفيل، دون أن يخل هذا بالحقيقة في التعبير. وهذا من بدائع الأسلوب القرآني العجيب "[3].

ومن خلال استعراض هذه النماذج من الآيات القرآنية يتضح لنا كيف أن الله عز وجل جعل كل ما حول الإنسان ناطقا بوجوده ودالا على وحدانيته، وكيف أن التوجيه القرآني إلى النظر في الآفاق، هو توجيه إلى النظر فيها من جهات متعدد، بحيث ينتهي التدبر في كل جهة منها إلى دليل من الأدلة على وجوده تعالى[4]. وأن تتبع هذه الأدلة تفصيلا في آفاق الكون أمر ليس متيسرا، "بحيث تصبح عملية إحصاء وترتيب تلك الأدلة

---

(1) سورة النمل الآية 60

(2) سورة الحج الآية 73،74

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط11،دار الشروق، القاهرة: 1405هـ/1985م،ج4 ص2444

(4) عبد المجيد النجار، الإيمان بالله وأثره في الحياة ،ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1997م، ص 73.

وطرائقها بحد ذاتها ضربا من الإعجاز"[1]، وقد اجتهد كثير من العلماء والمتكلمين قديما وحديثا في نظم وترتيب الأدلة الآفاقية الواردة في القرآن الكريم، وسموها بأسماء مختلفة، فذكروا منها دليل العناية والاختراع[2]، وذكروا منها دليل الخلق، ودليل التقدير والتسوية، ودليل الهداية، وغيرها، وهي أدلة آفاقية في جملتها.

والإيمان بالله عز وجل يقتضي الإيمان بتفرده بجميع صفات الكمال، وآيات القرآن الكريم تتناول صفات الله عز وجل تناولا يجيب عن كل الأسئلة بما لا يحتاج معه إلى مزيد، وتتناول كل صفات الله عز وجل مما لا يتسع المقام له، غير أن ما ينبغي التأكيد عليه هو أن صفات الله عز وجل بادية في مخلوقاته، بل إن جميع المخلوقات هي تجل للصفات الإلهية.

وتحصيل اليقين بالله وبكمال صفاته له أثره الكبير فيما بعده، وأول هذه الآثار تجريد كل الآلهة المزعومة من سلطانها، سواء كانت هذه الآلهة في آفاق الكون أو في عالم الإنسان، وكلاهما تخلص منهما إبراهيم عليه الصلاة والسلام من خلال النظر في ملكوت السماوات والأرض، قال عز وجل:﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ(75)فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ(76)فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ(77)فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(78)**﴾[3]، وهذه الآيات ترينا كيف خلص إبراهيم عليه الصلاة والسلام من السلطان الموهوم للآلهة المزعومة، وما هي إلا مخلوقات مسخرة للإنسان.

أما بشأن الخلاص من الآلهة المزعومة من البشر، فقد اتبع إبراهيم عليه الصلاة والسلام الطريقة نفسها التي أبطل بها ألوهية الشمس والقمر، قال عز وجل:﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى**

---

(1) طه جابر العلواني ، التوحيد والتزكية والعمران، ط1،دار الهادي ، بيروت : 1410هـ/2003م ص52

(2) كما فعل ابن رشد في كتابه: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة .انظر: أبو الوليد بن رشد ، فلسفة ابن رشد،ط1 دار الآفاق الجديدة ، بيروت: 1402هـ/1982م ص60-64 .

(3) سورة الأنعام الآية 75-78

﴿الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)﴾ [1]، فعجز مدعي الألوهية عن الإتيان بالشمس من المغرب كفيل بإبطال زعمه.

ومن مقتضيات التوحيد أيضا؛ الانتقال من النظر إلى العمل، وهذا الانتقال كما هو واجب على الفرد، هو واجب على الجماعة أيضا، والأساس في جميع هذه الأعمال؛ أن تكون على مقتضى عبادة الله عز وجل، في جميع المظاهر، قال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(162)لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ(163)﴾ [2].

المطلب الثاني: الإيمان بالأنبياء والرسل

ومما لا يكتمل إيمان المؤمن بفقده، الإيمان بالأنبياء والرسل، إذ يلزم عن إبطال ألوهية غير الله عز وجل، إبطال أحقية غيره في الأمر والنهي، حيث يصبح البحث عن بديل لما ينتجه العقل البشري غير المسدد بالوحي أمرا ملحا، وفي هذا السياق تأتي النبوة والرسالة لتربط الصلة بين الواقع البشري المتغير والوحي الإلهي الثابت المعصوم.

والتأكيد على الإيمان بالأنبياء والرسل حفلت به آيات القرآن الكريم، وكثير من هذه الآيات سردت علينا ما كابده هؤلاء المرسلون في سبيل تبليغ رسالات ربهم، قال عز وجل:﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ(6)وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(7)﴾ [3]، ولم يكابد الرسل الاستهزاء وحسب، بل إنهم اتهموا بالسحر، وبالجنون، وبأن ما يقوله أضغاث أحلام، قال عز وجل: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ(5)﴾ [4]. ولقد كان المترفون الخائفون على مصالحهم الدنيوية أشد الناس اعتراضا على الأنبياء والرسل، قال عز وجل:

(1) سورة البقرة الآية 258

(2) سورة الأنعام الآية 162،163

(3) سورة الزخرف الآية 6،7

(4) سورة الأنبياء الآية 5

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ(23)﴾ [1]، ولكن عاقبة المواجهة في غير صالح المعارضين قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ(171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ(172) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ(173)[2]. وقال أيضا:" كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ(21)﴾ [3].

ولقد كان مدار التدافع بين الأنبياء والرسل وسائر المخالفين حول أم القضايا، وهي تأكيد الأنبياء على وحدانية الله، وما يلزم عن ذلك من طاعة الله وحده، ورفض الكفار والمنافقين لهذه الدعوة عنادا واستكبارا، ولما أدركوا من ذهاب امتيازا تهم التي حازوها ظلما. فلم يقبلوا لأجل ذلك أي تشريع يمكن أن يمس مصالحهم.

المطلب الثالث: الإيمان بالبعث

ويندرج ضمنه الإيمان بالنشر والحشر والحساب ودخول الجنة والنار، "وقد سلك القرآن الكريم في استدلاله على إمكان البعث وتحقق وقوعه منهجا يجمع بين ما فطرت عليه النفوس من الإيمان بما تشاهد وتحس ويقع منها تحت تأثير السمع والبصر، وبين ما تقرره العقول السليمة ولا يتناقض مع الفطر المستقيمة"[4]، وإذا رمنا تتبع الآيات القرآنية الواردة بشأن التدليل على وقوع البعث، وجدنا أغلبها يتجه إلى آفاق الكون المحيط بالإنسان لتجعل منه مادة للدليل، شأنها في ذلك شأن التدليل على الله عز وجل، ومن الآيات التي اشتملت على أدلة آفاقية على البعث ما يأتي:

1- قوله عز وجل:﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(57)﴾ [5].

---

(1) سورة الزخرف الآية 23

(2) سورة الصافات الآية 171-173

(3) سورة المجادلة الآية 21

(4) زاهر بن عواض الألمعي،مناهج الجدل في القرآن الكريم.دت ص304

(5) سورة الأعراف الآية 57

قال القرطبي:"ذكر[هنا] شيئا آخر من نعمه ودل على وحدانيته وثبوت إلهيته"[1].

وفي الآية استدلال على البعث بإنزال الماء على الأرض الموات لإحيائها كذلك يخرج الموتى، والاستدلال هنا من وجهين:

ا-أن الله عز وجل وقد قدر على إحياء الأرض بعد موتها فليس هناك ما يعجزه عن إعادة الحياة إلى الموتى، ومنكر البعث هنا عليه أن ينظر إلى وجه المشاكلة بين إحياء الأرض بعد موتها وبين إحياء الإنسان بعد موته .

ب- ما ذكره القرطبي، حيث قال: "وجه التشبيه أن إحياءهم من قبورهم يكون بمطر يبعثه الله على قبورهم، فتنشق عنهم القبور، ثم تعود إليهم الأرواح"[2].

2-قوله عز وجل:﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ(9)﴾ [3].في الآية استدلال على البعث بإرسال الرياح فتثير السحاب وتسوقه إلى البلد الذي يريد الله أن ينزل عليه الماء فإذا بالأرض تحيا من جديد، وفي هذا آية ظاهرة على إمكان البعث، لما بين الإنسان ونبات الأرض من مشابهة.

3-قوله تعالى:﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(5)﴾ [4]، وهذه الآيات من الآيات الجامعة لأدلة البعث، وقد وقف العلماء عند أسرارها ولطائفها، ولهم فيها كلام طويل، ومن بين من وقف عندها، نجد الآلوسي، حيث يستخلص من هذه الآيات خمس نتائج أحدها من الجمل المتعاطفة في الآيات، وهي

(1) القرطبي، ج7، ص220 .

(2) القرطبي ج7، ص 223.

(3) سورة فاطر الآية9

(4) سورة الحج الآية5

الجمل الداخلة في حيز الباء، فأما الأولى؛ فإنه" لو لم يكن الله سبحانه هو الحق أي الواجب الوجود لذاته لما شوهد بعض الممكنات من الإنسان والنبات وغيرها والتالي باطل ضرورة فالله تعالى هو الحق، ودليل الملازمة برهان التمانع، واستنتاج الثانية بأنه لو لم يكن سبحانه قادرا على إحياء الموتى لما طور الإنسان في أطوار مختلفة حتى جعله حيا، وأنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، والتالي باطل ضرورة أن الخصم لا ينكر أنه تعالى أحيا الإنسان وأحيا الأرض فالله تعالى قادر على إحياء الموتى، ووجه الملازمة ظاهر. واستنتاج الثالثة بأنه إذا كان الله تعالى قادرا على إحياء الموتى[1]،فهو سبحانه على كل شيء قدير، لكنه تعالى قادر على إحياء الموتى، فهو على كل شيء قدير، ووجه الملازمة أن المراد من الشيء الممكن وإحياء الموتى ممكن والقدرة على بعض الممكنات دون بعض تنافي وجوب وجوده تعالى الذاتي؛ وأيضا إحياء الموتى أصعب الأمور عند الخصم المجادل حتى زعم أنه من الممتنعات، فإذا ثبت أنه سبحانه قادر عليه، بما سبق ثبت أنه تعالى قادر على سائر الممكنات بالطريق الأولى.واستنتاج الرابعة بأن الساعة أمر ممكن وعد الصادق بإتيانه، وكل أمر ممكن وعد الصادق بإتيانه فهو آت، فالساعة آتية، أما أن الساعة أمر ممكن فلأنه لا يلزم من فرض وقوعها محال، وأما أنها وعَد الصادق بإتيانها؛ فللآيات القرآنية المتحدى بها، وأما أن كل أمر ممكن وعد الصادق بإتيانه فهو آت لاستحالة الكذب . واستنتاج الخامسة بنحو ذلك"[2].وجملة الاستدلالات الواردة في هذه الآيات، من استدلال على البعث بأصل الخلقة، واستدلال بإحياء الأرض بعد موتها بإنزال الماء عليها على إمكان بعث الإنسان من جديد بعد موته .كلها تعود إلى أدلة آفاقية.

4- قوله عز وجل ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(19)قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ

---

(1) يلاحظ على هذه العبارة اضطراب أثر على معناها، وقد يكون هذا الاضطراب ناجم عن خطإ مطبعي، وقد اجتهد زاهر الألمعي في تصحيح العبارة فقال:" واستنتاج الثالثة : بأنه لو لم يكن الله قادرا على إحياء الموتى لما كان على كل شيء قدير، لكنه قادر على إحياء الموتى ،فهو على كل شيء قدير" زاهر بن عواض الألمعي، مرجع سابق،ص312

(2) الآلوسي ، روح المعاني ، ج17 ص121.

النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(20)يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ(21)﴾ [1]، وهاتان الآيتان واردتان في سياق الحديث عن دعوة إبراهيم عليه السلام قومه إلى التوحيد ومجادلته لهم في شأن المعاد، حيث إن الله عز وجل "أرشدهم إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا، ثم وجدوا وصاروا أناسا سامعين مبصرين، فالذي بدأ هذا قادر على إعادته، فإنه سهل عليه يسير لديه، ثم أرشدهم إلى الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق الله الأشياء: السماوات وما فيها من الكواكب النيرة[2] الثوابت[3] والسيارات والأرضين وما فيها من مهاد وجبال، وأودية وبراري، وأشجار وأنهار، وثمار وبحار"[4].

والظاهر أن قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، لا ينصرف إلى رؤية الخلق المطلق، فذلك ما لم يحصل، وقد قال عز وجل:" مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا(51) " [5]، إنما ينصرف إلى رؤية الخلق والإعادة كل سنة مثل ما أنشأه سبحانه في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما، فإن ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه[6]، ووفقا لهذا يكون العطف في الآية على أقرب مذكور، أي عطف الإعادة على البدء، وليس العطف على"أولم يروا "[7]، وهذا المعنى هو ما يتفق مع الآية الموالية الداعية إلى السير في الأرض، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ"﴾.

---

(1) سورة العنكبوت الآية 19-21.

(2) ثبت في وقتنا الحالي أن الأجرام السماوية منها ما هو نير ومنها ما ليس بنير، فالنيرات هي النجوم، وما ليس بنير فهو إما كوكب أو قمر.

(3) هذا قول ابن كثير في زمنه، وأما الآن فقد ثبت أن الأجرام السماوية كلها سيارة.

(4) إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج3 ص541، 542.

(5) سورة الكهف الآية 51.

(6) الآلوسي، روح المعاني، ج20 ص146

(7) الآلوسي، روح المعاني، ج20 ص146

والآية الأخيرة جاء فيها تقديم العذاب على الرحمة لأن المقام مقام تهديد ووعيد للكفار المنكرين للبعث.

5- قوله عز وجل:﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ(77)وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ(78)قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ(79)الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ(80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ(81)إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ(82)﴾[1] . وهذه الآيات الواردة في دحض شبه منكري البعث، اشتملت على دلائل آفاقية واضحة، حيث بني فيها الاستدلال على بيان قدرة الله تعالى على الخلق أول المرة، فيكون الخلق الثاني أيسر من الأول إذا قيس بالموازين البشرية القاصرة، أما الله تعالى فلا يعجزه شيء، وعلى بيان قدرة الله في إخراج الشيء من ضده، ويكون ببيان هذه القدرة في خلق السماوات والأرض، فيكون خلق الناس أيسر من خلق السماوات والأرض بطريق الأولى، وقد قال تعالى:﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(57) "[2]، وهذه الآية وإن لم تتجرد لغرض إثبات البعث، إلا أنها تضمنت ذلك بإيجاز، وذلك لأن بناءها على تذكير الخلق وتنبيههم على وحدانية الله سبحانه، وانفراده بالخلق والأمر[3]، والتلازم بين هذا وذاك لا يحتاج إلى بيان.

6-قوله تعالى﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ(11)﴾ [4].

---

(1) سورة يس الآية 77-82

(2) سورة غافر، الآية 57.

(3) أحمد بن إبراهيم الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح. ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1403 هـ/1983م، ج2، ص858

(4) سورة الزخرف الآية 11

قال القرطبي: " قال ابن عباس: أي لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أغرقهم، بل هو بقدر لا طوفان مغرق ولا قاصر عن الحاجة، حتى يكون معاشا لكم ولأنعامكم . ﴿ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ(11)﴾ : أي من قدر على هذا قدر على ذاك"[1].

وفي الآية استدلال على البعث بقياس بعث الإنسان على البعث المشاهد الذي يحدث لنبات الأرض بعد إنزال الماء عليها.

7-قوله تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا(14) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا(16)﴾ [2]. هذه الآيات افتتحت بقوله عز وجل ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا(6) "[3] فهي إذن واردة في سياق التذكير بنعم الله التي يتمرغ فيها الإنسان من صباحه إلى مسائه ومن ليله إلى صباحه . ومن خلال النظر في الآيات التي قبلها والتي بعدها يتبين أنها واردة في سياق التدليل على البعث، وذلك لأنها سبقت بالحديث عن النبأ العظيم الذي هو يوم البعث، ثم جاء الحديث عن مختلف النعم الإلهية ومن أجلها الماء، ثم العودة للحديث عن يوم القيامة، وهو ما يشير إلى أن سوق هذه النعم جاء للتأكيد على أن من قدر على بسط هذه النعم فهو على بعث الإنسان من جديد ليحاسب أقدر .

8-قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ(10) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ(11)﴾ "[4] .هذه الآيات واردة أيضا في إثبات البعث، حيث إن مطلع السورة يشير إلى ذلك، بالإضافة إلى أن الآية الحادية عشرة ختمت بقوله عز وجل ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ أي أن من أنزل من السماء ماء وأحيا به الأرض بعد موتها، قادر على إعادة الحياة للإنسان وذلك لأن بعث الإنسان يشبه إعادة الحياة إلى الأرض.

---

(1) القرطبي، ج16، ص 63.

(2) سورة النبأ الآية 14-16

(3) سورة النبأ الآية6

(4) سورة ق الآية 9-11

ونصب الأدلة على البعث صحبه أيضا التنبيه إلى الحكمة منه، ذلك أن المنكرين زعموا أن لا حكمة مترتبة على البعث، والحكمة كل الحكمة في دوام النوع الإنساني على الأرض، " فجاء الرد القرآني مؤكدا على أن البعث حقيقة تقتضيها حكمة الله، وذلك تحقيقا للعدل الإلهي بين مخلوقاته"[1]، قال عز وجل:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ(115)﴾ [2]. فنفي العبثية عن الخلق وما يستتبعه من الوعي بحقيقة اليوم الآخر وما به من حساب وعقاب يعطي طاقة روحية هائلة تكرس شعورا عميقا بالمسؤولية مما يدفع للقيام بدور فعال في إطار الممارسة لأن المصير النهائي مرتبط بتلك الممارسة، كما أنها تنعش الإرادة وتحفظ القدرة على التحديد[3] .

المطلب الرابع: الإيمان بالقضاء والقدر

وذلك بالإيمان بأن الله تعالى خالق شيء ومقدره، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا(2)﴾ [4]. وهذا التقدير عبرت عنه آيات كثيرة بالسنن، وهذه السنن كما نجدها في عالم الإنسان نجدها في عالم الطبيعة، وهذا التقدير" عبارة عن النظام العام في الخلق الذي تكون فيه الأشياء بقدر أسبابها، بحسب السنن والنواميس العامة التي وضعها الخالق تبارك وتعالى لها، لا ما اشتهر عند عامة الناس من أن المقدر ما ليس له سبب، أو ما يفعله الله على خلاف النظام والسنن، وأنه يؤدي إلى إجبار الناس على ما يفعلون وما يتركون، بقطع النظر عن حبهم لذلك أو بغضهم له"[5].

---

(1) عبد الكريم نوفان عبيدات، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية،ط1 دار النفائس،عمان: 1420هـ/2000م ص447

(2) سورة المؤمنون الآية 115

(3) حامد عبد الماجد قويسي، الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية، ط1 دار التوزيع والنشر الإسلامية ،القاهرة: 1413هـ/1993م ص235

(4) سورة الفرقان الآية 2

(5) طه جابر العلواني، التوحيد والتزكية والعمران ص 46

وآيات القرآن الكريم تعرض ركن الإيمان بالقضاء والقدر ببساطة لا مكان للحيرة معها[1]، بحيث تتزاح أمامها كل الأسئلة الدالة على هذه الحيرة، وهي أسئلة لا تجد لها جوابا أبدا إلا في جو الإيمان، بالله الواحد، وبتدخل إرادته في كل آن باعثا على الطمأنينة.

ثم إن النظام والتقدير الذي عليه آفاق الكون، من شأنه أن يجعل المؤمن بقدر الله أكثر التزاما وإقبالا على معرفة نظام الكون بحسب ما يحقق استخلافه في الأرض.

والإنسان بعد هذا الالتزام الإيماني الذي قطعه على نفسه- وهو التزام علمي بالدرجة الأولى- يحتاج معه إلى التزام عملي بهذه القضايا العلمية التي آمن بها، حيث تكون جميع الأعمال يهيمن عليها التوحيد، ويلقي عليها بظلاله، حتى لا يقع تحت طائلة الوصف بالمقت، قال تعالى:﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ(2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ(3)** ﴾[2]، ومن ثم يكون في حاجة إلى الممارسة، وهذه الممارسة، ينبغي أن تكون مراعية لما يأتي:

1- الإصلاح: الإصلاح مفهوم عام ينسحب على سائر الأعمال، بمعنى أن كل الأعمال المطلوب فيها أن تكون سائرة على مقتضى الصلاح، حتى وإن كانت هذه الأعمال تبدو في ظاهرها بعيدة عن كونها محلا للحكم الأخلاقي، لكنها في حقيقتها واقعة تحت طائلة الحكم عليها بالحسن والقبح. ومدار صلاح الأعمال على صلاح النفس، وليس مقام النفس خطورته تتوقف عند هذا الحد، بل حتى التفكير في المستقبل بتغيير الوضع الراهن يبدأ من النفس، قال الله عز وجل في هذا الشأن: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** [3]. وعلى ذلك فإن تحري الصلاح يبدأ من إصلاح

---

(1) الآيات التي تتحدث عن القضاء والقدر كثيرة ، وقد وقع حول تفسيرها اختلاف شديد بين علماء المسلمين، وخاصة من المتكلمين ، حيث قسمت هذه الآيات إلى محكم ومتشابه، وكل فريق يرى متشابها ما يراه خصمه محكما، ونعتقد أن هذه الآيات ينبغي أن تقرأ في سياق كوني عام ، وفي القرآن كله، وفق المقاصد العامة للدين، وأما قراءها مستلة من سياقاها العقدية والتشريعية، فنحسب أن ذلك لا يزيد ها إلا غموضا.

(2) سورة الصف الآية 2،3

(3) سورة الرعد الآية 11 .

النفس، يقول الراغب الأصفهاني: "لا يصلح لخلافة الله تعالى ولا يكمل لعبادته وعمارة أرضه إلا من كان طاهر النفس قد أزيل رجسه ونجسه، فللنفس نجاسة كما أن للبدن نجاسة، لكن نجاسة البدن تدرك بالبصر ونجاسة النفس لا تدرك إلا بالبصيرة، وإياها قصد الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [1]... ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر القول والعمل: فكل إناء بالذي فيه ينضح ... ولهذا قيل من طابت نفسه، طاب عمله، ومن خبثت نفسه، خبث عمله" [2]. والإصلاح المطلوب هنا لا يقف عند إصلاح النفس وحسب، إذ إصلاح النفس هو المنطلق، بل لابد أن ينتقل إلى مستوى آخر وهو إصلاح المحيط بمعناه الواسع، ذلك أن الاكتفاء بالنفس يولد انطوائية وسلبية مذمومة شرعا، قال الله عز وجل: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ(88)﴾ [3].

فهذا النبي جعل جهده منصبا على فعل الصلاح، ولا يريد من قومه إلا أن يصلحوا؛ دنياهم بالعدل، وآخرتهم بالعبادة [4]، وأن السعي إلى الإصلاح يكون بقدر الاستطاعة مع رجاء التوفيق من الله عز وجل.

والعمل الصالح لا ينحصر مفهومه في الفرد، وقيمته الحقيقية في امتداده إلى المجموع، كذلك لا ينحسر مفهومه في معناه الروحي المعنوي، بل يمتد ليشمل حياة الإنسان كلها، حيث تصبح تنقية الروح بالعبادة والمجاهدة، وتدريب العقل بطلب العلم من الإصلاح، ويكون الاهتمام بالجانب المادي بعمارة الأرض من الإصلاح أيضا. وشمول مفهوم الإصلاح يرجع إلى اقترانه بالعمل، حيث إن كل عمل؛ أي عمل كان إلا وأمكننا أن نصدر عليه حكما بالصلاح أو بالفساد، ومستند ما نصدره من أحكام مستندٌ شرعي

---

(1) سورة التوبة الآية 28 .

(2) الراغب الأصفهاني ، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، تحقيق: أبو اليزيد العجمي ط2 ، دار الوفاء المنصورة (مصر) : 1408هـ/1987م

(3) سورة هود الآية 88 .

(4)القرطبي ج10، ص 93

في المبدأ والمآل، ولو رحنا نتتبع مادة صلح في القرآن الكريم لوجدناها تتكرر معنا مائة واثنتين وسبعين مرة[1]، وفي سياقات مختلفة، تغطي مختلف نشاطات الإنسان، "فالقرآن الكريم إذ يغري الإنسان، بل يفرض عليه التفكير اللاهائي في الآفاق وفي الأنفس، وفي خلق السماوات والأرض ، يغريه- في الوقت نفسه- بالعمل الصالح، لا بمطلق العمل، ارتقاء بنوعيته، وتوجيها إلى إتقانه وجودته، بل والإبداع فيه، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[2] دون بخس لحقه في المثوبة عليه ولو مثقال ذرة"[3]. ومفهوم العمل بهذا المعنى ينسحب على علاقة الإنسان بربه، وعلاقته ببني جنسه وعلى علاقته بآفاق الكون عموما.

ففي علاقة الإنسان بربه يتكرر الخطاب في مواضع كثيرة، ومنها قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (94)﴾ [4]، فالله عز وجل سمى الطاعات بالصالحات سواء كانت هذه الطاعات فرضا أو نفلا، شرط أن يكون صاحبها موحدا مسلما [5]. وهذا المعنى يتكرر في مواضع كثيرة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(110)﴾ [6] فالعمل الصالح هنا هو جملة الطاعات المقترنة بتوحيد الله وعدم الإشراك في عبادته.

أما في علاقة الإنسان ببني جنسه فإن الإصلاح مما توجبه طبيعة الحياة، إذ لا استقامة لها مع فقدان وازع الإصلاح، وهذا الإصلاح كما يشمل الإصلاح بين الأفراد يمتد ليشمل مجموع الأمة، بل مجموع الإنسانية كافة.

---

(1) أحمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . بيروت ، دار الأندلس ، ص 410-412.

(2)سورة الملك الآية 2.

(3) فتحي الدريني، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر. ط1 ، دار قتيبة، بيروت: 1408هـ/ 1988م ج2 ص516 .

(4) سورة الأنبياء الآية 94.

(5)القرطبي، ج12 ص357.

(6) سورة الكهف الآية 110.

ففيما يخص الإصلاح بين الأفراد، نالت العلاقات الأسرية نصيبها من الاهتمام في الإسلام، فكان الحض على الإصلاح بين الزوجين في حال الخلاف شيئا منصوصا عليه لفض النزاع داخل الأسرة لما يترتب على استفحاله من آثار سلبية تتعدى حدود الزوجين إلى الأبناء، ثم إلى جماعة المسلمين كلها، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا(35)﴾ [1] . وأما على مستوى مجموع الأمة، فلما كان نشوب الخلاف في بنية الأمة بمقتضى التفاوت بين الناس في كل شيء، "لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم" [2]، جعل الله الإصلاح ملاذا لفض الخلاف، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(10)﴾ [3] . فالإصلاح بين المتنازعين داخل الأمة واجب شرعي.

وإذا جئنا إلى طبيعة العلاقة بين الإنسان وآفاق الكون وجدنا القرآن الكريم يؤسسها أيضا على مبدأ الإصلاح، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(56)﴾ [4] ففي هذه الآية نص صريح على " أنه سبحانه نهى عن كل فساد قل أو كثر، بعد صلاح قل أو كثر فهو على العموم الصحيح من الأقوال. وقال الضحاك: معناه لا تغوروا الماء المعين، ولا تقطعوا الشجر المثمر ضرارا. وقد ورد: قطع الدنانير من الفساد في الأرض. وقد قيل تجارة الحكام من الفساد في الأرض" [5] . ومن الإفساد في الأرض إهدار نعم الله

(1) سورة النساء الآية 35

(2) ابن خلدون ، المقدمة، دار الكتاب العربي،بيروت:1425هـ/2005م ص 49

(3) سورة الحجرات الآيتان 09 ، 10 .

(4) سورة الأعراف الآية 56 .

(5)القرطبي،ج7 ص 219

عز وجل بما فيها النعم المبثوثة في آفاق السماوات والأرض، قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [1]، فالآية ذكرت المسخرات في السماوات والأرض وعدتها من جملة النعم، ومن ثم ينبغي عدم تبديلها بإساءة التصرف فيها قال الله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(211)﴾ [2] . ومن أسباب تبديلها معصية مسديها، وإساءة التصرف فيها، وقال عز وجل: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (85) ﴾ [3]، ولفظ الفساد في الآية " يعم دقيق الفساد وجليله" [4]،كما أن الإصلاح في الآية يعم دقيق الإصلاح وجليله.

فالإصلاح المؤدي إلى الصلاح؛ صلاح الفرد والمجتمع فيما يأتي كل منهما وما يذر من الأعمال، واجب شرعي أمر القرآن الكريم بتحريه، وضرورة يفرضها نزوع الإنسان على الجملة إلى دفع الضرر وجلب النفع. وكون السعي إلى الصلاح بهذا الوصف، فإنه طريق المؤمن إلى الجنة، والإصلاح المطلوب لا يكون بمجرد ادعاء الإيمان والإسلام، ذلك أن" ظن بعض المغرورين بأنه يكون لهم السلطان والخلافة في الأرض بمجرد دعوى الإيمان والإسلام ولو مع بعض الأعمال البدنية من غير إقامة العدل في الناس والعمارة والإصلاح في الأرض هو من الهزء بآيات الله في كتابه، وآياته في خلقه، فإنها متفقة على أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون لعمارها وإقامة العدل فيها " [5]، من هنا تأتي الحاجة بعد إرادة الإصلاح إلى العدل.

2- العدل: جاء في لسان العرب "العدل ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور. عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلا وهو عادل من قوم عُدُول و عَدْل ...و عَدَل

---

(1) سورة لقمان الآية 20 .

(2) سورة البقرة الآية 211 .

(3) سورة الأعراف الآية 85 .

(4)القرطبي ، ج7، ص239

(5) المنار ج2 ص 261

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عليه في القضية ، فهو عادل و بسط الوالي عدله و مَعدِلَته. وفي أسماء الله سبحانه العدل ، هو الذي لايميل به الهوى فيجور في الحكم"[1] .

و كلمة "العدل" من الألفاظ المشتركة، حيث تشير إلى المعنى و ضده، و في القرآن الكريم وردت بالمعنيين ، قال عز وجل ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(8)**[2]﴾، و العدل هنا ضد الجور، وقال عز وجل﴿ **ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1)** ﴾ [3]، أي يشركون به و يجعلون له عديلا يشركونه معه في العبادة ، و يسوونه به تعالى عن ذلك علوا كبيرا، أما قوله تعالى ﴿ **وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ(123)** ﴾ [4]، أي لا تقبل منها فدية، و فيها معنى المثل، السوية، القيمة[5]؛ على اعتبار أن الفدية تماثل وتساوي قيمة المفتدى .

وفي القرآن الكريم ورد الجذر"عدل" 28 مرة، وفي جميع المواضع جاء بمعنى الإنصاف ، وفي موضع واحد بمعنى إقامة الشيء وتسويته، كما في قوله تعالى:﴿ **الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ(7)**﴾[6]. أي صرف خلقة الإنسان عما لا يلائمها،وقرأ غير واحد من السبعة عدَّلك بالتشديد، أي صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه[7]. وفي ثلاثة مواضع بمعنى الميل، والإشراك كما سبق بيانه من قبل.

وفي القرآن الكريم مفردات أخرى فيها معنى العدل، مثل "الوزن" حيث تكررت الكلمة 23مرة، وكلمة" القسط" التي تكررت 25 مرة ، كلها بمعنى واحد عدا ما جاء

---

(1)لسان العرب، ج10، ص61

(2) سورة المائدة، الآية 08

(3) سورة الأنعام الآية 01

(4) سورة البقرة ، الآية 123

(5) لسان العرب، ص63.

(6) سورة الانفطار الآية 7.

(7) الآلوسي، 64/30.

في سورة الجن ، حيث جاءت الكلمة " القاسطون"، كما في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا(15)﴾[1]، مرتين وهي من الفعل " قسط" وليست من الفعل "أقسط" التي فيها معنى العدل الذي هو ضد الجور، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ(9) ﴾[2]، "قال مجاهد: القسط: العدل بالرومية" [3]، وبحسب قول مجاهد يكون معنى القسط يزيد على معنى العدل، وإلا ما كانت هناك فائدة لذكره، والكلمة بالرومية قد تكون : Juste ، وفيها معنى الصواب، فيكون من العدل فعل الصواب في كل شأن، وفي كل عمل يقدم عليه، ومعيار الصواب هنا هو موافقة الشرع.

و العدل من حيث هو قيمة أخلاقية مطلوبة يمثل الأساس الذي تستقيم به حياة الناس، حيث صلته بالعمران وطيدة، و لا سبيل للعمارة إلا به [4]. فهو قيمة أخلاقية ينبغي أن تكون مصاحبة لكل فعل من أفعال الإنسان " وقيمة تتعلق بمنطق الممارسة ذاته وكيفية تحقيق القيام به؛ فالعمران بمنطق العدل وحركيته هو الذي يؤدي إلى تحقيق الاستخلاف، فالوظيفة الاستخلافية تتحقق إذا تم العمران بمنطق العدل" [5] .

والعدل المقصود هنا ليس مجرد الحكم بين الناس بالنصفة، بل يتجاوز هذا إلى إقامة الموازين القسط في كل شأن، سواء في معاملة الخالق عز وجل، أو في معاملة الناس أجمعين، أو في معاملة آفاق الكون جميعها.

فالعدل مع الله تعالى يكون بفعل الصواب وفق ما شرع وطلب، والتزام هذه القاعدة له تأثير مباشر في العدل مع الناس فعبادة الله تعالى من نتائجها عدم مجاوزة حدود

---

(1) سورة الجن الآية 15

(2) سورة الرحمن الآية 9

(3) القرطبي ج18 ص151

(4) ابن خلدون ، المقدمة ص 45.

(5) حامد عبد الماجد قويسى، الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة: 1413هـ/1993م، ص135.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ه التي وضعها في معاملة الناس بعدم ظلمهم، والتعدي عليهم، بل إن من معاني القسط الزيادة في العدل ليبلغ حد الإحسان.

وأما في علاقة العدل بآفاق الكون فهي وطيدة أيضا، قال عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ(7)أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ(8)وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ(9)وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ(10)فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11)وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ(12)فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13)﴾[1]، وفي هذه الآيات اقترن ذكر السماء المرفوعة بالميزان، وفيها أمر بعدم الطغيان فيه، ثم أتبع الحديث عن الميزان بالحديث عن خيرات الأرض ؛ الفاكهة، النخل ذات الأكمام، الحب ذو العصف والريحان، وغيرها من سائر النعم التي لا يجد الإنسان مناصا من شكرها، واقتران هذه بالميزان وبالقسط يدل على صلة وطيدة بينهما ولا شك، فهذه النعم المبثوثة من واجب الإنسان أن يسلك معها مسلك الميزان في الانتفاع وفي الشكر، قال تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ(85)﴾[2]، وفي الآية اقترن ذكر الميزان والقسط فيه بعدم الإفساد في الأرض، والإفساد في الأرض كما يكون بنقض العدل والميزان المفضي إلى الظلم والنزاع بين الناس، يكون أيضا بعدم مراعاة هذا الميزان، وعدم فعل الصواب في آفاق الكون بإتيان ما يضر، فالإفساد في الأرض كما يكون بإشاعة الظلم بين الناس يكون بإشاعة الفساد في الأرض نفسها بوجوه الإفساد المختلفة[3]. فالإفساد المذكور في الآية مما يعم دنيا الناس وما يحيط بها جميعا.

والذي نخلص إليه أن العدل وما يدخل في معناه قيمة عامة شاملة لعالم الإنسان، وشاملة لكل ما له صلة به، حيث إن مدى التزام هذه القيمة من قبل الإنسان له تأثير يرتد عليه سلبا أو إيجابا.

---

(1) سورة الرحمن الآية7-13

(2) سورة هود الآية 85

(3) سبق الحديث عن معنى الفساد في الأرض في العنصر السابق ، وسيأتي الحديث عنه بشيء من التوسع في الفصل السادس .

المبحث الثاني: الأسس المادية

ويمكن ردها إلى العمران، حيث إنه ينتظم سائر الجزئيات الأخرى، ويمكن إدراجها تحته، والعمران والعمارة شيء واحد، جاء في لسان العرب "وعَمَرَ يَعْمُرُ ويَعْمِرُ... عاش وبقي زمانا طويلا "[1] ، ومن هذا القبيل ما ورد في قوله عز وجل:"ومن نعمره ننكسه في الخلق" أي يطيل الله عمره، ويرد إلى أرذل العمر، وفي القرآن الكريم نجد قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (9) ﴾ [2] ، فهؤلاء عمروا الأرض وتعميرهم إياها كان بـــ" بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها" [3]. وقال الله عز وجل أيضا: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (61) ﴾ [4].قال الآلوسي في تفسير هذه الآية: "أي وهو الذي جعلكم عمارها وسكانها ... وقال زيد بن أسلم: المعنى أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه من بناء مساكن وحفر أنهار وغرس أشجار وغير ذلك، فالسين للطلب، وإلى هذا ذهب الكيا[5]، واستدل بالآية على أن عمارة الأرض واجبة لهذا الطلب" [6].

---

(1) لسان العرب ، ج10ص277.

(2) سورة الروم الآية 9 .

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. بيروت، دار إحياء التراث العربي ج7 ص52 .

(4) سورة هود الآية 61 .

(5) "هو علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري الملقب بعماد الدين المعروف بالكيا الهراسي(450/504هـ)، فقيه شافعي، أصولي متكلم، مفسر ، ولد في طبرستان ، وتفقه على إمام الحرمين، وقدم بغداد فسكنها ، ودرس بالنظامية إلى أن مات. قال عبد الغافر الفارسي : كان من رؤوس معيدي إمام الحرمين في الدرس ، وكان ثاني أبي حامد الغزالي " عادل نويهض، مع جم المفسرين ، ط1 مؤسسة نويهض الثقافية ، 1403هـ 1983م ج1 ص 376

(6) الآلوسي ج12 ص88 .

وفي القرآن الكريم أيضا ما يفيد معنى العمارة وإن جاء بلفظ مغاير ونقصد بذلك "**الإثارة**"، حيث وردت اللفظة مرتين؛ في واحدة منهما مقترنة بالتعمير كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا**﴾ [1]، وإثارة الأرض هنا تشمل قلبها للزراعة والحرث واستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك[2]، أما الأخرى فهي قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ(21)**﴾ [3]،والآثار هنا إشارة إلى الأبنية والقصور والمصانع[4].

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن العمارة من حيث هي كذلك قد ينجزها المؤمن وقد ينجزها الكافر، لكن العمارة المحوطة بسياج عقدي استخلافي لا تكون إلا من المؤمن، ويمكن تعريفها على هذا الأساس بأنها : **طول زمان البقاء المقترن بالتعمير والبناء بهدف تنمية حياة الإنسان في مختلف مناحيها على وجه التقوى والصلاح.**

والشطر الأول من العمارة المتمثل في التعمير والبناء أمر يشترك فيه الناس جميعا، على اعتبار أن النزوع إلى استعمار الأرض أمر فطري في الإنسان؛ يعبر عنه بأشكال مختلفة من الأنشطة، مدفوعا إلى ذلك بالحاجة إلى الطعام والإيواء وما إلى ذلك، لكن أنموذج استعمار الأرض يمكن أن يخرج عن مقصده، وعوض أن يكون حاثا على بلوغ المقاصد الحسنة في الدنيا والآخرة، قد ينحرف ليصير باعثا على الرغبة في التجبر، قال الله عز وجل: ﴿**أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي (131) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ(132) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (**

(1) سورة الروم الآية 9 .

(2) أبو السعود ج286/7

(3) سورة غافر الآية 21 .

(4) المصدر نفسه، ج7 ص286 .

134) إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ (135) ﴾ [1]، وهذه الآيات الواردة في شأن "عاد" تبين حال الناس عندما ينحرفون في عمرانهم عن المقاصد النافعة فإذا أقيمت البناءات والمصانع و" أهمل إرضاء الله تعالى بها واتخذت للرياء والغرور بالعظمة، وكانوا معرضين عن التوحيد وعن عبادة الله انقلبت عظمة دنيوية محضة لا ينظر فيها إلى جانب النفع، ولا تحث الناس على الإقتداء في تأسيس أمثالها وقصارا ها التمدح بما وجدوه منها. فصار وجودها شبيها بالعبث لأنها خلت عن روح المقاصد الحسنة فلا عبرة عند الله بها، لأن الله خلق هذا العالم ليكون مظهر عبادته وطاعته. وكانوا أيضا في الإعراض عن الآخرة والاقـــتصار على التزود للحياة الدنيا بمنزلة من يحسبون أنفسهم خالدين في الدنيا" [2]، فإرضاء الله تعالى هو المعيار في تقييم مظاهر العمران، وذلك لأن الإقبال على الأعمال لما تجره من نفع قد يكون من المؤمن كما يكون من الكافر، وقد تكون الأعمال في صورها وأشكالها متشابهة لا فرق في ذلك بين ما يأتيه المؤمن وما يأتيه الكافر، فيكون الضـــابط الوحيد في التمييز بين الأعمـــال هو مدى مراعـــاتها للمقاصد التي ترضي الله عز وجل.

والآيات السابقة أعطت صورتين للعمران؛ صورة مشوبة بالعبث والظلم، وأخرى مؤيدة بالتقوى والطاعة.

فأما الصورة الأولى فهي في قوله تعالى: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ(128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ (130) ﴾[3]، وأهم عناصر العمران فيها: **البناء، العبث، اتخاذ المصانع، الرغبة في الخلود والتجبر (الظلم)**، ويمكن تقسيم هذه العناصر إلى قسمين:

قسم يتمثل في الناحية المعنوية وقسم في الناحية المادية الظاهرية، والعناصر التي يمكن إدراجها في القسم الأول هي:العبث، الرغبة في الخلود في الدنيا والتجبر، أما عناصر

(1) الشعراء 128- 135 .

(2) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ج19 ص166 .

(3) سورة الشعراء الآيات 128-130 .

القسم الثاني فهي: البناء واتخاذ المصانع. فإذا ما اجتمعت هذه مع تلك مع ما يصاحبها من الغرور كانت الثمرة المجتناة منها بوارا وخسرانا في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا بسرعة زوال هذا العمران لعدم استجابة القائمين عليه لتحذير وإنذار أنبيائهم، وفي الآخرة بجهنم وبئس القرار، وفي هذا الشأن قال الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(9)﴾[1] . والإنكار هنا منصرف إلى تقصير هؤلاء القوم المغترين بقوتهم في السير في الأرض والاعتبار بعاقبة من كان قبلهم، وقد كانوا أشد قوة منهم وأطول باعا في تعمير الأرض، لكن ذلك لم يغن عنهم شيئا، بل كان سببا في زوال عمرانهم، وهذا ما ينطبق على ثمود قوم صالح حيث قال الله عز وجل في شأنهم: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (61)﴾[2]،فهؤلاء الذين أساؤوا العمارة أهلكهم الله رغم ما أوتوا من قوة.

وأما الصورة الثانية فهي في قوله عز وجل:﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي(131) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ(132) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ(133)وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(134)إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (135)﴾ [3]، وعناصر العمـــران المذكورة هنا تتمثل في التقوى والطاعة، ونلاحظ هنا استغناء عن ذكر البناء والمصانع لأنهما ذكرا قبل ذلك، والمقام هنا مقام موعظة بدليل قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (136)﴾ [4]، والوعظ هنا منصرف إلى التذكير بتقوى الله عز وجل وطاعته، إذ هما سبيل دفع العبث والظلم المفضيان إلى الفساد، وأما البناء واتخاذ المصانع فإن التحريض لا ينصرف إليهما لاندراجهما في جملة ما يطلبه الإنسان بجبلته كما سبق بيانه، والصورة المترتبة على هذا تصبح كما يلي: بناء واتخاذ

1 سورة الروم الآية 9

2 سورة هود الآية 61

(3) سورة الشعراء الآية131- 135 .

(4) سورة الشعراء الآية 136 .

مصانع، تكون أساساتها؛ التقوى والطاعة وما يدخل تحتها من معاني التوجه إلى الله عز وجل.

والوعيد الوارد في الآية في شأن عاد وقع عليهم فعلا، مع بلوغهم في العمارة مبلغا عظيما، ظنوا معه ألا زوال لسلطانهم، لكن الإكثار من الفساد عجل بهلاكهم قال عز وجل:﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ(6)إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ(7)الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ(8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ(9)وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ(10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ(11)فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ(12)فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ(13)﴾ [1]، حيث استبدل الله عز وجل بهم قوم ثمود، واستبدل بثمود أقواما آخرين، وهي سنة إلهية جارية في خلقه، قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ(105)إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ(106)﴾ [2].

فالتقوى والطاعة، وعدم مقابلة النعمة بالمعصية والكفران، والبعد عن كل أشكال الغرور التي توهم الإنسان بالقدرة على كل شيء، من شأنها تثبيت دعائم العمران، وما سوى ذلك من الغفلة عن حقيقة الحياة الدنيا والاغترار بالقوة، والإقامة على الفساد، أمارة على قرب الهلاك قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(24)﴾ [3]. بل إن الله عز وجل توعد بأن يأخذ كل جبار أخذ عزيز مقتدر، والأخذ بالبأساء ونزع النعيم مع وفرته من أيدي أناس أقاموا على الأمن، وعدم انتظار حلول النقم مع أنهم فعلوا ما يوجبه له من الحسرة والوقع السيئ على النفس أشد من حلوله بقوم توقعوه، قال عز وجل﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ

---

(1) سورة الفجر الآية 6-13.

(2) سورة الأنبياء الآية 105-106.

(3)سورة يونس الآية 24.

نَائِمُونَ(97)أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ(98)أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ(99)﴾ [1]، فالخوف إذاجاء من موضع الأمن كان خطبه أعظم، والعذاب إذا فاجأ من حيث ترجى الرحمة وقعه آلم[2].

والذي نخلص إليه؛ أن ما اصطلحنا عليه بالأساس المادي لا يمكن فصله عن الناظم الإيماني الذي يضبط وجهته ويرشدها، وهذا ما يجعلنا نرى بأن العمران الاستخلافي لا يمكن تصوره من دون التقوى والطاعة، وأي عمران يخلو من هذا العنصر فهو عمران غير مرضي، وليس له من العمران الحقيقي إلا صورته.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) سورة الأعراف الآية 97 – 99

(2)تفسير المنار، ج2 ص 263

الفصل الرابع:

الإنسان المستخلف.

المبحث الأول : بداية وجود الإنسان.

المبحث الثاني : عناصر تكوين الإنسان.

المبحث الثالث : الغاية من خلق الإنسان.

المبحث الرابع : العبادة والخلافة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

تمثل الإجابة على الأسئلة المتعلقة بالإنسان من حيث بداية وجوده، وطبيعة حياته ومصيره مفتاح البحث في سائر القضايا الأخرى المتصلة به، ويمكن القول إن هذه الإجابات ينبني عليها سائر ما له صلة به، سواء في حياته الفردية أو الاجتماعية، بما في ذلك أنماط التنمية التي تهدف إلى ترقية حياته في جوانبها المختلفة بما في ذلك الجوانب المادية . وبناء على هذا نحسب أن الإنسان في الإسلام ينفرد بمكانة خاصة من بين سائر مخلوقات الله، سواء من جهة خلقه والعناية به وتسخير سائر الموجودات له أو من حيث طبيعة التكاليف التي أنيط به حملها، بالإضافة إلى انفراده وتميزه في خاتمة أمره ومصيره، وهذا التميز والتفرد هو مما له صلة وثيقة بكونه مستخلفا في الأرض، فلو لم يكن كذلك ما حظي بهذا التميز، ففيم تتمثل تجليات هذا التفرد ؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: بداية وجود الإنسان

ليس المقصود بوجود الإنسان هنا الإنسان الفرد، وإنما المقصود به بداية وجود النوع الإنساني، وبسط الحديث في هذا الأمر هو من باب توضيح الرؤية وإجلاء ما قد يلفها من غموض في ضوء ظهور كثير من الآراء المتأثرة بوجه أو بآخر ببعض النظريات القائلة بتطور الأنواع، ففي نظرها مادام هذا التطور يمس جميع الأحياء والإنسان واحد منها فليس هناك ما يميزه ويجعله مستثنى من هذه القاعدة، فكيف كانت بدية الوجود الإنساني في القرآن الكريم؟

المطلب الأول: القرآن الكريم وبداية الوجود الإنساني

آيات القرآن الكريم واضحة وصريحة في هذا الشأن، إذ تقرر أن بداية وجود الإنسان كانت مع آدم وأن آدم مخلوق من تراب، وهذا واضح في قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(28)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(29)﴾ [1] . وقوله عز وجل أيضا: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(59)﴾ [2]، بل إن الآيات القرآنية تزيد الأمر وضوحا، وذلك حين تقرر أن الإنسان مخلوق من تراب هذه الأرض كما في قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55)﴾ [3] ، وفي قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا(17)﴾ [4]، وهذا المخلوق مر بمرحلة التراب ثم الطين ليتحول إلى حمإ مسنون ومنه إلى صلصال كالفخار، ثم تسويته بنفخ الروح فيه، وهذه المراحل على ما بها من تقارب زمني حسب السياق القرآني، تشير بكل وضوح إلى بداية وجود الإنسان بصورة مكتملة بطريق الخلق المباشر، وهذا من غير الدخول في تفاصيل أكثر تتعلق بالكيف والأين، لأن هذا من قبيل الغيب الذي لا سبيل إلى كشفه، وقد قال الله

(1) سورة الحجر، الآية 28-29.

(2) سورة آل عمران، الآية 59.

(3) سورة طه الآية 55.

(4) سورة نوح الآية 17.

عز وجل: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا(51)﴾ [1].

إن هذه الآيات القرآنية التي سيقت هنا وآيات أخرى غيرها، لا تدع المجال لأي حديث عن تطور ما حصل للإنسان وامتد لملايين السنن، قبل أن يصل إلى صورته الحالية التي هي بلا شك صورة غير نهائية في نظر أصحاب مقالة التطور .

على أن من مفكري الإسلام من رأى أن قصة خلق آدم الواردة في القرآن الكريم وما تلاها لم يكن الغرض منها هو السرد التاريخي، ومن هؤلاء "محمد إقبال" حيث يقول في معرض الحديث عن هذه القصة :"وهكذا نرى أن قصة هبوط آدم لا صلة لها بظهور الإنسان الأول على هذا الكوكب، إنما أريد بها بالأحرى بيان ارتقاء الإنسان من بداية الشهوة الغريزية إلى الشعور بأن له نفسا حرة قادرة على الشك والعصيان" [2]، فقصة آدم هي واحدة من القصص القرآني الذي قلما يكون هدفه العرض التاريخي، بل يكاد دائما يهدف إلى أن يجعل لها مغزى عاما أو مضمونا فلسفيا"[3] ولعل من هذا الباب يمكن فهم ما ذهب إليه من قال بتطور ما مر به الإنسان خلال تاريخه الطويل.

ويستند بعض من يرى أن في القرآن الكريم ما يتسع للقول بتطور الأنواع ورود آيات كريمة تتحدث عن نوع من التطور، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا(14)﴾ [4].

وقوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا(1)﴾ [5] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ(12)ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(13)ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ

---

(1) سورة الكهف الآية 51.

(2) محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام . ترجمة محمود عباس، دار آسيا، بيروت: 1985، ص99.

(3) المرجع نفسه ص96.

(4) سورة نوح الآية 14.

(5) سورة الانسان الآية 1.

﴿الْخَالِقِينَ(14)﴾ [1]. لكن معنى التطور الذي تحدثت عنه الآيات القرآنية هنا هو تطور داخل النوع الإنساني، وبالتحديد هو التطور الذي حدث للطين في بداية الخلق قبل نفخ الروح، وكذلك ما يحدث للجنين حين نموه وانتقاله من مرحلة إلى مرحلة، ومن ثم يمكن دفع القول بالتطور بإطلاق انطلاقا من هذه الآيات القرآنية سالفة الذكر، ثم إن الحديث الشريف واضح في تقرير هذه المسألة، وهو قوله ﷺ:" والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من التراب" [2].

وهذا المعنى الواضح الصريح في نظرنا لم يمنع من ظهور تأويلات لنصوص القرآن الكريم تودي في النهاية إلى القول بنوع من التطور، ولعل من الأمثلة القريبة ما ذهب إليه عبد الأستاذ "الصبور شاهين" من تفرقة بين البشر والإنسان، فهو في بداية الأمر يبين موقفه الرافض بوضوح لنظرية النشوء والارتقاء، حيث يقول:" لقد سقطت إذن فكرة (التطور الخالق)، ونقول: (فكرة)، ولا نقول: (نظرية)، رغم أن الناس قد فتنوا بهذه النظرية لعدة عقود من الزمن .. سقطت بكل ما ارتبط بها من أفكار أخرى، وانتصرت حقيقة (الخلق المستقل) التي قررها الدين، كما أكدها العلم، فما كان الإنسان إلا بشرا منذ كان، وما كان القرد إلا قردا، وما كانت السمكة إلا سمكة في عالمها المائي، وكل ذلك لم يكن إلا طبقا للمشيئة الإلهية المطلقة، وإنجازا للقدرة الكنية "[3]، إلا أن تفرقته بين البشر والإنسان تودي إلى القول بنوع من التطور، يقول في هذا الشأن: " فقبل التسوية لم يكن المخلوق البشري إنسانا ..بل كان مشروع إنسان في حيز القوة، قبل أن يكون إنسانا في حيز الفعل "[4] والمعنى الذي يعطيه للتسوية هنا هو تلك الدفعة التي صار بها إنسانا بعد أن كان بشرا، وهذا المعنى يزعم أنه أخذه من قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(28)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ

(1) سورة المؤمنون الآية 14.

(2) الحديث أخرجه الترمذي، في كتاب التفسير ، باب سورة الحجرات ، رقم 3488 من حديث ابن عمر وصححه الألباني، أنظر صحيح سنن الترمذي 108/3، رقم 2608، و انظر السلسلة الصحيحة رقم 2700.

(3) عبد الصبور شاهين، أبي آدم . مكتبة الشباب القاهرة: 1988 ص39.

(4) المرجع نفسه ص88.

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(29)﴾ [1]، ولكننا نحسب أن اللغة لا تسعفه في هذا المقام، وكذلك سياق الآية، فمن جهة اللغة قوله عز وجل: " **فإذا سويته**" أي؛ تم خلقه وأخذ صورة آدم النهائية، من استواء على القدمين، وانتصاب في القامة، بينما نجده يعطي للتسوية معنى تهيئته ليكون إنسانا، وقد استمرت هذه التهيئة آمادا طويلة.

وأما من جهة سياق الآية، فسياقها يدل على أن التسوية كانت قبل نفخ الروح، أي قبل أن يكون بشرا، وقبل أن يكون إنسانا، بمعنى ليس هناك تسوية وقعت بين مرحلة كونه بشرا وبين مرحلة كونه إنسانا، فليس في سياق الآية ما يفيد أن الإنسان مثلا كان قبل التسوية يسير على أربع، أو أنه عاش آمادا طويلة غير منتصب القامة، وبعد التسوية أصبح منتصب القامة يمشي على القدمين، إن اندفاع هذا المعنى يفيد بأن البشر والإنسان كائن واحد لا فرق بينهما.

ومن بين ما يفرق به "عبد الصبور شاهين" بين البشر والإنسان، فرق أخذه من قول الله عز وجل: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ(31)﴾ [2]، حيث يقول مفسرا: "أي أن الإنسان في مطلع فجره لم يكن يدفن جثث الموتى من جنسه حتى شاهد –وهو في قمة مأساته–الغراب يلقنه درس الدفن، بعدما بلغ سن الرشد، ودخل في المرحلة الآدمية الجديدة، ولا يبعد أن نتصور أن البشر كانوا في بداية وجودهم، وقبل رشدهم يتآكلون ويتفا رسون ..أي: يأكل بعضهم بعضا"[3] . فهو بذلك يجعل البشر أحط منزلة من الإنسان ثم يحكم بالفناء على البشر ليحل الإنسان محله، ويكون آدم الذي هو فاتحة المرحلة الإنسية نوعا أرقى من البشر، وهذه النظرة ؛ زيادة على عدم استنادها على أسس علمية واضحة، فهي تهدر

(1) سورة الحجر الآية 28-29.

(2) سورة المائدة الآية 31.

(3) عبد الصبور شاهين، أبي آدم ص122.

معاني النصوص، وتطوح بها يمينا وشمالا، فإذا ربطنا حسب زعمه وجود البشر بالتآكل والتفارس، وسفك الدماء والإفساد في الأرض، لابد من القول بأن البشر ما زالت سلالتهم ممتدة إلى وقتنا الحالي، لأن كل هذه الأوصاف موجودة، بل إن الإنسان تفنن في إبداع مزيد من الأسلحة التدميرية مما يفوق الوصف[1].

هذا بالإضافة إلى الرمزية التي أضفاها على الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع، حتى أضحت ألغازا. ثم إن هذا الفهم الذي ذهب إليه الأستاذ "عبد الصبور شاهين" لا يبقي حيزا للإرادة الإلهية الواضحة في قوله عز وجل: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾، حيث إن إرادة الله عز وجل اقتضت بعث غراب ليدل القاتل على كيفية دفن أخيه.

ولم يكن " عبد الصبور شاهين" وحده من فرق بين البشر والإنسان، بل نجد أيضا " أبو القاسم حاج حمد"، فعل الشيء نفسه، حيث يرى بأن وجود آدم "لاحقا كان رهنا بغيب يعلم الله ميقاته، فلما انكشف الغيب عن هذا الميقات، (ولد) آدم من أبوين بشريين حيث: (1)نفخ فيه الله الروح، (2) علمه الأسماء..."[2]، و" أدى نفخ الروح الإلهي في آدم إلى ضرورة تميزه العقلي والسلوكي عن **البهيمية البشرية** لأولئك الذين احتجت الملائكة على سلوكهم حين ظنت بأن الله سيجعل منهم — وهم على ذلك السلوك — خليفة له في الأرض"[3]، فآدم على هذا القول إنسان ولد من أبوين بشريين، وميز عنهما بنفخ الروح وعلم الأسماء، لكن؛ ترى أين يضع أصحاب هذا الرأي قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ سَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(28)﴾ [4]، وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا

---

[1] عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، أبي آدم.. قصة الخليقة بين الخيال الجامح والتأويل المرفوض، ط1 مكتبة وهبة، القاهرة1419هـ/1999م ص 122.

(2) محمد أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية . ط2 دار ابن حزم، بيروت: 1416هـ/1996م ج1 ص102.

(3) محمد أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية . ج1 ص102.

(4) سورة الحجر الآية 28.

وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا(54)﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ(59)﴾ [2]، فهذه الآيات صريحة في الدلالة على أن آدم خلق من تراب، و لم يولد من أبوين بشريين.

والذي يظهر لنا من الآية القرآنية من سورة المائدة أن فيها إنكارا لما أقدم عليه ابن آدم من فعل القتل على ما هو عليه من الجهل، إذ هو بذلك جمع بين الجهل وسوء الخلق الذي جره إلى ارتكاب ما ارتكب، ثم إن استفادة ابن آدم من الغراب في مواراة سوأة أخيه فيها تنبيه للإنسان على إمكان الاستفادة في تحصيل العلم بتدبير المعاش وغيره، ولو من الغراب، ألا ترى أن النظر في الغراب، وغيره من الطيور، مكن الإنسان في وقتنا الحالي من تصميم الآلات الطائرة التي تخترق أجواز الفضاء.

وتتبع وجوه استفادة الإنسان في تدبير معاشه وتحصيل رزقه من الحيوان والطير، مما لا يتسع المقام لذكره، فليطلب من مظانه.

نخلص مما سبق في قضية خلق الإنسان إلى ما يلي:

*عملية خلق الإنسان – بداية وجوده- من القضايا الغيبية التي ليس في مقدور الإنسان أن يصل إلى معرفتها، لقوله عز وجل:﴿ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا(51)﴾[3]،أما قوله عز وجل:﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(20)﴾[4] ،فالخطاب موجه إلى الكفار،وفيه دعوة لهم إلى السير في الأرض للبحث في دلائل تويد دعواهم في القول بالمصادفة أو ما يشبه ذلك، وفي الآية ما يشبه تحدي الكفار إن هم أثبتوا خلاف ما يثبته الوحي. هذا إذا حملنا لفظة " الخلق" على المعنى المطلق، أي البداية الأولى لعملية الخلق،أما إذا حملنا الكلمة على غير معنى الخلق المطلق، فتكون الدعوة إلى السير من أجل رؤية عملية الخلق المستمر التي

1 سورة الفرقان الآية 54.

(2) سورة آل عمران الآية 59.

(3) سورة الكهف الآية 51.

4 سورة العنكبوت الآية 20.

يتولاها الله عز وجل في كل آن، ليتحقق الاقتناع والإيمان بالله. وعملية الخلق هذه التي يراها الناظر لا تقتصر على الإنسان، بل تشمل غيره من الكائنات المختلفة.

*خلق الإنسان تم بعملية مباشرة، وليس هناك ما يدعو إلى القول بأن خلقه مر بحقب زمنية مديدة قبل أن يأخذ شكله الحالي.

*لا فرق بين البشر والإنسان، وليس هناك ما يحملنا على هذه التفرقة، والزعم بأن "التسوية"استمرت آمادا طويلة أصبح البشر إنسانا بعد تمامها قول لا تسنده النصوص، وهو من قبيل القول بنظرية النشوء والارتقاء بصورة أخرى.

*أن صلة القرابة بين الكائنات التي تجعلها تنتظم في شكل سلالة من الأقل تعقيدا إلى الأكثر تعقيدا، لا تجعلنا نقول بأن الإنسان يندرج ضمن هذه السلالة من المخلوقات بالمعنى الذي يجعله متطورا عنها.

المطلب الثاني: القرآن الكريم وتكريم الإنسان

تبين لنا فيما سبق أن الله عز وجل خلق الإنسان من طين، ثم نفخ فيه من روحه، كما تبين لنا أن الإعلان الإلهي الأول عن خلق الإنسان كان مشفوعا بجعله خليفة في الأرض، ثم إن الله عز وجل ذكر في عدد من آيات القرآن الكريم أن الإنسان حاز من الله على وجوه من التكريم لم تنلها كثير من مخلوقاته قال الله عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا(70)**﴾ [1]، فهذه الآية ذكرت وجوها عدة من التكريم حيث إن هذه "الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة، وحملهم في البر والبحر مما لا يصح لحيوان سوى بني آدم ... وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس وهذا لا يتسع فيه اتساع بني آدم لأنهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان ويلبسون الثياب ويأكلون المركبات من الأطعمة وغاية كل حيوان يأكل لحما نيئا أو طعاما غير مركب..." [2] .

---

(1) سورة الإسراء الآية 70.

(2)القرطبي ج 10 ص 299 .

"والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف وبه يعرف الله ويفهم كلامه ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله"[1]، والقرطبي هنا يظهر أنه يميل إلى القول بأن التفضيل كان بالعقل وهذا ما لا يوافق عليه، وقد رد الآلوسي قول من قال بالحصر في واحد، حيث قال:" ومن ادعى الحصر في واحد كابن عطية حيث قال: إنما التكريم بالعقل لا غير فقد ادعى غلطا ورام شططا وخالف صريح العقل وصحيح النقل"[2]، غير أن هذا التكريم وإن كان شاملا إلا أننا نرى انطلاقا من آيات قرآنية كثيرة أن الإنسان قد ينحدر عن مقام التكريم هذا، وانحداره قد يصل إلى حال تكون فيها الأنعام أفضل منه، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ(179) ﴾[3]، وقال أيضا: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا(44) ﴾[4]، فالإنسان إذا عطل قواه المدركة التي ركبت فيه صار أحط من الأنعام، لأنها لم تعطل شيئا مما ركب فيها، بل خلقت على تلك الهيئة، فهي عليها سائرة .

فالإنسان إن كان هذا حاله من الانحدار لم يعد حائزا على التكريم الذي نصت عليه الآية كاملا، وقد بين بعض المهتمين بهذا الموضوع هذا الأمر، ونخص بالذكر" عبد المجيد النجار" الذي يرى أن التكريم في قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [5] هو الإعلاء والإعزاز، وهو شامل للنوع الإنساني بمقتضى مطلق الإنسانية فيه، غير متعلق بعوارضها مهما كان نوعها "[6]، وقد يظن أن في الأمر تناقضا بين القول بأن الله عز

(1)القرطبي ج 10 ص299.

(2) روح المعاني ج: 15 ص118 .

(3) سورة الأعراف الآية 179.

(4)سورة الفرقان الآية44.

(5)سورة الإسراء الآية 70 .

(6)عبد المجيد النجار،الإنسان في القرآن،مجلة الموافقات،المعهد الوطني العالي لأصول الدين،الجزائر العدد3 ص44.

وجل كرم الإنسان تكريما شاملا، وبين القول بأن الإنسان يسلب منه التكريم في حال انحداره عن مقامه، وحقيقة الأمر أن ليس بينهما أي تناقض، وذلك أن الإنسان إن هو انحدر عن مقام التكريم فذلك لا يعني سلب التكريم بالجملة، بل إن تكريمه من حيث كونه آدميا يبقى مستمرا معه حتى وإن ابتذل نفسه، إذ يبقى تعذيبه مثلا وهو حي غير جائز، والتمثيل به وهو ميت غير جائز أيضا حتى لو كان مشركا. وسنحاول فيما يأتي أن نتبين بعض منازل التكريم التي خص الله بها الإنسان.

1- **خلق آدم بيده:** وهذا أول مدارج التكريم التي حظي بها الإنسان، لقوله عز وجل: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ(75)﴾ [1]، قال القرطبي في تفسير هذه الآية " أضاف خلقه إلى نفسه تكريما له وإن كان خالق كل شيء وهذا كما أضاف إلى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد، فخاطب الناس بما يعرفونه في تعاملهم فإن الرئيس من المخلوقين لا يباشر شيئا بيده إلا على سبيل الإعظام والتكرم، فذكر اليد هنا بمعنى هذا "[2]، فتخصيص الإنسان بهذه المزية هو رفع لشأنه، وقد أخطأ من تأول اليد هنا بالقوة، وذلك لأن كل المخلوقات خلقها الله بقوته، ولو كان المراد هنا القوة، ما كان لهذا التخصيص معنى.

والإنسان قد يبتذل نفسه أحيانا ويغفل عن هذه الكرامة التي خص بها، سواء على مستوى العلم أو على مستوى العمل، فهو في ميدان العلم والمعرفة حين دفعت به الرغبة إلى معرفة تاريخ بداية وجوده بالتفصيل مثلا - وهو ما لا سبيل إليه- كان من بين ما افترضه: أن يكون جاء حلقة في سلسلة تطورية طويلة كان من نتائجها ما هو عليه الآن من انتصاب قامته وتناسب أعضائه، وليس هناك ما يشينه أن يكون تطور عن القرد أو عن غيره، وأما في ميدان العمل فإن ابتذال واحتقار الإنسان بلغ منتهاه أو يوشك، وليس أدل على ذلك من التمييز العنصري الذي يطال شعوبا بأكملها، بل واستخدام الأسلحة الفتاكة في عمليات الإبادة المنظمة التي تتم تحت ذرائع مختلفة، بل إن الأمر يزداد بشاعة

---

(1) سورة ص الآية 75

(2)تفسير القرطبي ج 15 ص 218

حين يتم الاستيلاء على ثروات الشعوب المستضعفة ليذهب قسم منها إلى رفاهية الكلاب.

ج- **تخصيصه بعلم الأسماء:** وهذه خصيصة ظاهرة، وقد ورد تكريم الإنسان بالعلم بالأسماء في قوله عز وجل: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(31)قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(32)﴾[1]، وللعلماء كلام طويل، وآراء مختلفة في ماهية الأسماء التي علمها الله لآدم، فإن تخصيص آدم بالعلم بالأسماء فيه من التكريم ما فيه، بدليل عرضها على الملائكة وعدم قدرتها على الإنباء بها، وليس في الآية ما يدل على أن الملائكة لا علم لها، بدليل قولها :﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)﴾ ، فعدم علمها المذكور هنا متعلق بعلم الأسماء لا بمطلق العلم، بمعنى أن الله عز وجل خص الملائكة بعلم، لكنه ليس علم الأسماء بالتأكيد. وفي تقديرنا فإن الرفع من شأن العلم بالأسماء يرجع أساسا إلى كونها تمثل سبيل الإنسان في التعرف إلى صفات الله عز وجل المتجلية في مخلوقاته، وسبيله إلى الارتقاء إلى عالم الملكوت، وهذه الأسماء متعلقة بالخلافة، ويمكن القول بأن أحد وجوه هذا التعلق هو أن هذه الأسماء ذات صلة بالقضايا والأحكام والشرائع اللازمة لدفع الظلم، ومنع التظالم وسفك الدماء الذي توقعت الملائكة حصوله. والعلم الذي خص الله عز وجل به الإنسان هو ما كان باسم الله لقوله عز وجل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)﴾ [2] ومعنى القراءة باسم الله هنا، أن يكون طلب العلم والمعرفة خالصا لوجه الله تعالى، وأن يكون مسترشدا بالله ومستعينا به، وحيث يكون رضا الله هو المنطلق وهو الغاية، لكن الإنسان قد يغفل عن هذه الحقيقة وينسى أن السير عليها هو الكفيل بإعطاء أحسن النتائج وأفضل الثمار.

المسلمون والعلم: والذي يجدر بنا التنبيه عليه، هو أن هذه المكرمة وغيرها، وإن خص الإنسان بها على الجملة من حيث هو إنسان، وتحققها على الوجه الأكمل مطلوب

---

[1] سورة البقرة الآية31، 32

(2) سورة العلق الآية 1

من كل إنسان، إلا أن ما تحقق منها في الإنسانية عموما فالمسلم أولى به وأجدر، غير أن الناظر في حال المسلمين في عهودهم المتأخرة مع العلم لا يرى إلا إعراضا مريعا، وهذا الإعراض ليس يقتصر على جانب معين دون الجوانب الأخرى، بل هو من جنس الإعراض الذي يصل حد المقاومة، وحتى وإن كان هناك ما يشبه الإقبال عليه إلا أنه إقبال المتوجس الخائف، في مقابل هذا يكثر الحديث عن أمجاد الأجداد وإنجازاتهم وإسهاماتهم العلمية غير المسبوقة، وهذا الموقف يشير إلى " تناقض صارخ: إذ أن المفروض فيمن يزهو بإنجازاتنا العلمية الماضية أن يكون نصيرا للعلم، داعيا إلى الأخذ بأسبابه في الحاضر، وحتى تتاح لنا العودة إلى تلك القمة التي بلغناها في عصر مضى.

أما أن نتفاخر بعلم قديم، ونستخف بالعلم الحديث أو نحاربه، فهذا أمر يبدو مستعصيا على الفهم" [1]، غير أن هذه الدعوة إلى العلم لا تجرنا إلى الاندفاع وراء حماسة عواقبها غير محمودة، وأهمها خطر الوقوع في فخ القول بمناقضة التفكير العلمي للفكر الديني عموما دون تمييز بين الدين الذي يرفض العلم ويقتل العلماء، والدين الذي يمجد العلم ويرفع من شأن المشتغلين به، ويراه سبيلا لتحقيق الاستخلاف ويجعله طريقا للسمو الروحي في أعلى مراتبه.

إن التحمس إلى العلم والدعوة إليه، يجب أن يكون بعيدا عن دعوى القول بالتناقض بين العلم والدين، وما يقال هنا ليس موجها بالتحديد إلى رجل العلم، بل موجه أيضا إلى رجل الدين، ذلك أن قطاعات واسعة من المجتمعات الإسلامية" تتعامى عن روح الدين حين تحجر على العقل، وتهاجم ما يتكشف له من علم، بدعوى الحرص على الدين. إننا ندعي، مكابرة، أن ليس بين الإسلام والعلم من خلاف. وهذا صحيح عندما نعني روح الإسلام الحقة التي تستند إلى العقل، وتجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، حتى ولو كان في الصين. ولكنه مكابرة مكشوفة إذا كنا نعني ممارسات المسلمين في خصوماتهم للعقل والعلم، بدعوى أن حقائق العلم متغيرة في حين أن حقائق الدين ثابتة منزلة. إن حقائق العلم هي نفسها حقائق الدين، هي آلاء الله الذي خلق هذا

(1) فؤاد زكريا، التفكير العلمي، ص 9

الكون العجيب، ولكن فهمنا لها يتطور بتطور الزمان"[1]، وإدراك هذا الأمر كفيل بدفع التعارض الموهوم بين الحقيقتين، كما أنه كفيل بتجاوز التوفيق غير الموفق بينهما.

وليس في عرض هذه الصورة القائمة أي دعوة إلى اليأس ونفض اليد وقطع الأمل، ذلك لأن المسلمين يحملون قوة ومناعة عجيبة، لا يحملها أي مجتمع آخر، ومع جهلهم وتخلفهم يدخل في دين الله علماء كثيرون[2]، حتى قال بعض من تيسر له الإطلاع على الإسلام فأسلم "الحمد لله أني عرفت الإسلام قبل أن أعرف المسلمين"[3].

لكن هذا لا يعفي المسلمين من مسؤولياتهم بل يشعرهم بخطورة ما هم عليه من تخلف وضعف وهوان على الناس.

3 - **تحميله أمانة التكاليف**: وهذه المكرمة لها صلة بالتي قبلها، وذلك لانبناء تحمل التكاليف على ما كرم به من علم بالأسماء، إذ أن علم الأسماء في صلته بالتكاليف يصبح يحمل معنى الشرائع والأحكام، فلا تكليف في غياب الشرائع، والتكريم بالتكاليف وارد في قوله عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا(72)﴾[4] ، وللعلماء في معنى الأمانة كلام طويل، ومنه ما أورده ابن منظور في لسان العرب، حيث قال: " قال الزجاج: معنى يحملنها يخُنَّها، والأمانة؛ هنا: الفرائض التي افترضها الله على آدم والطاعة والمعصية، وكذا جاء في التفسير والإنسان هنا الكافر والمنافق، وقال أبو إسحاق في الآية: إن حقيقتها، والله أعلم، أن الله تعالى ائتمن بني آدم على ما افترضه عليهم من طاعته وأئتمن السماوات والأرض والجبال بقوله: ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين. فعرفنا الله تعالى أن السماوات والأرض لم تحمل الأمانة أي أدتها، وكل من خان

---

(1) أحمد سليمان سعيدان، مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت:1409هـ/1988م، ص170

(2) جودت سعيد، رياح التغيير؛ قضايا الإنسان والعلم والتأويل ط2 دار الفكر، دمشق 1419هـ/1998م، ص158

(3) هذه الكلمة نسبت إلى غير واحد ممن أسلم من علماء الغرب.

(4) سورة الأحزاب الآية 72

الأمانة فقد حملها، وكذلك كل من أثم فقد حمل الإثم؛ ومنه قوله تعالى: وليحملن أثقالهم، الآية، فأعلم الله تعالى أن من باء بالإثم يسمى حاملا للإثم والسماوات والأرض أبين أن يحملنها، يعني الأمانة، وأدينها، وأداؤها طاعة الله فيما أمرها به والعمل به وترك المعصية، وحملها الإنسان، قال الحسن: أراد الكافر والمنافق حملا الأمانة أي خانا ولم يطيعا، قال: فهذا المعنى، والله أعلم، صحيح ومن أطاع الله من الأنبياء والصديقين والمومنين فلا يقال كان ظلوما جهولا،قال:وتصديق ذلك ما يتلو هذا من قوله[عز وجل] ليعذب الله المنافقين والمنافقات، إلى آخرها" [1]. وحملُ حملِ الأمانة على خيانتها يبدو بعيدا وإن كانت هذه الخيانة محتملة عند التحمل، والذي نميل إلى ترجيحه هو اعتبار الأمانة أمانة التكاليف الشرعية، قال الآلوسي:" وأنا أختار كون الأمانة كل ما يؤتمن عليه ويطلب حفظه ورعايته، ولها أفراد كثيرة متفاوتة في جلالة القدر وإن عرضها على تلك الأجرام كان على وجه التخيير لهن في حملها لا الإلزام وأنهن خوطبن في ذلك وعقلن الخطاب"[2] فالأمانة هنا جملة التكاليف على تنوعها، فهي ليست مقصورة على تكليف بعينه، ولا هي في نظرنا بمعنى الحرية كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين [3]، وإن كانت حرية الإرادة مما يقتضيه تحمل الأمانة .

ووجه التكريم في التكاليف أن الله عز وجل إذ حمل الإنسان أمانة عجزت عن حملها السماوات والأرض والجبال فيه دلالة واضحة على الثقة التي يحظى بها الإنسان في الملأ الأعلى، ولو لم يكن في أصله أهلا لها ما حمله الله عز وجل هذه الأمانة أصلا، وكان شأنه كشأن غيره من المخلوقات، فهو بذلك عنده من الاستعدادات ما يقدر به على أداء الأمانة، على الرغم مما قد يشوب ذلك من ظلم وجهل، ظلم غيره وجهل بنفسه، وليس في وصف الإنسان بالظلم والجهل المقترن بحمله للأمانة ما يسيء إليه، فذلك يشير إلى قوة استعداده، استعدادا يجاوز الحد المطلوب أحيانا، وقد يكون هذا الجهل من الإنسان

(1) لسان العرب ج: 4 ص: 228

(2) روح المعاني ج: 22 ص: 99-100

(3)ذهب إلى هذا الرأي فاروق أحمد دسوقي، وإن بدا عليه بعض التردد . فاروق أحمد دسوقي، القضاء والقدر في الإسلام دار الاعتصام، القاهرة، ج1 ص108-114.

بانحداره عن هذه المنزلة عندما يتجاهل الأمانة التي التزم بتحملها، ويحشر نفسه في عبثية مهينة تسيء إلى إنسانيته ،إلى مقام الخلافة الذي يتبوؤه، ويظلم نفسه حين يوردها المهالك ويبوؤها جهنم وبئس القرار.

4- **تسخير الموجودات له:** حديث القرآن الكريم عن تسخير الموجودات للإنسان حديث متنوع ومتعدد الأغراض، ومن بين السياقات التي ورد فيها الحديث عن التسخير، ما جاء في معرض الامتنان به على الإنسان وهو ما يدل على أنه جاء من باب التكرم والتفضل الذي خص الله عز وجل به الإنسان، يظهر هذا في قوله عز وجل: ﴿**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(14)**﴾ [1]، فالله عز وجل أخدم الإنسان مجانا سائر الموجودات تفضلا منه عليه وتكرما، وقد يحدث وأن يفشل الإنسان في إدراك منزلة التكريم بالتسخير، فيكون لذلك أثر سلبي كبير عليه، ويمكن إدراك هذا الأثر إذا عرفنا أن التسخير إذا فهم على وجهه الصحيح، امتد أثره إلى جانبين أساسيين في حياة الإنسان، وهما جانب المعرفة والعمارة، ففي جانب المعرفة يكون النظر في المسخرات مؤديا إلى معرفة الخالق، وبالتالي تزيد في الإيمان وتؤكده، والتقصير في هذا الجانب والفشل فيه من نتائجه قلة الإيمان وضمور الخشية من الله، وأما في جانب العمارة التي لا قوام لها من دون التسخير، فلا شك أن الاستفادة من خيرات هذه المسخرات يكون استنادا إلى المعرفة، والإنسان علامة فشله في هذا الجانب تتضح حين تكون معرفته غير مبنية على المبدأ الرباني الذي جاء في قوله عز وجل: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)**﴾ [2]، وأما فشله في الجانب الثاني فيكون في الفشل في العمارة ابتداء، وقد يكون فشلا في نمط العمارة ذاته، فأما الفشل في العمارة فأهم مظهر له وقوف الإنسان موقف العطالة في الفكر والعمل، حيث تصبح الموجودات التي حوله لا قيمة لها، فلا تحرك فيه فكرا ولا تثير له وجدانا،ولا يشعر تجاهها بأي فضول يدفعه إلى محاولة

(1)سورة النحل الآية 14 .

(2) سورة العلق الآية 1

معرفتها فلا يملك عندها أي مقدرة على تسخيرها، ويبقى حاله كحال البهائم بل أقل شأنا، فيكتفي بالمسخرات ابتداء.

أما الفشل في نمط العمارة نفسه فيتمثل فيما يمكن وصفه بالمغالاة في تقدير قوة الماكينة وقوة المادة التي توشك أن تهدم كل شيء بطريقة علمية على حد تعبير مالك بن نبي[1]، حيث امتدت يدها إلى الإنسان بمعاول هدم، حين اعتبرته مجرد كائن مؤلف من عناصر كيميائية امتزجت محض المصادفة لتشكل هذا الإنسان، مع أن عناصر تكوينه ليست مادية وحسب بل هناك غيرها، مما كان له دوره الحاسم في تأهيله للاستخلاف فما هي هذه العناصر يا ترى؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق 1406هـ/1986م ص 122

المبحث الثاني: عناصر تكوين الإنسان

من الأمور التي أضحت من المسلمات أن الإنسان وحدة واحدة وكل متكامل، وأي نظرة إليه من جانب واحد لا تقدم لنا في واقع الحال إلا صورة جزئية تبعدنا عن حقيقته أكثر مما تقربنا منه، فهو إنسان في شكله ومظهره، وهو كذلك في تكوينه النفسي والعقلي، ولا يمكن فصل عناصر تكوينه عن بعضها، فما طبيعة العناصر المكونة للإنسان وما علاقة ذلك بالآفاق الكونية التي يعيش في وسطها، وما علاقتها بطبيعة نشاطه في سياق ممارسته لخلافته ؟

المطلب الأول: عنصر الجسد

يمثل الجسد في الإنسان جانبه المادي (التراب)، ولفظ "الجسد"ورد في القرآن الكريم، كما ورد فيه ما يفيد معناه، ومن المواضع التي ورد فيها لفظ "الجسد" في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ(148)﴾ [1]، وقال أيضا: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ(8)﴾ [2]، والجسد في الآيتين أطلق على ما ليس به حياة، ومن المواضع التي ورد فيها ما يفيد معنى الجسم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ(4)﴾ [3]، فهنا حديث عن أجسام المنافقين والمعنى ظاهر أجسادهم .

وفي السنة النبوية وردت اللفظة في أحاديث عدة، ومنها في قوله ﷺ:" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسدِ: إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[4]، فلمكانة الجسد وتضامن أعضائه ضربه النبي ﷺ مثلا لمجتمع

---

(1) سورة الأعراف 148

(2) سورة الأنبياء 8

(3)سورة المنافقون الآية 04

(4) أخرجه مسلم في كتاب الأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم6481، صحيح مسلم ص 1278

المؤمنين. وقوله ﷺ أيضا:" ألا وإنّ في الجَسَد مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسدُ كلّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسَدُ كله، ألا وهيَ الْقَلْبُ "[1].

والذي يعنينا هنا في العنصر الجسدي في الإنسان ليس ما يتشكل منه من مواد مختلفة؛ من فحم وهيدروجين وآزوت وغيرها من العناصر المكونة له، إنما الذي يعنينا هنا هو جانب الإبداع الإلهي في هذا الجسد، وكيف ركب على هيئة تجعله قادرا على التفاعل مع محيطه وممارسة خلافته، والحقيقة أن هذا الجانب دعانا الله عز وجل إلى التدبر فيه في عدد من آيات القرآن الكريم بل وجعل هذا الجسم في دقة تركيبه وتناسب أجزائه آية عليه، قال تعالى ﴿**يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ(6)الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ(7)فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ(8)**﴾ [2] قال القرطبي في تفسير هذه الآية: أي قدر خلقك من نطفة فسواك في بطن أمك وجعل لك يدين ورجلين وعينين وسائر أعضائك فعدلك أي جعلك معتدلا سوي الخلق"[3] وقال الآلوسي " والتسوية جعل الأعضاء سوية سليمة معدة لمنافعها وهي في الأصل جعل الأشياء على سواء فتكون على وفق الحكمة ومقتضاها ما تتم به وعدها بعضها ببعض بحيث اعتدلت"[4] .

فتسوية الإنسان بادية في جميع أعضاء بدنه بلا استثناء، بحيث جُعل كل عضو على الهيئة المناسبة لتأدية الغرض المرغوب، وليس ذلك وحسب، بل إن أداءها لأغراضها يتم بشكل منسجم ومتكامل فيما بينها، وهذا ظاهر في شكل القدمين وهيئة اليدين ووضع الأصابع، وظاهر في شكل الرأس ووضع الأذنين والعينين، ولطالما مثلت هذه الأعضاء – على الرغم من كونها مألوفة عندنا إلى حد لم تعد معه تثير انتباهنا– مركز

(1) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان عن النعمان بن بشير، باب فضل من استبرأ لدينه وعرضه، رقم52، ص27

(2)سورة الانفطار الآية6-8

(3) القرطبي ج: 19 ص 235

(4) روح المعاني ج: 30 ص: 64

اهتمام وتأمل من قبل كثير من العلماء الذين استرعى انتباههم دقة تكوينها ومناسبتها لما جعلت له، حتى بلغت حد التأثير على وجهة حياتهم[1].

ثم إن الناظر في آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن أعضاء الإنسان يجدها تولي عناية خاصة لتلك الأعضاء التي لها صلة مباشرة بالمحيط الطبيعي الذي يحيا فيه الإنسان، ففي القرآن الكريم يتردد التذكير والتنبيه بأهمية السمع والبصر والفؤاد قال الله عز وجل: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(78) ﴾ [2] ويتردد نفس التذكير والتنبيه في آيات كثيرة أخرى، والذي لا شك فيه أن هذا يشير بوضوح إلى أن للسمع والبصر قيمة أساسية في حياة الإنسان، وورود هما متتابعين دلالة على ترابطهما في الوظيفة كما هما مترابطان في لوحتهما الجمالية التي يشكلانها معا بالإضافة إلى غيرهما من الأعضاء على وجه الإنسان .

إن من البين أن السمع والبصر حاستان تمثلان مع الحواس الأخرى وسائل في المعرفة لا غنى عنها، ومما هو ثابت حتى لدى أبسط الناس أن هاتين الحاستين مترابطتان بشكل وثيق ذلك أن أي قصور يلحق حاسة السمع عند الوليد ينعكس سلبا عليه حيث يصعب عليه عندها فهم المحيط الذي يحيا فيه حتى لو كان بصيرا. وتأثير السمع يمتد إلى المقدرة على الكلام فأي ضعف يطال السمع يؤثر تأثير مباشرا على القدرة على الكلام فمن فقد سمعه قبل أن يتمكن من الكلام صار الكلام ممتنعا عليه.

إن هذا كله يدل على أن السمع والبصر والفؤاد كلها تتضافر من أجل أن تجعل الإنسان قادرا على إدراك ما حوله والتأقلم معه بل والتأثير فيه أيضا.

وحديث القرآن الكريم عن هذه المزايا الجسدية في الإنسان نراه يستعرضها فضلا عما سبق في إطار التذكير بضرورة الترابط والانسجام بين الإنسان ومحيطه، والتذكير بضرورة إحداث الوفاق المطلوب بينه وبين بيئته عموما بحيث لا يشعر بأية غربة، بله أن يشعر بالعداوة تجاهها، فحاسة الإبصار نجد الآيات القرآنية تدعو إلى توظيفها وذلك

(1) انظر في هذا الشأن: الله يتجلى في عصر العلم، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين وترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان.دار القلم: بيروت ص48.

(2) سورة النحل 78

بالنظر في الآفاق قال عز من قائل: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ(101) ﴾ [1]وقوله تعالى:" ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ(22)﴾ [2] والصم والبكم هنا، ليس المقصود بها الصمم والبكم المرضيان، بل المقصود بهما الناجمين عن الإعراض عن النظر الذي إن وقع على وجهه الصحيح أفضي لا حالة إلى الإيمان، والتعريض بالنكير هنا كما هو منصرف إلى الصم، منصرف إلى البكم، فالذي لا يسمع آيات الله التي في نفسه وفيما حوله، ولا يرى أنعم الله تحفه وهو يتمرغ فيها في كل آن، لا يملك أن يشكرها .

إن مظاهر هذا التلاحم والترابط بين تكوين جسم الإنسان ومحيطه الذي يحيا فيه يدل دلالة واضحة على أنه ما ركب على هذا الوجه، وما زود بما زود به من إمكانات تفوق الوصف، إلا ليعمر الأرض بتوظيف هذه الإمكانات .

المطلب الثاني: عنصر النفس

تمثل النفس في الإنسان الجانب المعنوي منه في مقابل الجانب المادي، فغالبا ما يقال الإنسان جسد وروح، وهو ما يوحي بأن النفس والروح شيء واحد، لكن علينا أن نقف عند هذين اللفظين حتى نتبين حقيقية الصلة بينهما انطلاقا من معانيهما في القرآن الكريم .

أ- **الروح**: ورد لفظ الروح "في القرآن الكريم في مواضع كثيرة بدلالات مختلفة، منها ما ورد للدلالة على جبريل عليه السلام، كما في قوله عز وجل:﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(192)نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ(193)عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ(194) ﴾[3]، ومنها ما جاء للدلالة على صنف من الملائكة لهم شرف ومكانة عند الله تعالى كما في قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ

(1) سورة يونس الآية 101

(2) سورة الأنفال الآية 22

(3) سورة الشعراء الآية192- 194

﴿الرَّحْمَانُ وَقَالَ صَوَابًا(38)﴾[1] . أو يشير إلى تأييد الله عز وجل للمؤمنين كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [2]. أو للدلالة على وحي الله لأنبيائه مثل قوله تعالى ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِي(2) ﴾[3]. أما المعنى الأخير فهو الوارد في قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(29)﴾[4]. والروح هنا ما به صار الإنسان إنسانا.

أما في السنة النبوية فكلمة الروح واردة بكثرة وبمعاني عدة ولكنها على الجملة لا تخرج عن المعاني الواردة في القرآن الكريم إلا في التفاصيل؛ منها ما ورد في قوله ﷺ: " يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس...فيقول ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمة الله **وروحه** ..."[5].

والذي يعنينا من هذه المعاني كلها هو المعنى الوارد في قوله عز وجل: ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(29)**﴾[6] وهو معنى متعلق ببدء الخلق، فهل نفخ الروح هنا يعني بث الحياة أم أن الآية تشير إلى أمر إلهي آخر ؟ .

ورد في الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**إنّ أحدَكم يُجمَعُ خَلْقُهُ في بطنِ أُمّه أربعينَ يوماً، ثمّ يكونُ عَلقَةً مثلَ ذَلك، ثمّ يكونُ مُضغةً مثلَ ذَلك ثمّ يَبعَثُ الله مَلَكاً يُؤمَرُ بأربَع كلماتٍ ويقال لهُ: اكتبْ عَمَلهُ ورزقهُ وشقيّ أو سعيد. ثمّ يُنفَخُ فيهِ الرّوحُ**»[7]. فالحديث يشير إلى أن

---

(1) سورة النبأ الآية 38، وقد ذكر ابن كثير ستة أقوال في معنى الروح في الآية، قال: "[والسادس] أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله:﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ ﴾قال: هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقا". تفسير ابن كثير. ج4 ص 599

(2) سورة المجادلة الآية22

(3)سورة النحل الآية2

(4)سورة الحجر الآية 29

(5) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم 370، ص124

(6) سورة الحجر الآية 29

(7) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة، رقم 3208، ص566 .

نفخ الروح يكون بعد 120 يوما من تلقيح البويضة ومنه يكون نفخ الروح فيه معنى بث الحياة وليس في ذلك ما يعارض المقطوع به، صحيح أن الجنين حي من بداية تشكله، لكن حياته تلك على معنى أن فيه بذرة الحياة، وهذا المعنى يؤيده قوله ﷺ" من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيه الروح، وليس بنافخ أبدا"[1]، والعلم الحديث لا يعارض هذه الحقيقة بل يدعمها على اعتبار أن الجنين يصبح " **خلقا آخر** " بعد 120 يوما، قال عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ(12)ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(13)ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)**﴾[2] أي أن إنشاءه خلقا آخر، جاء بعد مراحل من الإعداد، صار بعدها مستعدا لقبول المعاني الإنسانية، فـــ"بنفخ الروح فيه يتحول خلقا آخر إنسانا، وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها، من نطفة وعلقة ومضغة وعظم، وبنفخ الروح فيه يتحول عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية، كما تحول أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنسانا، وخلقا آخر غير الطين الذي خلق منه"[3]. لكن يبدو لنا أن نفخ الروح بالنسبة للإنسان ليس معناه بث الحياة وحسب، فهذه الحياة يشترك فيها الإنسان والحيوان، وليس هناك ما يفضل الإنسان به الحيوان في هذه الحالة، بل إن نفخ الروح من مدلولاته تمييز المخلوق عن غيره، وهي بالنسبة للإنسان، زيادة على كونها بث للحياة فهي أيضا مما يعطي الإنسان إنسانيته، وهي مما لا سبيل إلى إدراك حقيقته ومعرفة سره، قال الله عز وجـــــل: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا(85)**﴾[4]. قال القرطبي في تفسير هذه الآية: "وذهب أكثر أهل التأويل إلى أنهم سألوه عن الروح الذي يكون به حياة الجسد وقال أهل النظر منهم

---

(1)أخرجه البخاري في كتاب اللباس، كتاب :كتاب اللباس، باب من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ، رقم 5963.

(2) سورة المؤمنون الآية 12 - 14

(3) الطبري، جامع البيان ج18 ص11

(4)سورة الإسراء الآية 85

إنما سألوه عن كيفية الروح ومسلكه في بدن الإنسان وكيف امتزاجه بالجسم واتصال الحياة به وهذا شيء لا يعلمه إلا الله عز وجل "[1].

ومنه يتبين أن الروح ليست هي سر الحياة وحسب، وإنما هي سر إلهي يعطي الإنسان إنسانيته .

ب_النفس: عرفها الجرجاني بقوله:" هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية"[2].

وقد جاءت كلمة النفس في القرآن الكريم في مواضع كثيرة لكنها في كل هذه المواضع إما جاءت للدلالة على:

1_ الذات الإلهية مثل قوله عز وجل ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ(116)﴾ [3] .

2 _ للدلالة على الذات الإنسانية بجملتها سواء قواها المادية أو الروحية مثل قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا(74)﴾ [4] وقد تذكر النفس الإنسانية أحيانا لكن تخصص لتدل على قوة خفية في الإنسان مؤثرة في جميع منا حي سلوكه، وفي أن القرآن الكريم حديث عن أصناف النفوس البشرية مثل: النفس المطمئنة، كما في قوله عز وجل:﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(27)ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً(28)﴾ [5]، والنفس اللوامة كما في قوله تعالى:﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ(2)﴾ [6]، والنفس الأمارة بالسوء كما في قوله

(1) تفسير القرطبي ج: 10 ص 330

(2) الجرجاني، التعريفات ج 1 ص: 312

(3) سورة المائدة 116

(4) سورة الكهف الآية 74 .

(5) سورة الفجر الآية 27-28

(6) سورة القيامة الآية 2

تعالى:﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ(53)﴾ [1]، والنفس الملهمة، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7)فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(8)﴾ [2].

أما في السنة النبوية فكلمة " النفس" من الكلمات الواردة فيها بكثرة، ومن أمثلة الأحاديث التي وردت في هذه الكلمة ما أخرجه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: **﴿يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، ... يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه﴾** [3].

وعن أبي هريرة، قال:لما أنزلت هذه الآية:

﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**(214)﴾ [4] دعا رسول الله ﷺ قريشاً، فاجتمعوا، فعم وخص. فقال: "**يا بني كعب بن لؤي! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف!أنقذوا أنفسكم من النار،يا بني هاشم ! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب! أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة! أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها**" [5].

والظاهر من خلال الحديثين أن النفس فيهما أطلقت على: الذات الإلهية في الحديث الأول، وعلى الذات الإنسانية في الحديث الثاني، وهذا المعنى هو الغالب على سائر الأحاديث النبوية التي وردت فيها الكلمة. ويمكن القول أن استعمال القرآن الكريم لكلمة" النفس" أوسع من استعمال السنة النبوية لها[6].

---

[1] سورة يوسف الآية 53

[2] سورة الشمس الآية 7- 8

[3] - أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأدب، باب تحريم الظلم رقم 6467. ص 1275

[4] سورة الشعراء الآية 214.

[5] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب في قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين رقم 389، ص 127.

[6] كامل محمود، صورة الإنسان في الحديث النبوي الشريف، ص 31

وإذا أردنا أن نتبين الفرق بين الروح والنفس فإننا نجد بينهما مشاكلة إذا قصد بالنفس النفسَ الإنسانية وليس الإلهية، فالروح سر لطيف لا تدرك ماهيته ولكن تدرك آثاره، وكذلك النفس في أحد معانيها،لكن النفس توصف بالمطمئنة واللوامة والروح لا توصف بذلك، وما ورد عن النبي ﷺ في قوله:«**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**» [1]فليس فيه ما يشير إلى وصف الروح بهذا ولا بضده، والنفس قد تطلق على الذات الإنسانية بما يشمل قواها المادية والمعنوية، بينما الروح لا تطلق إلا على الجانب المعنوي وعليه فالعلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص، فالروح أخص من النفس إذا أريد بالنفس كامل قوى الإنسان .

وكما سبقت الإشارة من قبل إلى الصلة الوثيقة بين التكوين الجسدي للإنسان ومحيطه، فإن الشأن نفسه يظهر أيضا في حديث القرآن عن الصلة بين النفس وآفاق الكون عامة، وهذا يظهر في عدد من الآيات القرآنية الكريمة، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَالنَّفْسِ وَمَا سَوَّاهَا(1)وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا(2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا(3)وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا(4)وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا(5)وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا(6)وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(7)فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(9)وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(10)**﴾[2]، والظاهر من الآيات القرآنية أن ورود الحديث عن النفس بعد الحديث عن مظاهر كونية مختلفة تمثل أبرز المظاهر التي لها تأثير كبير ومباشر على حياة الإنسان، يدل دلالة واضحة على ما للنفس الإنسانية من مكانة في الوجود كله، كما يدل على الصلة الوثيقة بينها وبين الموجودات المختلفة، يدل على هذا مجيء الحديث عن النفس في معرض القسم بتسويتها، وهو قسم معطوف على ما قبله، ويدل عليه مجيء الجواب بالتذكير بأن الله عز وجل ألهمها فجورها وتقواها، فالحديث عنها في طرفي القسم دلالة على عظم شأنها حيث جعلها الله عز وجل آية عليه، شأنها شأن مظاهر الآفاق المختلفة فذكر النفس جاء بعد

(1) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب: الأرواح جنود مجندة، رقم 3336، ص 584.

(2)سورة الشمس الآية 1 ـ 10.

ذكر مجموعة من الأسماء "وهذه الأسماء كلها مجرورة على القسم، أقسم جل ثناؤه بخلقه لما فيه من عجائب الصنعة الدالة عليه"[1].

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الإنسان في تكوينه يشمل على عنصرين يعيشان جنبا إلى جنب في داخل كينونته وهما مكمن السر في خلقه على خلاف الملائكة ذات الطبيعة الروحية الخالصة، حيث ركبت فيه منازع العالم الطبيعي الأرضي الذي ينتمي إليه بحكم امتداده المادي، وركبت فيه منازع الارتقاء الروحي بحكم نفخة الروح الإلهية، وهو بهذه الطبيعية المزدوجة الموحدة لا يجد مناصا من مكابدة العالم الطبيعي الذي يعيش في خلاله، حيث يجد نفسه في وضع يحتم عليه السعي في عمارته في الوقت نفسه لا يجد تواؤمه وانسجامه مع عالمه الطبيعي إذا لم يصحب معالجته لهذا العالم بترق روحي يوفر له راحة نفسية تطمئنه على مصيره بعد انتهاء أجله في هذا العالم. من هنا يأتي السؤال الملح ذي الصلة الوثيقة بمصير الإنسان، وهو المتعلق بالغاية من خلقه ووجوده.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) القرطبي ج 20 ص 76

المبحث الثالث: الغاية من خلق الإنسان:

لعل واحدة من أكثر الأسئلة مشروعية هو التساؤل المرتبط بالغاية من خلق الإنسان، وفكرة العبثية التي تشعره بأنه سيلقى به جانبا يوما ما كأنه من سقط المتاع فكرة يشمئز منها، لأنه يرى نفسه مخلوقا متميزا، والإسلام يؤكد هذا ويزيد عليه، حيث لا يكتفي بتذكير الإنسان بأنه خلق لغاية، بل ويحدد هذه الغاية أيضا، ففيم تتمثل الغاية من خلق الإنسان؟

المقصود بالغاية هنا هي الهدف الأكبر الذي من أجله خلق الإنسان، وفي هذا الشأن يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56)﴾[1] ، قال الراغب الأصفهاني في معنى العبادة بأنها:"غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى ولهذا قال: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[2]، والعبادة ضربان: عبادة بالتسخير ... وعبادة بالاختيار وهي لذوي النطق، وهي المأمور بها في نحو قوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾البقرة21- ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ المائدة 72 [3]، وقال الراغب أيضا مبينا ما لأجله وجد الإنسان " فالإنسان إذا في الحقيقة هو الذي يعبد الله، ولذلك حلق، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(56)مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ(57)إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ(58)﴾[4] وكما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ(5)﴾[5] البينة وقوله تعالى: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [6].

---

(1) سورة الذاريات، الآية 56

(2) سورة الإسراء الآية 23

(3) الراغب الأصفهاني،المفردات في غريب القرآن.تحقيق: محمد خليل عيتاني، ط1(دار المعرفة :بيروت1418هـ/ 1998م) ص322

(4) سورة الذاريات، الآية 56-58

(5) سورة البينة الآية 5

(6) سورة يوسف الآية 40

قال أبو حيان في تفسير الآية من سورة الذاريات" [1] إلا ليعبدون أي معدين ليعبدون، وكأن الآية تعديد نعم، أي خلقت لهم حواس وعقولا وأجساما منقادة نحو العبادة، كما تقول: هذا مخلوق لكذا وإن لم يصدر منه الذي خلق له" [2].

وقال البيضاوي " لما خلقهم على صورة متوجهة إلى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع أن الدليل يمنعه لنا في ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس[3]وقيل معناه إلا لأمرهم بالعبادة أو ليكونوا عبادا لي"[4].

وقال الألوسي:" والعبادة غاية التذلل والظاهر أن المراد بها ما كانت بالاختيار دون التي بالتسخير الثابتة لجميع المخلوقات وهي الدلالة المنبهة على كونها مخلوقة وأنها خلق فاعل حكيم ويعبر عنها بالسجود كما في قوله تعالى: ﴿ **وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**(6)﴾ [5]... واللام قيل للغاية والعبادة وإن لم تكن غاية مطلوبة من الخلق لقيام الدليل على أنه عز وجل لم يخلق الجن والأنس لأجلها أي لإرادتها منهم إذ لو أرادها سبحانه منهم لم يتخلف ذلك لاستلزام الإرادة الإلهية للمراد...لكن لما كان خلقهم على حالة صالحة للعبادة مستعدة لها حيث ركب سبحانه فيهم عقولا وجعل لهم حواس ظاهرة وباطنة إلى غير ذلك من وجوه الاستعداد جعل خلقهم مغيا بها مبالغة بتشبيه المعد له الشيءُ بالغاية" [6]،

والظاهر من كلام هؤلاء عدم قولهم بأن اللام للتعليل، وقد بين البيضاوي سبب هذا، وهو ظنه وجود تعارض بين الآيتين سالفتي الذكر وذلك عند حملهما على ظاهرهما،

---

(1) قوله عز وجل﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

(2) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ط 2 دار الفكر 1403هـ 1983م ج 8 ص143

(1) الآية بتمامها هي قوله عز وجل:" وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ(179)، الأعراف

(4) عبد الله بن عمر بن محمود الشيرازي البيضاوي ، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، المكتبة التجارية، ج4 ص 168

(5) سورة الرحمان آية 4

(2) روح المعاني ج: 27 ص: 20-21

وهو مذهب جمهور الأشعرية، وقد بين هذا الرأي "الميداني" حيث قال إن "اللام في عبارة [ليعبدونِ] ليست تعليلية لبيان الغاية من الخلق، بل هي لبيان المطلوب في رحلة امتحان المخلوقين لغاية امتحانهم . ولو كانت هذه اللام للتعليل، ولبيان الغاية من الخلق، ما استطاع أحد من الجن والإنس أن يعصي الله في شيء، لأن مراد الله يستحيل أن يتخلف. إن مراد الله هو امتحانهم وهذا قد تم وتحقق، ومراد الله في أن يطلب منهم أن يعبدوه قد تحقق،..وعلى هذا فإن باستطاعتنا أن نقول: إن اللام في عبارة [ليعبدونِ] في النص الذي جاء في سورة (الذاريات) هي لام الطلب، لا"لام" التعليل التي لبيان الغاية من الخلق." (1).

هذا على الجملة ما ذهب إليه "الميداني " ونحسب أن ما ذهب إليه من القول بأن "اللام" ليست تعليلية على اعتبار أنها لو كانت كذلك ما استطاع أحد أن يعصي الله لجريان إرادة الله عليه، احتياط مبالغ فيه إلى حد كبير ذلك" أن أفعاله تعالى تنساق إلى الغايات الكمالية واللام فيها موضوعها ذلك وأما الإرادة فليست مقتضى اللام إلا إذا علم أن الباعث مطلوب في نفسه، وعلى هذا لا يحتاج إلى تأويل، فإنهم خلقوا بحيث يتأتى منهم العبادة وهدوا إليه وجعلت تلك غاية كمالية لخلقهم، وتعوقُ بعضهم عن الوصول إليها لا يمنع كون الغاية غاية"(2).

والذي يبدو لنا أن ما ذهب إليه هؤلاء هو في حقيقة الأمر سير على مذهب الأشاعرة في نفي التعليل من جهة ونابع من موقفهم من قضية حرية الإرادة من جهة ثانية، إضافة إلى ما يمكن استشعاره من الموقف الكلامي عموما وهو روح المخالفة للخصم حتى لو كان الحق معه، وهي آفة لم يسلم منها إلا العلماء المحققون.

وهذا الذي ذهب إليه جمهور الأشعرية، استشعر بعضهم ضعفه وقال:"فاللام للغاية والعاقبة لا للعلة الباعثة لما هو معلوم من أن الله لا يبعثه شيء على شيء"(3) وقد

(1) عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة .ط1 (دار القلم: دمشق 1416 هـ /1995م) ص50 - 51

(2) روح المعاني ج: 27 ص: 21

(3) حاشية الجمل على الجلالين، المكتبة التجارية، القاهرة 1352هـ/1933م ج4 ص 210

أورد " الجمل[1] " اعتراض شيخه القاري[2] على مسألة تخلف الغاية وعدم لزومها فقال: " اعترضه القاري بما حاصله أن هذا مسلم في أفعال المخلوقين لجهلهم بعواقب الأمور، وأما الله سبحانه وتعالى فلا يصح التخلف في فعله لأنه لما قال إلا ليعبدون أي إلا مهيئين ومستعدين ليعبدون، بأن خلقت فيهم العقل والحواس والقدرة التي تتحصل بها العبادة، وهذا لا ينافي تخلف العبادة بالفعل من بعضهم، لأن هذا البعض، وإن لم يعبد الله لكن فيه التهيؤ والاستعداد الذي هو الغاية بالحقيقة"[3] .

ومن تفسيرات المعتزلة لآية الذاريات ما أورده الزمخشري حيث قال: " أي وما خلقت الجن والإنس إلا لأجل العبادة، ولم أرد من جميعهم إلا إياها (فإن قلت): لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا، (قلت): إنما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة مع كونه مريدا لها ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم"[4] وهذا التفسير جرى فيه الزمخشري على طريقة المعتزلة.

والذي نراه ونميل إليه هو اعتبار الغاية من الخلق تتمثل في العبادة وهو ظاهر الآية، ونحسب أننا لا نحتاج معه إلى تأويل، ولا نرى تعارضا بين الآية من سورة الذاريات والآية من سورة الأعراف، وذلك لأن آية سورة الأعراف تتحدث عن صنف من الناس من فرط غفلته وإعراضه عن النظر المفضي إلى الإيمان وقد مكن منه صار كالأنعام بل أضل سبيلا، ومن ثم كان ذرؤهم لجهنم من باب الإخبار بعاقبتهم باعتبار حاضرهم، وليس في الآية ما يفيد الإجبار على عمل الطالحات ليستحقوا الجحيم.

يقول الراغب الأصفهاني في شأن العبادة وكيف أنها سبيل الإنسان إلى استكمال إنسانيته: "فالإنسان يحصل له من الإنسانية بقدر ما يحصل له من العبادة التي لأجلها

---

(1) هو سليمان بن عمر بن منصور الأزهري الشافعي (ـــ/1204هـ / ـــــ/ 1790م) من تصانيفه الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين بالدقائق الخفية . عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ط1 ، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1414هـ/1393م،ج1، ص795

(2) هو علي بن سلطان القاري الحنفي ت(1014هـ) له تصانيف كثيرة، ومنها شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان. عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين، ج2،ص 446

(3) المصدر نفسه ص 210 .

(4) الزمخشري، الكشاف، ط1 المكتبة التجارية، القاهرة: 1453هـ ج4 ص22

خلق. فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الإنسانية، ومن رفضها فقد انسلخ عن الإنسانية فصار حيوانا، أو دون الحيوان" [1]. وهذا المعنى الذي أورده الأصفهاني من كون الإنسان إذا انسلخ عن العبادة فقد انسلخ عن الإنسانية نراه أكثر وضوحا في التردي الأخلاقي والعبثية التي تعيش فيها المجتمعات التي يشكل الدين بالنسبة إليها هامشا ضيقا لا يكاد يذكر.

وقد يرد اعتراض آخر يعترض به من ذهب إلى أن الغاية من الخلق ليست هي العبادة، وذلك لأن الله عز وجل لو كان خلق آدم بقصد العبادة لخلقه على شاكلة الملائكة الذين لا يعصون الله ويفعلون ما يؤمرون، ونظن أن هذا الاعتراض في غير محله لسببين ؛ أولهما: لما كان الإنسان خلق مختلفا عن الملائكة فهذا يشير إلى اختلاف الغاية، وثانيهما: أن هذا الاعتراض ينطلق من تصور قاصر للعبادة، وهذا حين يقصرها على الركوع والسجود وحسب، وليس هناك ما يحتم علينا أن نفهم العبادة على الوجه الذي تؤديه الملائكة، إذ لو قلنا هذا لضيقنا واسعا وأهدرنا معاني كثير من نصوص القرآن الكريم، فللإنسان عبادته التي تتفق وطبيعته، كما للملائكة عبادتهم التي تتفق وطبيعتهم، والإنسان تركيبه مختلف، وعبادته تختلف أيضا، فعبادته ليست منحصرة في الصلاة والصيام، وسائر الشعائر التعبدية، بل إن معناها واسع يستوعب كل الأنشطة التي يمارسها الإنسان في حياته، وهذا لقوله عز وجل: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**(162) **لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**(163)﴾ [2]، وفي هذا الشأن يقول ابن تيمية:" العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل،

(1) الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، تحقيق: أسعد السحمراني، ط1 دار النفائس: بيروت 1408هـ/1988م ص127

(2) سورة الأنعام162 الآية ، 163

والمملوك من الآدميين، والبهائم،والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة "[1]. فالعبادة لا تقف عند حد إرضاء الجانب الروحي وحسب وتهمل الجانب المادي، بل" إن موقف الإسلام في هذا الصدد لا يحتمل التأويل. إنه يعلمنا أولا أن عبادة الله الدائمة، والمتمثلة في أعمال الحياة الإنسانية المتعددة جميعها، هي معنى الحياة نفسها ويعلمنا ثانيا أن بلوغ هذا المقصد يظل مستحيلا ما دمنا نقسم حياتنا قسمين: حياتنا الروحية وحياتنا المادية. يجب أن تقترن هاتان الحياتان، في وعينا وفي أعمالنا لتكون " كلا " واحدا متسقا. إن فكرتنا عن وحدانية الله يجب أن تتجلى في سعيها للتوفيق والتوحيد بين المظاهر المختلفة في حياتنا "[2]. وقد ميز "ماجد عرسان الكيلاني" بين ثلاثة مظاهر للعبادة؛ تتمثل في المظهر الشعائري، والمظهر الاجتماعي والمظهر الكوني، والمظهر الشعائري يتمثل في شعائر وممارسات ترمز إلى أشكال الحب والطاعة التي يعبد بها الإنسان الخالق، والمظهر الاجتماعي وموضوعه الثقافة والقيم والعادات والتقاليد والنظم، والمظهر الكوني موضوعه العلوم الطبيعية التي توفر للعالم المسلم دخول مختبر الآفاق وإبراز معجزات العصر وبراهينه وتوفير الشواهد التي تكشف عن عظيم صنع الله وقدرته،ويرى "الكيلاني"أن مفهوم العبادة يجب أن لا يحصر في واحد من هذه المظاهر الثلاث على سبيل الاستقلال، بل إن العبادة الحقيقية هي في تكامل هذه المظاهر معا، لما في حصرها في مظهر واحد من فقدان المعنى الشامل للعبادة[3]. وما عبر عنه "الكيلاني" بهذه المظاهر الثلاث يمكن الحديث من خلالها عن عناصر ثلاث للعبادة تشكل في مجموعها كتلة واحدة هي العبادة المطلوبة شرعا، وهذه العناصر الثلاث هي:

أ-عبادة الله بأداء الفرائض: وتتمثل في أداء الشعائر التعبدية مثل الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، والجهاد والمعاملة بالحسنى وسائر العبادات التي تمثل محطات لتطهير الإنسان

(1) ابن تيميه، العبودية، تحقيق: خالد عبد اللطيف العلمي ط3 دار الكتاب العربي، بيروت 1419هـ /1999 م ص20

(2) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: عمر فروخ (بيروت، دار العلم للملايين:1984م)ص23-24

(3) ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية. بيروت: مؤسسة الريان 14119هـ/1998م ص85-93

وتذكيره، وآيات القرآن الكريم التي تتحدث عن هذا النوع من العبادة أشهر من أن يشار إليها، ومنها قوله عز وجل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ(5)﴾ [1]

ب-عبادة التدبر في القرآن الكريم: وهي عبادة مأمور بها في ما آية كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا(24)﴾[2] ، وتدبر القرآن الكريم أمر ميسور لكل الناس لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ(22)﴾[3]

ج- عبادة التفكر في ملكوت الله: التفكر في ملكوت الله واجب من الواجبات الشرعية، وعبادة من أجل العبادات، والله عز وجل أمر بهذا اللون من العبادة وأثنى على المتفكرين في خلق السماوات والأرض حيث قال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ(190)الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ(191)﴾ [4] . والتفكر في خلق الله يحقق للإنسان مصالح عديدة في الدين والدنيا، ذلك لأن أمر الله بالتفكر في مخلوقاته هو في أحد طرفيه يحقق الخشية أو ما يمكن تسميته بالعبرة، وفي طرفه الآخر ينتج معرفة أو ما يمكن تسميته بالخبرة، وبمعنى آخر هذا التفكر في مخلوقات الله يلامس في طرفه الأعلى ملكوت الله عز وجل، وفي طرفه الأدنى يلامس الأرض وترابها وهذه المعرفة المتصلة بالأرض هي سبيله إلى إثارتها ومن ثم يقدر على عمارتها.

وغياب النظرة الشمولية للعبادة هو ما وقع فيه المسلمون في فترات ضعفهم، وما زالوا واقعين فيه في يومنا هذا. وأبرز تجلياته الفصل الواقع بين علوم الحياة وعلوم الدين،

(1) سورة البينةالآية5

(2) سورة محمد الآية 24

(3) سورة القمر الآية 22

(4) سورة آل عمران الآية 190، 191

وبين علماء الكون وعلماء الدين، وفي وجود شكلين متجاورين من أشكال التربية والتكوين لا لقاء بينهما، وفي رجلين لا تلاقي بينهما؛ عالم الدين وعالم الدنيا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع: العبادة والخلافة

لعل السؤال الجدير بالطرح هنا هو المتصل بوجه العلاقة بين العبادة والخلافة، فإذا كانت العبادة هي الوظيفة والغاية من خلق الإنسان بحسب ما سبق بيانه، فما الموقع الذي تشغله الخلافة إذن؟

ذهب" فاروق أحمد دسوقي" إلى القول بأن العبادة تمثل مع السيادة عنصرا من عناصر الخلافة، وفي هذا الشأن يقول" قلنا إن خلافة الإنسان لله في الأرض، عبودية لله عز وجل وحده، وسيادة على كل ما في الأرض من أشياء وأحياء، ومعنى هذا أن الله عز وجل عندما جعل الإنسان خليفة، فإنه جعله بذلك عبدا وجعله سيدا في آن واحد، أي بطبيعة وجبلة واحدة، لكنه عز وجل لم يجعله عبدا لله ولا سيدا على الأشياء والأحياء غير الإنسانية في الأرض"(1)، فالخلافة في نظره تقوم في أحد شطريها على العبودية لله، وفي شطرها الآخر على السيادة على الموجودات التي سخرها الله له، ومن ثم يجعل العبادة متضمنة في الخلافة، وإلى ما يقرب من هذا ذهب "عبد المجيد النجار " حين يقرر بأن الخلافة وظيفة تؤدى بمنهج العبودية، وهذا حين يقول: "وممارسة الخلافة في الأرض على سبيل تنمية الذات الإنسانية وتكميلها بمنهاج العبادة يقتضي التعامل مع هذه الأرض بما يدفع بالإنسان إلى اتخاذها طريقا لتعظيم الله وإكباره والخضوع له، والسعي في محبته ونوال رضاه بما يناله من التدبر فيها والاعتبار بأحوالها من معرفة بالله وبكمال صفاته، وعظمة سطوته، وسعة رحمته، وبما يدفع به أيضا إلى استثمارها واستغلال منافعها وتسخير مرافقها، بما يكتشف من أسرارها وقوانينها "، والوضح هنا أن " النجار" يجعل الخلافة وظيفة والعبادة منهجا.

والظاهر أن هذا الرأي الذي ذهب إليه"فاروق أحمد دسوقي" و"عبد المجيد النجار" من كون العبادة متضمنة في الخلافة، مبني على أصل القول بأن الخلافة هي وظيفة الإنسان، وهي الغاية البعيدة التي عليه أن يسعى إلى تحقيقها.

(1) فاروق أحمد دسوقي، استخلاف الإنسان في الأرض، دار الدعوة، الإسكندرية ص24

ولا يفوتنا أن نذكر ما رآه "محمد إقبال" في العلاقة بين العبادة والنيابة الإلهية،حيث يجعل الطاعة أول مقام لابد أن يتحقق منه المسلم دون تضجر أو شكوى من شدة الشرع، لأنها بالنسبة إليه هي سبيل حريته وانطلاقه في رحاب الأفلاك وتسخيرها، يقول في هذا الشأن مخاطبا المسلم العابد:

" فاحمـــل الفرض قويا لا تهاب وارجون من عندَه حسنُ المآب
أجهدن في طاعة يا ذا الخسار فمن الجبر سيبدو الاختيـــــار
سخّر الأفلاك في همتـــــــه من ثوى في القيد من شرعتـــه
شدةٌ في شرعنـــا لا تشكون وحـــدود المصطفى لا تعدون"[1]

أما المقام الثاني، فهو ضبط النفس، ذلك أن المسلم بعد أن يوطن نفسه على العبادات والتزام الشرع، يرتقي إلى مقام آخر وهو ضبط النفس، فالنفس ركب فيها الخوف والحب، خوف الموت وحب المال والولد، والمسلم إذا لم يستمسك بلا إله إلا الله، غلبه البدن الذي هو مركب الأهواء والفتن، وصار قارورة زجاج بين حجرين؛ خوف الموت وحب الدنيا، يقول في هذا:

" كل مَـــن بالحق أحيا نفسه لا ترى الباطل يحني رأســـه
معرض عما سوى الله الأحد يضع السكين في حلق الولد"[2]

ويقول في موضع آخر:

"درة التوحيد فاحفظها الصلاة حجك الأصغر فاحفظها الصلاة
في يد المسلم هذا الخنـــــجر يقتل الفحـــش به والمنـــــكر
يفتك الصوم بجوع وصـــدى ضابط بالقسط هذا الجســـــد
وينير الحج قلـــب المؤمـــن هجرة الأهـــل به والوطـــن
بالزكاة العابـــد المـــال ادكر علمت حـــب المساواة البشـــر
تكثر المال وشـــحا تمحـــق "لن تنالـــوا البر حتى تنفقـــوا"
تلك أسباب بها تستحـــكم إن يكن في القلـــب دين محكـــم

(1) محمد إقبال، الأسرار والرموز. ص37، 38
(2) المرجع نفسه، ص 40

اقويا مؤمـــن بالله القـــــوي تحكمن في ذلـــك البكـــر الأبي" [1]

بعد هذا يصل المسلم إلى مرحلة النيابة الإلهية، يقول إقبال في هذا:

"نائب على الأرض سعيـــــد حكمه في الأرض خلـــد لا يبيـــد

هو بالجزء وبالكـــل خبـــير وبأمر الله في الأرض أميـــــــر"[2]

فمرحلة النيابة الإلهية من وصلها صار إنسانا كاملا وهو الإنسان الذي يخشى ظهوره الشيطان والكافر، وأظهر صورة للإنسان الكامل كانت شخصية محمد ﷺحيث إنه عليه الصلاة والسلام وصل إلى مقام"عبده". ومن ثم فمقام العبودية هو أشرف مقام يسعى الإنسان من أجل الوصول إليه، وليس هناك ما يدعونا إلى البحث في العلاقة بين العبادة والعبودية، ما دامت العبادة طريق الوصول إلى العبودية، والصلة بينهما ظاهرة، والاشتقاق اللغوي دليل عليها، وبهذا المعنى فإن" إقبال"لا يفرق بين العبادة والخلافة في خاتمة المطاف، ولاشك أن التأثير الصوفي في هذا الموقف أشهر من أن ينبه عليه.

والذي نراه أنه يمكن تبين موقع الخلافة من حيث صلتها بالعبادة، في كون هذه الأخيرة أشمل من الخلافة حسب اعتقادنا، بحيث يمكن الحديث عن جعل العبودية الحقيقية تتحقق من بين ما تتحقق به؛ منهاج الخلافة وليس العكس، فبحسب ما عرفنا من قبل (في الفصل الخاص بالخلافة) من أن معانيها حسب تقديرنا لا تخرج عن معاني السيادة والسلطان والملك والتمكين، فإن تحقق هذه الأوصاف هو من قبيل تحقق للعبودية في وجه من وجوهها، فإذا كانت العبودية شاملة ويمكن التعبير عنها في سائر أوجه النشاط الإنساني، وإذا أدركنا أن الخلافة في الأرض من عمل الإنسان، وهي تقتضي ألوانا من النشاط الحيوي في عمارة الأرض والتعرف إلى قواها وطاقاتها، وذخائرها ومكنوناتها[3]، والتعرف إلى دلائل القدرة الإلهية بما يعمق الإيمان ويوجه العمل، كانت الخلافة داخلة في معنى العبادة، والعبادة لا تستقيم إلا من خلال الاستخلاف الذي من أهم مكوناته عمران الأرض، والإصلاح فيها.

---

(1)المرجع نفسه، ص40

(2)المرجع نفسه ،ص 41

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن ج6 ص 3387،

وإذا كان الاستخلاف يحتاج من بين ما يحتاج إليه، معرفة آفاق الكون، ذلك أن الإنسان أوجده الله على هذه الأرض وليس في مقدوره أن يبقى على حالة من السلبية واللامبالاة بمحيطه، بل عليه أن يبادر إلى معرفته وتحصيل العلم بسننه قدر المستطاع، فما طبيعة آفاق الكون التي يحيا في خضمها، وهل هي مستعصية على التطويع إلى الحد الذي يصاب الإنسان معه بالكلل، أم أن الحال غير هذا؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الخامس:

الآفاق وصلتها بالاستخلاف.

المبحث الأول : خصائص الآفاق في القرآن الكريم.

المبحث الثاني : سننية الآفاق.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

لعل واحدة من الظواهر الأكثر ملاحظة في العالم الإسلامي هي إعراض المسلمين عن النظر في الآفاق، وعزوفهم عن سبر أغوارها في بعض فترات تاريخهم متأثرين في ذلك بثقافات دخيلة، سرعان ما دخلت في مواجهة مع روح القرآن الداعية إلى تقدير جانب الآفاق، والاهتمام بالتجربة، ويمكن القول بأن روح القرآن كانت لها الغلبة في بداية الأمر، وكان المسلمون سباقين إلى ارتياد الآفاق امتثالا لأمر الله عز وجل في قوله: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(20)**﴾ [1]. لكن تحولات حدثت في البيئة الإسلامية انحصر فيها هذا الاهتمام، وقصر مفهوم العلم على معناه الشرعي الخاص، وأهمل بذلك جانب الواقع الطبيعي المتغير، أو العبادة ويعدها الكوني، وعادت بعض الآراء القديمة السابقة على الإسلام بالظهور، صاحب ذلك هيمنة واضحة للمناهج الغربية على المنهج الإسلامي الأصيل.

من هنا لا بد من إعادة النظر في هذه المسألة وإعادة تقدير الواقع وفق الأمر الإلهي، ذلك أن القرآن الكريم يمثل نزوله الحد الفاصل بين ثقافتين؛ ثقافة قديمة لها تصوراتها التي ضبط الإنسان وفقها علاقاته بعالمه الذي يعيش فيه، وثقافة جديدة مثل القرآن نفسه فاتحتها، حيث أعاد تشكيل التصورات الإنسانية للآفاق على الوجه الذي ينشئ علاقة سليمة، وتمكن من ممارسة الفعل الاستخلافي.

(1)سورة العنكبوت الآية 20

المبحث الأول :خصائص الآفاق في القرآن الكريم

حدد القرآن الكريم خصائص آفاق الكون وبينها على الوجه الذي يزيح به جميع الحواجز بينها وبين الإنسان، بحيث يتمكن هذا الأخير من الإقبال عليها واستثمارها بما يخدم خلافته، ويمكن تبين هذه الخصائص فيما يأتي:

المطلب الأول: الآفاق مخلوقة لله

مبدأ الخلق مبدأ قرره القرآن الكريم في آيات كثيرة، وهو مبدأ شامل لكل ما سوى الله تعالى، ومدلول ذلك أن كل مخلوق فهو لا يشارك الله في أزليته، قال الله عز وجل: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ(44)﴾[1].

وانطلاقا من هذا المبدأ فإن جميع مخلوقات الله عز وجل ليست بآلهة ولا تستحق أن تعبد، وهذا هو الأساس الذي ينبغي أن ينظر منه المسلم إلى آفاق الكون عامة، فهي محكومة مخلوقة مثله وعليه أن يرتفع عن أن يكون ساجدا لها قال الله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ(37)﴾ [2]، ونهي الله عز وجل الناس عن عبادة الشمس والقمر هو تكريم لهم، إذ ليس مستساغا أن يسجد مخلوق لمخلوق مثله، وقد حدث أن عبد الناس النجوم الكواكب وحتى الأنهار والأشجار وغيرها من الآيات، وتتبع معبودات الناس قديما مما يطول.

واتجاه الناس إلى عبادة هذه المظاهر المختلفة راجع إلى ما ينالونه من المنفعة منها، وراجع أيضا إلى خوفهم منها.

ومن أمثلة العبادة بسبب المنفعة؛ تقديس الأنهار لما تجلبه من خصب، وهذا حدث عند أقوام كثيرين، وخاصة عند قدماء المصريين، حيث اشتهر عندهم تقديم القربان لنهر النيل عند

(1)سورة العنكبوت الآية 44

(2)سورة فصلت الآية 37

فيضانه في كل سنة، وعبادة الشمس اشتهرت في" الأماكن الباردة أو الرطبة، لأنها ترسل أشعتها الذهبية، فتزيح قسوة البرد، أو تخفف من حدته، وتعمل على إنماء النبات، وكان المصريون القدماء ينظرون إليها على أنها أكبر الآلهة"[1]، وقد كانت عبادتها شائعة في قوم إبراهيم عليه السلام في أور الكلدانيين، ما يشير إلى أن عبادتها ربما كانت موجودة عند قدماء الفرس، وقد عرض علينا القرآن الكريم كيف أبطل إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام عبادة الكواكب وهو يحاجج قومه، قال عز وجل: ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ(75)فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ(76)فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ(77)فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(78)إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ(79)وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ(80)**﴾ [2].

فإبراهيم الخليل حج قومه بتنبيههم إلى أفول كل من الشمس والقمر، وهذا الأفول قمين بأن ينفي عنهما أهليتهما للعبادة.

ومن أمثلة العبادة بسبب الخوف والرهبة؛ اتخاذ أقوام مختلفة لآلهة خاصة بالبرق والرعد، وأخرى للزلازل والبراكين ظنا منهم أن هذه الآلهة المزعومة يمكنها أن تدفع المصائب التي قد تحدثها هذه الظواهر.

وتبعا للقول بمخلوقية الآفاق لله تعالى؛ فهي أيضا خاضعة له أيضا، إذ أنها لا تسير من تلقاء نفسها، بل تسير بأمره، تطيعه وتسجد له، قال الله عز وجل: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ**

(1) محمد حسني موسى محمد الغزالي، تأليه الديانات الوثنية للآيات الكونية وموقف الإسلام منها.ط1 الصواف للطباعة، الزقازيق: 1424هـ/2003م، ج1 ص 137

(2)سورة الأنعام الآية 75- 80

﴿وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ(11)﴾ [1] .

وقال عز وجل أيضا في تقرير هذه الحقيقة: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا(44)[2]﴾، وعبادتها حاصلة بالتسخير لا بالإرادة، وبالتأكيد على هذه الحقيقة ينفي عن هذه الآيات ما نسب إليها في بعض الثقافات من أنها مسيرة من قبل قوى سحرية.

إن التأكيد على نفي إلهية الموجودات، ونفي تسييرها من قبل قوى سحرية فيه تخليص للإنسان من الوهم الذي قد يستولي عليه فيجعله مستسلما لما جعل في الأصل مسخرا له، والوقوع في هذا الوهم من شأنه أن يعرقل خلافته في الأرض، ولعل هذا ما يظهر في واحدة من أرقى الصور التي تساق في معرض التمثيل لرقي الفكر البشري غير المسترشد بالوحي والذي مثله اليونان كان واقعا تحت سلطة تأليه الموجودات وكان يرى العالم على أنه مليء بالآلهة، وتبعا لذلك جعل من المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، وحتى الإنسان نفسه ميدانا للصراع المستمر بين آلهة شريرة وأخرى خيرة، و" الحضارة الإغريقية التي لاحظت ظاهرة النظام في الحركة الفكرية للعقل البشري، وطورت علوم الهندسة والحساب والمنطق وغيرها من العلوم العقلية لم تستطع التحرر كليا من التصور السحري للطبيعة، فنرى العقل الإغريقي يفسر الظواهر الطبيعية والاجتماعية بردها إلى إرادات الآلهة المتنازعة. ونرى كبار الفلاسفة الإغريق مثل أفلاطون وأرسطو يعتقدون بأن الكواكب والنجوم أرواح عاقلة مهيمنة على الوقائع الطبيعية والاجتماعية "[3]، ولقد كان لانتقال بعض هذه الآراء إلى بيئة المسلمين أثر سيئ تمثل في عرقلة السير التدريجي المراعي لطبيعة الأشياء نحو تمثل روح القرآن الكريم خير تمثل في تبين النظرة السليمة إلى الآفاق وسننها

(1)سورة فصلت الآية 11

(2) سورة الإسراء، الآية 44

(3) لوي صافي، إعمال العقل . ط1 دار الفكر، دمشق: 1419هـ/1998م ص214

أما القرآن الكريم الذي نص على أن " الآيات الدالة على الذات الإلهية تتجلى في الأنفس قد خلق روح النقد لعلم الإنسان بالعالم الخارجي، ووطد أركانها بأن جرد قوى الطبيعة من الصبغة الإلهية التي أضفتها عليها الثقافات الأولى"[1].

وفي مقابل رفع القرآن الكريم للصفة الإلهية عن سائر الموجودات، فإنه أبطل العلاقة العدائية المتوهمة بين الإنسان وما حوله، ولعل أكثر صور هذه العدائية وضوحا هو صراع الإنسان العصري حتى مع نفسه " فهو في حلبة الفكر في صراع صريح مع نفسه، وهو في مضمار الحياة الاقتصادية والسياسية في كفاح صريح مع غيره" [2]، ولم يكن هذا الصراع ليقف عند هذا الحد بل إن من أبرز صوره أيضا عداءه المستحكم للواقع الطبيعي الذي يعيش فيه، فهو حين يستطعم الأرض يصحب ذلك بالرغبة في قهرها، وهو حين يكتشف بعض القوانين التي تمكنه من النفاذ خلال أقطار السماوات والأرض لا يرى في ذلك إلا قهرا لقوى الطبيعة، والقرآن الكريم أبطل كل صور العداء حين بين أن هذه الموجودات مسخرة للإنسان، قال عز وجل: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ(32)وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ(33)وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ(34)**﴾ [3]، وفي الآية توضيح لعلاقة الإنسان بالآفاق في أصل وضعها ووفائها بكل حاجات الإنسان، أما إقامة هذه العلاقة على الصراع فهو خروج بالأشياء عن طبيعتها وأصل خلقتها.

والقرآن الكريم بتأكيده على هذه الحقيقة يبني موقفا أخلاقيا حميميا ينبغي أن يقفه الإنسان من سائر الموجودات، وهو موقف ليس دخيلا على طبيعة الإنسان نفسه، وذلك لأنه

---

(1) محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام ص145 .

(2) المرجع نفسه، ص215

(3)سورة إبراهيم الآية 32-34

جزء منه، قال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا(17)﴾ [1]، وهذا الموقف له ثمرتان: أما الثمرة الأولى فهي زيادة إيمانه بالله، وأما الثمرة الثانية؛ فهي تسخيره لهذه الموجودات لخدمته دون الإخلال بعلاقة الألفة بينهما، وهذا ما يصب في نهاية المطاف في تيسير الفعل الاستخلافي للإنسان.

وهذا الموقف الأخلاقي من آفاق الكون هو موقف مخالف لمواقف كثير من الثقافات القديمة والحديثة، ويمكن تمييز ثلاثة مواقف رئيسة من آفاق الكون في القديم والحديث، ويمكن التمثيل لها بموقف الثقافة الهندية القديمة، موقف الثقافة اليونانية وكذا موقف الثقافة الغربية الحديثة.

فالثقافة الهندية بتشعباتها المختلفة تتفق في جملتها على موقف أخلاقي من آفاق الكون، وهو موقف يعتبرها شرا ومن ثم؛ فالخير يكمن في هجرها، والشر كل الشر في الانخراط في الحياة بكل ما يلزم ذلك من معالجة للعالم الطبيعي، ولقد أنتج هذا الموقف سلبية عارمة تجلت في السعي إلى الخلاص من هذه الحياة، وهو ما ترجم إلى لون من التصوف، حيث انتقل هذا اللون من التصوف إلى المسلمين، وكانت له نتائجه السلبية على حياة المسلمين بسبب دعوته إلى هجر الحياة، والدعوة إلى الفناء.

أما الثقافة اليونانية فهي في جملتها لم تعر آفاق الكون اهتماما ذا بال، وقد" كان سقراط يقصر همه على عالم الإنسان وحده. وكان يرى أن معرفة الإنسان معرفة حقة إنما تكون في النظر في الإنسان نفسه لا بالتأمل في عالم النبات والهوام والنجوم" [2] فالواقع الموضوعي لم يكن له محل من الاهتمام، وإن كان هناك اهتمام به فإنه لم يكن يتجاوز منهج التأمل وتحكيم المنطق الداخلي للعقل[3]، وقد نجم عن هذه الفكرة أمر آخر، وهو اعتبار العالم الطبيعي أو آفاق الكون شيئا منحطا، والاشتغال به من نصيب العبيد، وشرف الإنسان

(1)سورة نوح الآية 17

(2) محمد إقبال، تجديد التفكير الديني،ص8

(3) لؤي صافي، إعمال العقل ص 216

ومكانته يوزن من بين ما يوزن به؛ مدى المقدرة على التفكير المجرد، "وما أشد مخالفة هذا لروح القرآن الذي يرى في النحل على ضآلة شأنه محلا للوحي الإلهي، والذي يدعو القارئ دائما إلى النظر في تصريف الرياح المتعاقب، وفي تعاقب الليل والنهار، والسحب، والسماء ذات النجوم، والكواكب السابحة في فضاء لا يتناهى"[1].

أما الثقافة الغربية الحديثة فإن نظرتها إلى آفاق الكون شهدت تحولات مختلفة من العسير رصدها في هذه العجالة، غير أن أهم ملمح عام لها يتمثل في معارضة الرؤية المسيحية إجمالا، فالمسيحية ترى أن العالم الأرضي أنزل إليه الإنسان عقابا له على معصيته في جنة عدن،" لقد زل الإنسان، وبات عاجزا عن استعادة جنة عدن على الأرض. حقا، إن باستطاعته أن يكون أفضل، ولكن لن يتأتى له هذا بأي عملية، ولا بأي أفعال تاريخية بل سبيله إلى ذلك معجزة خارقة تتجاوز حدوده، وهي معجزة الخلاص عن طريق النعمة الإلهية. فالجنة لا تتحقق قطعا على الأرض"[2]. فإذا كان الإنسان أنزل إلى الأرض عقابا له فإن خلاصه منها واسترداده فردوسه المفقود يكون بهجرها.

ولقد كان البديل الذي ارتضته الثقافة الغربية الحديثة في ثورتها العارمة على المفاهيم الكنسية يتراوح بين القول بأن الله غير ضروري، وبين القول بأن الله شر حقيقي خاصة إذا كان هو إله الكنيسة الكاثوليكية الرومانية[3]، من ثم تشكلت رؤية كونية قائمة على المادية رأت العالم مجرد آلة كبرى ليست في حاجة إلى إله[4]، والإنسان يمكنه أن يعرف هذا العالم بعقله، ويمكنه أن يحقق جنته على الأرض بقدر الانتصار الذي يحققه على العالم من حوله،

---

(1) إقبال، المرجع السابق ص 8، 9

(2) كرين برينتون، تشكيل العقل الحديث، ترجمة: شوقي، جلال الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة :2004 ص 125

(3) المرجع نفسه ص131

(4) هذه النظرة انبثقت من فيزياء نيوتن(1642- 1727)، سأل نابوليون ذات مرة الفلكي المشهور " لابلاس" عن النظام السماوي: أين مكان الله فيه؟ فأجاب: إن النظام الكوني يشتغل كساعة عملاقة فلا يحتاج إلى إله يقوم عليه. هاني رزق وخالص جلبي ، الإيمان والتقدم العلمي .ط1 ، دار الفكر ، دمشق: 1421هـ/2000م ص 257

ومن ثم دخل في صراع حاد مع كل شيء حتى مع نفسه، وصراعه مع ما اصطلح عليه بـــ"الطبيعة" لا يعرف حدا يقف عنده، وانقلب الخوف من " الطبيعة" الذي ساد ثقافة أجداده من اليونان والرومان إلى حد التأليه، انقلب إلى ابتذال واحتقار غير مبرر، مع أن مظاهر التآلف في آفاق الكون عامة أشد وضوحا من مظاهر الصراع، بل إن فكرة الصراع نفسها لا مكان لها في البنية الإسلامية.

كل هذه الأفكار السابقة التي وُجدت في الثقافات القديمة أو في الثقافة الغربية الحديثة اكتست مقاومة القرآن الكريم لها ورفضها أهمية كبيرة بالنسبة للمسلمين، حيث شكلت السبب المباشر دوما في عودتهم إلى جادة الصواب، وإعادة تقدير آفاق الكون بما يتفق وروح القرآن الكريم، ذلك أن الموقف الأخلاقي القرآني من آفاق الكون مؤسس على التوحيد، وكل سعي في عمارتها لا يعد شيئا ذا قيمة ما لم يشكل التوحيد مرجعيته.

المطلب الثاني: النظام

من جملة خصائص هذه الآفاق أيضا أنها تسير وفق نظام معلوم وتقدير محكم، والخلق كله وحدة متماسكة، وأجزاؤه كلها مترابطة قال الله عز وجل:﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا(2)**﴾ [1]، وقال أيضا:﴿ **وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19)**﴾ [2]، وهذا الترابط والاتزان كما يظهر في العالم الأكبر يظهر أيضا في العالم الأصغر، وكما يظهر في الإنسان يظهر في غيره من الموجودات، وكثير من العلماء لم يجدوا مناصا من الإيمان بأن هذا العالم عقل مدبر وإله عليم حكيم، لما رأوا من نظام عجيب يميز كل شيء .

وأهم سمة لهذا النظام هو التقدير الذي نراه في كل شيء، فموجودات الأرض وأجرام السماء ليست متراصة إلى جانب بعضها البعض كما اتفق، فلو كانت كذلك لاختل نظامها

---

(1)سورة الفرقان الآية 2

(2) سورة الحجر الآية 19

وفقدت انسجامها، وزال عنها جمالها، قال عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ(3)﴾ ،[1] وهذا الإتقان لا نراه في السماوات فقط بل في كل شيء، قال عز وجل: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ(88)﴾[2]،وقال أيضا: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ(7)﴾ [3]، وقال أيضا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ(49)﴾ [4]، وكون هذه المخلوقات أوجدها الله على قدر معلوم، ينفي ما كان يعتقده أصحاب الثقافات القديمة من أن كل ظاهرة تعمل باستقلال عن باقي الظواهر الأخرى دون أي رابط بينها، وهذا زيادة على الاعتقاد بأن هذه الظواهر لها نفوس ذاتية تتحكم بها تماما كنفس الإنسان، أي أن لكل ظاهرة طبيعية حركة ذاتية خاصة بها وصادرة من تلقائها [5]، وهذا ما يسمى بالنزعة الإحيائية[6].

---

(1) سورة الملك الآية 3

(2) سورة النمل الآية 88

(3) سورة السجدة الآية 7

(4) سورة القمر الآية 49

(5) أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية، ج2 ص 129

(6) الإحيائية أو مذهب حيوية المادة Animism : مذهب في تفسير نشأة الأديان، ومضمونه الاعتقاد بأن جميع الكائنات في العالم الطبيعي مزودة بالشعور، وهو اعتقاد شائع بين معظم الجماعات البدائية ، فالأشجار والجبال والأحجار وأمثالها ينظر إليها كما لو كانت شخصيات حية، ولهذا كثيرا ما يعاملها الإنسان معاملاه لبني الإنسان، من استرضاء ومراغة ، وما إلى ذلك، ومن مقتضيات هذا المذهب الاعتقاد بأن الكون يشمل على عدد كبير من الأرواح ذات الوجود المادي المحسوس ، وهي تتدخل في مجرى الحوادث، ومن بين هذه الأرواح ذات الأثر الفعال، أرواح الموتى، ومن ثم نشأت عبادة الأسلاف . أحمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان: 1993م، ص 20. فهو مصطلح يشير إلى نمط في التفكير يأخذ بأشكال الكثرة في الظواهر دون رابط بينها على افتراض أن لكل منها حركته الذاتية الخاصة وتعلقها بروح كامنة فيها. فهي نمط من التفكير يسبق اكتشاف النسق الذي يربط بين الكثرة ويشد علاقاتها بشكل موضوعي إلى بعضها. أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية ، ص 139

فالقرآن الكريم ينفي استقلال الظواهر عن بعضها البعض ويؤكد على أنها تعمل مع بعضها بانسجام وانتظام بتقدير إلهي محكم، قال عز وجل: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ(37)وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38)وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ(39)لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ(40)﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ(9)﴾[2] فهذه الآيات المسطورة تدل على انتظام الآيات المنظورة ضمن سنة إلهية عامة، ولا شك أن من بين ما يلزم عن هذا؛ أن آيات الله في السماوات والأرض لا تأثير لها على حياة الإنسان، وما ينسب إلى النجوم والكواكب من تأثير هو مجرد أوهام، والإيمان بشيء من هذا القبيل هو شرك بالله، وقد أدى الاحتياط من الوقوع في هذا اللون من الشرك ببعض علماء المسلمين إلى التحذير من النظر في النجوم[3]، خشية أن يؤدي ذلك إلى عبادتها بشكل ما، ومع أن هذا لم يكن بشكل ظاهرة عامة[4] إلا أننا نرى أن هذا التحذير احتياط مبالغ فيه، بالنظر إلى الآيات القرآنية الكثيرة التي ترى أن النظر في ملكوت الله يزيد الإيمان، فكيف يعتقد أن هذا يفتح باب الشرك.

---

(1)سورة يس الآية 37-40

(2)سورة فاطر الآية 9

(3) نجد هذا الأمر عند بعض العلماء المشتغلين بعلم التوحيد، ومن أمثلة هذا التحذير ما نجده عند أبي الحسن البربهاري في كتابه شرح السنة، حيث قال:"وأقلُّ النظر في النجوم إلا بما تستعين به على مواقيت الصلاة، وإله عما سوى ذلك فإنه يدعو إلى الزندقة ".شرح السنة، تحقيق: محمد سعيد سالم، ط1، القحطاني، دار ابن القيم، الدمام 1408هـ ص 48.

(4) لم يكن ذلك يشكل ظاهرة عامة بالنظر إلى أن كثيرا من علماء الإسلام ممن فيهم أهل التفسير لم يغفلوا عن تفسير الآيات القرآنية التي تتحدث عن الظواهر الكونية المختلفة، ولعل مطالعة بعض النماذج منها تكشف عن الجهد الذي بذله هؤلاء في تفسيرها من حيث هي دالة على الله عز وجل، وقد استفادوا في ذلك من سائر المعارف التي كانت شائعة في وقتهم، ومن هذه النماذج مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي.

وإذا كانت مظاهر الآفاق الكونية لا تأثير لها على الإنسان، فإنها أيضا لا تتأثر بما يحصل للإنسان، أخرج البخاري في صحيحه عن المغيرة بن شعبة: انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم، فقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم . فقال رسول الله ﷺ: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي"[1] . والحديث النبوي الشريف واضح في نفي أي إرادة عن الشمس والقمر، وفي نفي أي تأثر منهما لما يحدث للبشر، فهما آيتان تسيران بأمر الله بانتظام وتناسق مع باقي الآيات الأخرى.

المطلب الثالث: الغائية

والقول بالغائية يؤدي إلى نفي العبثية عن مخلوقات الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ(16)﴾ [2]، والقول بالغائية التي تنفي العبثية عن مخلوقات الله فيها خطاب للمسلم بأن لا يقف موقف السلبية ومسلك التواكل وعقلية الاعتباط[3]، فليس في مخلوقات الله ما خلق عبثا، فالإنسان خلق لغاية وآفاق الكون لغاية أيضا، وهي في بعض جوانبها تيسير الفعل الاستخلافي للإنسان.

ولا يخفى أن الصلة وثيقة بين القول بالغائية وبين القول بالنظام، بل يمكن القول بأن التلازم بينهما لا محيد عنه إلى حد القول بأن معناهما واحد، بمعنى أن القول بالغائية في نظام آفاق الكون هو بالضرورة قول بالغائية، والعكس صحيح أيضا، وقد جعل ابن رشد النظام الذي تسير عليه السماوات والأرض دليلا على الله عز وجل وسماه دليل" الاختراع"[4].

والقول بالغائية يعترض عليه كل من يؤسس موقفه على القول بالتعارض الحتمي بين الدين والعلم، فالنظرة العلمية- حسب هذا الموقف - لا ترى في آفاق الكون نظاما ساريا

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الكسوف، باب الدعاء في الخسوف، رقم 1060

(2)سورة الأنبياء الآية 16

(3)عبد الحميد أحمد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم ، ط2. دار الهدى. عين مليلة: 1413هـ/1992م ،ص127

(4) أبو الوليد بن رشد، فلسفة ابن رشد. ط1 دار الآفاق الجديدة، بيروت 1402هـ/1982م ص61

يحكم جميع ظواهره، وبالتالي لا ترى بأن جهد الإنسان المعرفي هو كشف قواعد هذا النظام، كل ما هنالك أن الإنسان ألقي به في عالم غير مكترث به، وهذا العالم إنما ينتظم وفق رؤية الإنسان له وحسب. من هذا المنظور يصبح القول بالغائية خروجا عن النظرة العلمية للأشياء؛ لأن النظرة العلمية لا تقر القول بالغايات، والعلم لا يقبل في حضرته من يقول بها، ويزعم المعترض أن "الكون في نظر العلم لا يسير وفق غايات، إنما تسود مساره الآلية"[1]، أما في نظر الفكر الديني:" فإن فكرة النظام أساسية، بل إن كثيرا من علماء الكلام واللاهوتيين يتخذون من وجود النظام في الكون دليلا من أدلة وجود الله ومظهرا من مظاهر قدرته . وهكذا يستحيل تصور العالم بطريقة عشوائية أو غير منظمة ما دام الخالق قادرا على كل شيء... أما التنظيم، كما يقول به العلم فهو يخلقه العقل البشري ويبعثه في العالم بفضل جهده المتواصل، الدءوب، في اكتساب المعرفة، على حين أن العالم، وفقا لأنماط التفكير الأخرى، منظم بذاته" [2].وهذا الموقف واضح فيه عدم التمييز بين أنماط التفكير الديني، وهذا حين يضعها في خانة واحدة، وهو موقف غير سليم خاصة وهو ينكر وجود أي شكل من أشكال التدين الصحيح، هذا من جهة حكمه على التفكير الديني، أما من جهة الاعتقاد بأن العلم يبتدع أشكالا جديدة من النظام في هذا العالم العشوائي بمنهجيته الصارمة؛ التي من أهم خصائصها هنا التمييز بين العلل الغائية والعلل الفاعلة، حيث يصبح لزاما عليه من خلالها طرح العلل الغائية جانبا والاكتفاء بالعلل الفاعلة، إنه من هذه الجهة يتبادر سؤال يطرح نفسه بإلحاح وهو: كيف يمكن العلم أن يخلق نظاما، وجهده كله منصب على دراسة الظواهر ؟

إن القول بأن العلم يتناقى والقول بالغائية فيه افتئات على العلم نفسه، صحيح أن النظر إلى العلم نظرة مادية بحتة يؤدي إلى نفي الغائية، لكن هذه النتيجة في حقيقة الأمر يمكن

(1) فؤاد زكريا، التفكير العلمي. الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1996 ص29

(2) المرجع نفسه ص29

اعتبارها نابعة مما يمكن عده أدلجة [1] للعلم، فالمادية هي التي فرضت على العلم هذه النتيجة و لم تكن أبدا نابعة من طبيعته هو، وهي في هيمنتها عليه لم تُعنه على التقدم فـ"من شأن الاقتصار على الاعتراف بتفاسير مادية، ميكانيكية، أن يعوق تقدم العلم...إن افتقار المادية إلى الضوء قد كبل العلم الحديث، فجعله يترع إلى تكييف الموضوع قسرا تبعا للطريقة بدلا من تكييف الطريقة تبعا لمتطلبات الموضوع محل البحث، فالمادية ترفض الجزء الأكبر من الخبرة العامة، بما فيه الجمال والقيم **والغائيـــة** والعقل وحرية الإرادة بوصفها وهما من الأوهام"[2].

وعلى ذلك يمكن القول بأن العلم لا ينفي الغائية، بل يمكن عدها موجهة لنشاطه، لكن هذا التوجيه ليس على معنى التوجيه الذي يفرض طرائق في البحث قسرا مثلما فعلت المادية، ولكنه توجيه على المعنى الذي يعطي للعلم معناه وإنسانيته التي سلبته منه المادية، وهو علم لا يجد حرجا في أن يكون باسم الله، لأن كونه باسم الله الواحد لا يضر موضوعيته في شيء، بل يعمقها حين يخلصه من نظرات الأوائل الشركية والخاطئة في الوقت نفسه، والشرط الوحيد في ذلك هو أن يكون طلب العلم من أجل تبين الحق [3]وعندها يكون مؤيدا لخلافة الإنسان لا معارضا لها.

المطلب الرابع:الجمال

مظاهر الآفاق خلقها الله عز وجل وأضفى عليها مسحة جمالية أخاذة، خاطب بها وجدان الإنسان وذوقه الجمالي كما خاطب عقله بنظامها وإحكامها؛ قال الله عز وجل:﴿

(1) أدلجة مأخوذة من إيديولوجيا، وقد شاع استخدامها في العربية، وهي هنا بمعنى إخضاع العلم لآراء سابقة.

(2) روبرت م. أغروس وجورج ن. ستانسيو، العلم في منظوره الجديد . ترجمة: كمال خلايلي المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت: 1409هـ/1989م ص139

(3) عبد المنعم محمد حسين، العلم الطبيعي ومنهجه بين الرؤية الفلسفية والرؤية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1990 ص147

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ(16)﴾[1].وقال عز وجل أيضا:﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(99)﴾ [2]

على أن الإشارة ولفت النظر إلى الجمال المبثوث في السماوات والأرض لم يقصده القرآن لذاته، بل إنه وارد في سياق التنبيه والتذكير تارة، وفي سياق الدعوة إلى الإيمان بالله وأخرى دعوة للإيمان بالبعث، وفي مواضع أخرى دعوة للإيمان عموما دون تخصيص قضية بعينها، ومن أمثلة لفت النظر إلى جمال مخلوقات الله المقترنة بالدعوة إلى الإيمان بالله قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ(2)وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(3) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(4)﴾ [3]، ومن أمثلة ما جاء مقترنا بالدعوة إلى الإيمان بالبعث، قوله عز وجل: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ(6)وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(7)تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ(8)وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9)وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ(10) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ

(1)سورة الحجر الآية 16

(2)سورة الأنعام الآية 99

(3)سورة الرعد الآية 2- 4

الْخُرُوجُ(11)﴾ [1]. ولم يكن التنبيه إلى ما في آلاء الله تعالى من جمال بقصد الدعوة إلى الإيمان وحسب، بل هذا التنبيه جاء مقترنا أيضا بالدعوة إلى التمتع والانتفاع بما بسط الله من رزق، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (141)﴾ [2].

والذي نخلص إليه من هذا أن الجمال ينبغي أن يكون مصاحبا لكل جهد إنساني مهما كانت طبيعته، وأن الجمال من مقومات خلافة الإنسان.

المطلب الخامس: التسخير

آفاق الكون كلها مسخرة للإنسان، قال الله عز وجل: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(12)﴾[3]،وقوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ(15) ﴾[4]. وهذا التسخير من شأنه أن يترع الهيبة والخوف من آفاق الكون ومشاهد الطبيعة من نفسية الإنسان، ويشجعه على عمارة الأرض.

(1)سورة ق الآية 6-11

(2)سورة الأنعام الآية 141

(3)سورة النحل الآية 12

(4)سورة الملك الآية /15

المبحث الثاني:سننية الآفاق

أ-المطلب الأول :مفهوم السنة

السنة في اللغة: جاء في لسان العرب: "السنة: الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل فلان من أهل السنة معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة، وهي مأخوذة من السنن أي الطريق... وسنن الرجل قصده وهمته"[1] .

وجاء في مختار الصحاح: "السنن الطريقة ؛ يقال: استقام فلان على سنن واحد، ويقال امض على سننك، أي على وجهك"[2] .

وجاء في كشاف اصطلاحات الفنون:" السنة في اللغة، الطريقة حسنة كانت أو سيئة"[3]

ومنه فالسنة هي الطريقة المحمودة، فإذا أطلقت انصرفت إليها، وقد تطلق على الطريقة المذمومة، لكنها ترد عند ذاك مقيدة، ومن هذا القبيل، قوله ﷺ:" من سن في الإسلام سنة حسنة فعُمل بها بعده كتب له أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعُمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء"[4]، وقد تشير إلى الطريقة المحمودة، وتطلق عندها في مقابل البدعة: فيقال: فلان على سنة، إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي ﷺ...ويقال فلان على بدعة، إذا عمل على خلاف ذلك، وكأن هذا الإطلاق إنما اعتبر فيه عمل صاحب الشريعة[5]، مثل

---

(1) لسان العرب ج7 ص280، 281

(2) مختار الصحاح ص 317

(3)محمد علي الفاروقي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبد البديع. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة: 1977، ج4 ص53.

(4) أخرجه مسلم عن جرير بن عبد الله . كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، رقم 6695، ص 1317

(5) إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة. ط3 دار المعرفة، بيروت:1417هـ/1997م،ج4 ص 390

قوله ﷺمن حديث العرباض بن سارية: " ... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ" [1]، وللسنة إطلاقات عدة نذكر منها:

أولا: عند الأصوليين :" تطلق على ما صدر عن الرسول من الأدلة الشرعية مما ليس بمتلو، ولا هو معجز، ولا داخل في المعجز"[2] .

ثانيا: عند الفقهاء :عرفها الشوكاني بقوله:" وأما في عرف أهل الفقه فإنما يطلقونها على ما ليس بواجب"[3].

ثالثا: عند المحدثين: هي أقوال وأفعال وتقريرات الرسول ﷺ وصفاته الخلقية والخلقية

السنة في القرآن الكريم: ورد ت كلمة السنة في القرآن الكريم ست عشرة مرة، منها اثنان بالجمع وهما في قوله عز وجل: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**(137).﴾ [4]

وقوله عز وجل: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**(26) ﴾[5] .

أما المرات الباقية فوردت مفردة،ومن أمثلة ذلك قوله عز وجل: ﴿**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا**(55)﴾[6]

---

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب اتباع سنة الخلفاء،.ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجة، ط3 المكتب الإسلامي، بيروت:1408هـ/1988م ، ج1 ص13

(2) سيف الدين الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت ج1 ص145

(3)محمد بن علي بن محمد الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم لأصول، تحقيق: أبي مصعب محمد سعيد البدري.ط2، موسسة الكتب الثقافية، بيروت:1413هـ/ 1993م ،ص67.

(4)سورة آل عمران الآية 137

(5)سورة النساء الآية 26

(6)سورة الكهف الآية 55

وقوله عز وجل أيضا ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا(38)﴾ [1].

وقوله ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا(62)﴾ [2].

وقوله تعالى: ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا(43)﴾ [3].

وعند التأمل في هذه الآيات الكريمة يتبين أن معنى السنة الوارد في هذه الآيات لا يخرج عن معنى واحد وهو عاقبة ومصير من ترك أمر الله تعالى، إلا أن أهل التفسير اختلفوا في تفسير الآية من سورة النساء وهي قوله عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(26)﴾ [4]، حيث ذكر ابن كثير أن كلمة السنة في هذه الآية تشير إلى شرائع الأمم السابقة، بينما ذهب القرطبي إلى معنى مخالف،حيث قال: " أي يريد الله أن يبين لكم كيفية طاعته، " ويهديكم " يعرفكم " سنن الذين من قبلكم " أنهم لما تركوا أمري كيف عاقبتهم، وأنكم إن إذا فعلتم ذلك لا أعاقبكم، ولكني أتوب عليكم" [5] اهـ. والذي ذهب إليه القرطبي هو ما نميل إليه ونرجحه .

وعليه فكلمة السنة في القرآن الكريم واردة في شأن المجتمع الإنساني، ولم ترد في شأن باقي الموجودات، على أن هذا لا يدفعنا إلى القول بأن الحديث عن سنن في الآفاق هو من باب تحميل الآيات القرآنية ما لا تحتمل، وعدم وجاهة هذا القول يرجع إلى كون عدم ذكر السنة وربطها بالآفاق ليس نفيا لها، ولأن الآيات التي تتحدث عن السنن في الآفاق كثيرة

---

(1)سورة الأحزاب الآية 38

(2)سورة الأحزاب الآية 62

(3)سورة فاطر الآية 43

(4)سورة النساء الآية 26

(5) القرطبي، ج5، ص153.

وتعد بالمئات، حيث ينبغي التفريق بين الآيات التي وردت فيها كلمة السنة والآيات التي تتحدث عن السنن.

وللدارسين والمهتمين بهذا الشأن تعريفات مختلفة" للسنة" ومن هذه التعريفات:

- تعريف عبد الكريم زيدان: "الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم

وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"[1]،

ويبدو هذا التعريف ليس جامعا لأنه اقتصر على سنن الله عز وجل في المجتمع البشري، وأهمل سنن الآفاق.

- تعريف أحمد كنعان: "مجموعة من القوانين التي سنها الله عز وجل لهذا الوجود وأخضع لها مخلوقاته جميعا على اختلاف أنواعها وتبا ين أجنسها"[2]، وهذا التعريف يظهر أنه أعم من التعريف الذي قدمه عبد الكريم زيدان لإدخاله جميع المخلوقات على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها، لكننا نحسب أن الاصطلاح على السنة بأنها قانون من غير قيد خروج بها عن معناها الذي وضعت له.

وبناء على ما بدا لنا من نقص في التعاريف السابقة رأينا تقديم تعريف نراه أكثر مناسبة لما نحن بصدده، فالسنة في نظرنا: **هي قوانين كلية جارية بإرادة الله باطراد شاملة لمخلوقاته** .

فهي قانون كلي، ووصفنا للقانون بأنه كلي هو تمييز له عن القوانين التي يتوصل إليها الإنسان بمجهوده، فهذا الأخير مهما بلغ من التعميم فإنه يبقى جزئيا، وهو أيضا نسبي وقابل

---

(1) عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية. ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1417هـ/1996م، ص13

(2) أحمد كنعان، أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق .ط1، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة: 1411هـ/1990م. ص52

لأن يزاد فيه أو ينقص، فهو ليس بالضرورة تعبيرا عما هو موجود بالفعل في العالم الخارجي، بل قد يكون تعبيرا عن مرحلة معينة وصل إليها الوعي الإنساني بمحيطه أو بجزئية منه،"فالحقائق العلمية حتى وإن بدت لنا شبه مؤكدة، هي مجرد احتمالات راجحة وليست قطعية الدلالة ولا مطلقة الصدق واليقين. إن الحقائق القطعية المطلقة في هذا الكون هي سنن الله التي لا يملكها إلا هو سبحانه بحكم ألوهيته المهيمنة على الكون كله، وبحكم علمه المحيط غير المقيد بالزمان والمكان، وبحكم أنه سبحانه هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهي الصفات اللازمة لعلم الحقيقة القطعية المطلقة ... وهي الحقيقة التي يقص الله منها في كتابه ما يشاء، ومن ثم لا تحتاج إلى برهان خارج عنها، أو يطلع عباده على أجزاء منها بقدر ما يناسب مقدرتهم على تسخيرها اللازم لأداء أمانة الخلافة وإعمار الحياة على الأرض " [1]، على أن هذا لا يعني التقليل من قيمة ما يتوصل إليه الإنسان في بحثه المستمر، بل إن هذا يمثل دفعا له حتى يستمر في بحثه، ولا يركن إلى النتائج التي وصل إليها، فالسنة الإلهية إذن قانون كلي عام شامل ومطلق، فهي تعبير عن إرادة الله السارية على جميع المخلوقات.

المطلب الثاني :خصائص السنن

يبدو البحث في خصائص السنن في تقديرنا واحدا من الشروط اللازمة للتعرف عليها حق المعرفة، ونقصد بهذه الخصائص ما تتصف به هذه السنن على الجملة، من جهة أن القول بهذه الخصائص يفترض انتظام هذه السنن واندراجها في هيكل واحد، فما هي هذه الخصائص يا ترى، وما آثارها على فهمنا للسنن ؟

1-**الربانية:** هذا يعني أن سنن الآفاق لا تعمل باستقلال إنما هي تعمل وفق إرادة الله تعالى، هذا يشير إلى حقيقة مفادها أن السنن محكومة بإرادة الله تعالى، وليست إرادة الله هي التي تسير وفق هذه السنن، فهذه السنن تعبير عن إرادة الله الشاملة، والحديث عن إرادة الله الشاملة هو تأكيد على نفي أي متصرف آخر غير الله تعالى، وليس لأحد القدرة على تغيير

(1) أحمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية في الفكر العلمي . ص171

سنن الله، قال الله عز وجل: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا(43)﴾[1]، وإرادة الله هي الضامنة لسير السنن، فهي لما كانت مخلوقة، كانت في حاجة دائما لخالقها، إذ المخلوق لا يستغني عن خالقه في أية لحظة من لحظات وجوده، وهي زيادة على هذا مفطورة على التوجه إلى الله شاءت ذلك أم أبت، ومنقادة إليه طوعا أو كرها، قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ(11)﴾ [2]، وهذا الانقياد الطوعي وغير الطوعي شامل لجميع المخلوقات، وحتى الإنسان، فمع أن له من الإرادة ما يمكنه من مخالفة أمر خالقه بحكم كونه مكلفا له الخيرة من أمره، إن شاء أطاع وإن شاء عصى، إلا أنه في نهاية أمره لا يجد مناصا من الخضوع، بل إنه لا يجد الطمأنينة في نفسه والانسجام مع ما حوله إلا في الخضوع، قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ(22)﴾ [3]، ففي الآية نص على الإنسان دائما في حاجة إلى من يتوجه إليه بالدعاء .

ومن لوازم ربانية السنن أن مصيرها ومنتهاها إلى الله، فلما كانت السنن من وضع الله عز وجل ومدينة باستمرارها له، وليس لها أن تخرج عن طوعه، فإنها أيضا منتهية إليه شأنها شأن سائر مخلوقاته، وهذا لقوله عز وجل: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ(42)﴾ [4]، وحضور هذه الفكرة باستمرار في ذهن المسلم كفيل بأن يعمق شعوره بوحدة المصير الذي

(1)سورة فاطر الآية 43

(2) سورة فصلت الآية11

(3)سورة يونس الآية 22

(4)سورة النجم الآية 42

يجمعه بما حوله، وبانضمام وحدة المصير إلى وحدة المبدأ تكتمل صورة سنن الآفاق في ذهنه ويستبين الموقف الذي عليه أن يقفه والسلوك الذي عليه أن يسلكه .

2- **الاطراد**: اطَّرَدَ الشيء: تبع بعضه بعضا وجرى، واطَّرَد الأمر: استقام، واطَّرَدَت الأشياء إذا تبع بعضها بعضا[1]. واضطراد السنن يقصد منه حدوثها، وتتابعها وعدم تخلفها إذا توفرت شروطها، ولم يكن ثمة ما يحول دون تحقيقها...فهي تمضي إلى غايتها كلما وفرنا شروطها[2].

وقد سبقت الإشارة إلى أن حديث القرآن الكريم عن سنن الاجتماع البشري جاء واضحا وصريحا، ومقترنا بكلمة" السنة"، وتبين لنا أن هذا لا يعني أن القرآن الكريم لم يتحدث عن السنن الكونية، بل إن حديثه كان حديثا مطولا أيضا وإن لم يقترن بلفظة" السنة"، ويمكن تبين هذا من خلال آيات قرآنية كثيرة، مثل قوله عز وجل:﴿**وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(5)**﴾ [3]، فاهتزاز الأرض وإنباتها من كل زوج بهيج، تبع همود الأرض، وذلك بعد إنزال الماء عليها، حيث إن الماء هنا سبب في الإنبات بإذن الله، و"إذا" هنا فيها معنى الشرط، وكذلك في قوله عز وجل:﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(39)**﴾ [4]، فهذه سنة من سنن الله الجارية في إنبات النبات من الأرض بعد إنزال المطر عليها، وهي سنة لا تتخلف بإذنه تعالى إن توفرت شروطها. ومن هذا قوله عز وجل أيضا: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ(**

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج9 ص 101

(2) أحمد كنعان، أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، ص78، 79.

(3) سورة الحج، الآية 5.

(4) سورة فصلت، الآية 39.

يُبْصِرُونَ(27)﴾ [1]، ومنها أيضا جريان السحب بتأثير الريح كما قوله تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(57)﴾ [2]، وهناك آيات أخرى كثيرة تتحدث عن سنن كونية مختلفة قدره الله عز وجل، وأراد لها أن تعمل على هذه الصورة من الاطراد لكي يستمر أمر الخلق، ويستطيع الإنسان تسخير ما في الكون من شؤون حياته[3].

وسير هذه السنن باطراد وفق قانون الأسباب والمسببات، لا يعني أن إرادة الله خاضعة لهذه الأسباب ولا تعمل إلا في إطارها، بل على العكس من ذلك ؛ إذ أن نظام الأسباب يكتسب مصداقيته إذا أسند إلى الله عز وجل، فهو الضامن لسيرها على منوال واحد.

ولقد كانت العلاقة بين إرادة الله تعالى والعلاقات السببية في آفاق الكون مدخلا لمباحث خاض فيها كثير من علماء المسلمين، وربطوها بأصول الإيمان، كما بحثها غيرهم لدواعي أخرى، خاصة في الفلسفة الحديثة.

ولعل أهم موقف جدير بالوقوف عنده، ما ذهب إليه أبو حامد الغزالي من نفي الضرورة المنطقية في العلاقة بين السبب والمسبب، حيث رأى بأن "الاقتران بين ما يعتقد في العادة سببا، وبين ما يعتقد مسببا، ليس ضروريا عندنا، بل كل شيئين، ليس هذا ذاك، ولا ذاك هذا، ولا إثبات أحدهما متضمنا لإثبات الآخر، ولا نفيه متضمنا لنفي الآخر، فليس من ضرورة وجود أحدهما، وجود الآخر، ولا من ضرورة عدم أحدهما، عدم الآخر، مثل الري والشرب، والشبع والأكل، والاحتراق ولقاء النار...فإن اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه، بخلقها على التساوق لا لكونه ضروريا في نفسه، غير قابل للفوت، بل في المقدور

(1) سورة السجدة الآية 27.

(2) سورة الأعراف الآية 57.

(3) منتصر محمود مجاهد، أسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة: 1417هـ/1996م ص137.

خلق الشبع دون الأكل وخلق الموت دون جز الرقبة، وإدامة الحياة مع جز الرقبة، وهلم إلى جميع المقترنات"[1]، والذي دفع أبا حامد الغزالي إلى هذا الموقف، هو ظنه أن القول بالضرورة في التلازم بين الأسباب والمسببات، من شأنه أن يؤدي إلى نفي المعجزات، فما دام هذا التلازم ضروريا ضرورة عقلية لا تتخلف، بمعنى أن هذه الضرورة ينطبق عليها مبدأ الذاتية، وعليه لا مجال للحديث عن خرقها لأن إرادة الله عز وجل لا تتعلق بالمستحيلات العقلية[2]، ومن ثم؛ فإن رفض أبي حامد هذا التلازم كان لأجل فتح الباب أمام المعجزات[3]. ولقد وجدت هذه الفكرة صدى بسرعة في أوساط متكلمي الأشعرية خاصة، وأصبح القول بتأثير ما لشيء من الكائنات مدخلا للكفر، سواء بالإيجاب الذاتي[4]، أو بالربط العادي، يقول أبو عبد الله السنوسي[5]: "والربط العادي وهو أصل كفر الطبائعيين، ومن تبعهم من جهلة المؤمنين، فرأوا ارتباط الشبع بالأكل، والري بالماء وستر العورة بلبس الثياب، والضوء بالشمس ونحو ذلك، مما لا ينحصر ففهموا من جهلهم، أن تلك الأشياء هي

---

(1) أبو حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة. تحقيق: سليمان دنيا، ط4، دار المعارف، القاهرة، [دت] ص239. وتجدر الإشارة إلى أن رأي أبي حامد الغزالي في السببية له صلة وثيقة بنظرية الأشاعرة في الخلق المستمر، كما له صلة بنظريتهم في الكسب. ويمكن القول بأن الأشاعرة فسروا السببية بالخلق المستمر على اعتبار أن الله تعالى يخلق الأسباب ومسبباتها على الدوام، حيث أن الإرادة الإلهية تتدخل في كل آن.

(2) يقسم الأشاعرة الأحكام إلى ثلاثة أقسام: الحكم الشرعي، الحكم العقلي والحكم العادي، ثم جعلوا إثبات الربط بين أمر وأمر وجودا أو عدما بواسطة تكرر الأمرين بينهما على الحس، من قبيل الحكم العادي ، أي أن القضايا الحسية قضايا عادية وليست قضايا عقلية ينطبق عليها مبدأ الذاتية، ويستحيل خرقها بالمعجزات، وخطأوا من جعل الأحكام العادية أحكاما عقلية ورموه بالشرك العظيم. أبو عبد الله السنوسي، شرح أم البراهين في علم الكلام، تحقيق: مصطفى محمد الغماري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1989م، ص 21،22

(3) المصدر نفسه، ص 246.

(4) قال أبو عبد الله السنوسي في شرحه للإيجاب الذاتي: جعل الذات العلية فاعلة بمقتضى الإيجاب بالذات، شرح أم البراهين ،ص 77.

(5) هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، ولد سنة 832هـ وتوفي سنة895هـ، كان فقيها ومفسرا ومحدثا ومتصوفا، ترك مؤلفات عدة، ومن أهمها في العقائد: أم البراهين المعروفة بالعقيدة الصغرى، وله شرح عليها .

المؤثرة فيما ارتبط وجوده معها، إما بطبعها أو بقوة وضعها الله تعالى فيها"[1]، والبديل الذي جاء به أصحاب هذه الفكرة هو القول بأن هذا التلازم تلازم عادي لا ضرورة فيه، بمعنى أن "ارتباط الصفات بالموجودات إنما تتشكل في أذهاننا نتيجة العادة، فقد اعتدنا أن نرى النار تحرق والسكين تقطع، فارتبطت في أذهاننا هذه الصفات بهذه الموجودات ارتباط عادة"[2].

وبغض النظر عن الملابسات التاريخية التي ظهر فيها القول بالعادة[3]، من شيوع بعض الآراء التي تعود في أصلها إلى الفلسفة اليونانية الوثنية، وما انجر عنه من ردود المتكلمين عليها، فإن القرآن الكريم نفسه-ظواهر النصوص على الأقل- تفيد بوقوع الشيء"بـــ" وليس "عند"، ومن ثم يصبح القول بوقوع الشيء " عند " بمثابة تأويل بعيد لنصوص القرآن الكريم، ومن أمثلة هذه النصوص، قوله عز وجل:﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ(32)**﴾ [4]، وقوله عز وجل: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**

---

(1) السنوسي، شرح أم البراهين في علم الكلام، ص77، 78

(2) أحمد كنعان أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، ص79.

(3) وجـــه ابن رشد (الحفيد) في كتابه تهافت التهافت نقدا شديدا لفكرة العادة، حيث قال:" ...وإلا فما أدري ما يريدون باسم العادة؟ هل يريدون أنها عادة الفاعل(= الله)، أو عادة الموجودات، أو عادتنا عند الحكم على الموجودات. 1- ومحـــال أن يكون لله عادة : فإن العادة ملكة يكتسبها الفاعل، توجب تكرر الفعل منه على الأكثر؛ والله عز وجل يقـــول" ولـــن تجد لسنة الله تبديلا(الأحزاب 62) " ولن تجد لسنة الله تحويلا (فاطر 43) . 2- وإن أرادوا أنها عادة للموجـــودات، فالعادة لا تكون إلا لذي نفس، وإن كانت في غير ذي نفس فهي في الحقيقة طبيعة، وهذا غير ممكن؛ أعـــني: أن يكون للموجودات طبيعة تقتضي الشيء، وإما ضروريا وإما أكثريا. 3- وإما أن تكون عادة لنا في الحكم علـــى الموجودات، فمن هذه العادة ليست شيئا أكثر من فعل العقل الذي يقتضيه طبعه، وبه صار العقل عقلا. وليس تنكر الفلاسفة مثل هذه العادة ، فهو لفظ مموه، إذا حقق لم يكن تحته معنى، إلا أنه فعل وضعي: مثل ما نقول جرت عـــادة فلان أن يفعل كذا وكذان يريد أنه يفعله في الأكثر. وإن كان هذا هكذا كانت الموجودات كلها وضعية، و لم يكـــن هـــنالك حكمة أصلا من قبلها ينسب على الفاعل أنه حكيم." أبو الوليد بن رشد، تهافت التهافت ط1 مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: 1998، ص507، 508.

(4) سورة إبراهيم الآية 32

﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ(10)يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(11)﴾ [1]، ففي هاتين الآيتين تقرير صريح أن الإنبات "بـــ" وليس "عند".

وإذا كان أصحاب هذا الرأي إنما لجأوا إليه ليفسحوا المجال أمام الإرادة الإلهية، فإن هذه الأخيرة في حقيقة الأمر ليست في حاجة إلى ذلك، بالنظر إلى كونها هي المهيمنة، وإرادة الله هي التي اقتضت اطراد السنن، ولو قلنا غير هذا لجعلنا إرادة الله هي الخاضعة للسنن، وهذا محال ولا يستقيم البتة. ثم إن جعل هذه المسألة تمتد آثارها إلى الإيمان، فلم لا يقال إن النفي هو القادح في الإيمان وليس العكس، وهذا ما رآه فيما بعد "هيوم"[2] حين نفى الضرورة المنطقية بين السبب والمسبب، على اعتبار أن إثبات العلية يجر إلى إثبات علة أولى، وهو ما لم يكن يرغب فيه، بمعنى أن النفي هنا صار مدخلا للإلحاد وليس للإيمان.

وعل ذلك فالقول باطراد السنن ليس فيه ما يمس إيمان المؤمن أو يخدشه، حيث يبقى الاطراد هو الأصل، وأما المعجزات الإلهية فيمكن عدها من قبيل السنن الخارقة، "والله عز وجل لم يرد لبني البشر أو للمكلفين عموما أن يعيشوا بسنن الله الخارقة تحكمهم وتوجه مسارهم من غير إرادة منهم، أو مجهود يبذلونه"[3].

---

(1) سورة النحل الآيتين 10، 11

(2) دفيد هيوم(1711م- 1776) فيلسوف ومؤرخ إنجليزي، صاحب نزعة حسية مغالية، اشتهر بنقده لفكرة العلية، قال بالدين الطبيعي. عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت: 1984.

ج2 ص 611- 619

(3) محمدي محمد محمد عاشور، السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم أصول وضوابط، رسالة دكتوراه مخطوطة، كلية الآداب جامعة عين شمس، ص 27

والحديث عن الاطراد في السنن يجر لا محالة إلى الحديث عن الحتمية[1]، وإلى قيمة هذه الحتمية في التنبؤ[2]، فإذا كان الله عز وجل أمر بالنظر في تاريخ الأولين لاستخلاص

---

(1) ورد اللفظ " حتم" في القرآن الكريم في قوله تعالى:" وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا(71)" (مريم 71)، والحتمية " العلمية " واحد من المصطلحات التي أثارت وما زالت تثير جدلا واسعا في أوساط العلماء والفلاسفة على حد سواء، وقد بحث المسلمون القدامى مشكلة الحتمية في المجال الإنساني ولكن تحت مسمى آخر وهو " الجبرية" ، وهي تختلف عن الحتمية في كون الجبرية تسند ما يحدث في الكون إلى الإرادة الإلهية، بينما الحتمية في نطاق العلم الطبيعي(الحتمية العلمية) ترى أن الكون نظام مغلق على نفسه مكتف بعلله الداخلية، أي ليس في حاجة إلى تدخل الإرادة الإلهية.... والحتمية العلمية تعني عمومية القوانين الطبيعية وثبوتها واطرادها، فلا تخلف ولا مصادفة، كما تعني أن نظام الكون ثابت شامل ومطرد، كل ظاهرة من ظواهره مقيدة بشروط تلزم حدوثها اضطرارا، وأن كل ما يحدث لابد وأن يحدث، ويستحيل أن يحدث سواه. وحدوث هذه الظواهر ليس فيه مراعاة لمشاعر الإنسان أو رغباته، كم أنها لا تستجيب للدعاء، وهي بعيدة كل البعد عن كل معاني الغائية . يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية، دار قباء، القاهرة : 2001م ص 56-61

وقد تعرضت الحتمية إلى هزات عنيفة خاصة مع اقتحام علوم الفيزياء لمجالات أرحب مما كان في السابق، ويمكن اعتبار ميكانيكا الكم بمثابة المدخل الحاسم في الثورة على الحتمية، وفتح الباب أمام اللاحتمية، لكن هذا لا يجر إلى الاعتقاد أن انهيار الحتمية بالمعنى الذي كان سائدا في الفيزياء الكلاسيكية يؤدي لا محالة إلى الوقوع في المصادفة، فهذا أمر مستبعد، وإنما أدى إلى الاحتمالية.

والذي نرى ضرورة التذكير به أن العناية بهذا الجانب من قبل علماء العقيدة قليل جدا بل يمكن عده نادرا، ذلك أنه من الواجب تبيين هذا الأمر وتوضيحه من الناحية العقدية، ولنا في علمائنا القدامى قدوة في بحث كل ما يمس عقيدة المؤمن، ولعل أقرب نموذج هو أبو حامد الغزالي في رفضه لفكرة العلية الأرسطية، وبغض النظر عن طبيعة الإجابات التي قدمها، إلا أن استجابته في حد ذاتها ذات قيمة كبيرة، ثم إن هذا أيضا ينبغي أن يصاحبه جهد مواز من قبل العلماء من ذوي الاختصاص في هذه العلوم من المتشبعين بروح القرآن من أجل إعطاء صورة واضحة عن المسارات التي سلكتها هذه العلوم، والمساهمة فيها بدافع الإيمان.

(2) التنبؤ وثيق الصلة بالحتمية، فالتسلسل العلي القائم على العلاقات الضرورية يجعل الإحاطة بشروط الحاضر مقدمة لمعرفة المستقبل، فنفس الشروط تترتب عليها النتائج نفسها. والعلم يصبح كذلك إذا أمكن الانطلاق من نتائجه في توقع ما سيحدث بناء على المعطيات المتوفرة.

والتنبؤ وثيق الصلة بالتسخير أيضا، وهو يطال مختلف المجالات، حيث يمكن زيادة تسخير بعض المسخرات انطلاقا من هذه الفكرة، ومثال ذلك، علم المناخ الذي هو علم توقعي، حيث يمكن الانطلاق من نتائجه في تفادي كثير من الكوارث التي تجلبها الفيضانات والأعاصير وغيرها، إضافة إلى الاستفادة من ذلك في الزراعة، وغير هذا كثير.

العبر، بمعنى أن السلوك السيئ الذي سلكه الأولون وكان سببا في هلاكهم، سيؤدي تكراره من قبل قوم معينين إلى هلاكهم حتما، وهذا الأمر أوضح ما يكون بالنسبة للسنن الكونية، والنظر إلى السنن على أنها تحدث في المستقبل على الوجه الذي حدثت به في الماضي، له فائدته الكبرى في زيادة علم الإنسان بآفاق الكون، وفائدته تكمن خاصة في القدرة على التنبؤ، ذلك لأن "التنبؤ يدخل في كل فعل من السلوك الإنساني الذي يتضمن اختيارا قصديا. إذ بدونه لأصبح كل من العلم والحياة اليومية ضربا من المستحيل "[1].

وليس في القول باطراد هذه السنن وسيرها وفق نظام من الأسباب لا يتخلف، ما يؤدي على القول بحتميتها حتمية طبيعية تستبطن مادية طاغية، ترفض الاعتراف بتدخل الإرادة الإلهية، بل إن هذا الاطراد الحتمي يسير وفق الإرادة الإلهية ،والسير الحتمي لهذه السنن يتم بتقدير الله عز وجل، وهو الضامن لثباتها، قال عز وجل:﴿ **وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ(39)لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ(40)**﴾[2] ، لكن الحتمية لا تحد من الإرادة الإلهية، قال عز وجل:﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(40)**﴾[3].

فالله عز وجل هو الذي خلق آفاق الكون، وهو الذي بث فيها هذه السنن، وجعلها لا تشذ عنها، ولا تنحرف وذلك بمقتضى الحكمة في الخلق التي تتنافى مع العبثية والتفاوت والاضطراب[4].

3- **الحياد:** وهو أن سنن الله عز وجل مستقلة عن آمال الناس وآلامهم، فهي محايدة ولا تحابي أحدا، سواء في الكشف أو التسخير، فهي لا تنكشف لأناس دون آخرين من غير

---

(1) السيد نفادي، السببية في العلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: 1998، ص186.

(2) سورة يس الآية 39، 40

(3) سورة النحل الآية 40

(4) عرفان عبد الحميد،" خصائص المنهج العلمي ومقارباته في القرآن الكريم" مجلة التجديد، العدد 1، السنة1 ص 37

بذل جهد في كشفها، بل إنها تنكشف لكل من سعى في التعرف إليها وقدم لذلك الأسباب اللازمة والشروط الكافية، كما أنها تسخر وتستثمر بعد الجهد، وتستعصي على كل من لم يأخذ بأسباب تسخيرها، وفي هذا سد لباب الزعم أن سنن آفاق الكون قد تنكشف وتثمر في يد المؤمن لمجرد إيمانه، وقد أكذب الله عز وجل اليهود والنصارى حين ادعوا أنهم اقرب إلى الله من غيرهم دون أن يكون ذلك مشفوعا بحسن الإتباع لشرع الله، قال عز وجل: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ(18)﴾ [1] فهم كسائر الناس، يسري عليهم ما يسري على غيرهم، فلا يكفي مجرد الانتساب للشيء لتحصيل شرفه دون عمل.

لكن في مقابل ذلك تكون ثمرة الاستكشاف والتسخير في يد المؤمن أفضل وأكمل حين يقدم لها أسبابها وشرائطها، ذلك أن عنصرا آخر يتدخل في هذه الحال، وهو الدعاء، قال عز وجل:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ(60)﴾ [2].

والحياد من جانب السنن ينبغي أن يقابل بانحياد والموضوعية[3] في طرق الكشف ومسالك الفهم من قبل كل من يتصدى إلى هذه المهمة، فالسنة محايدة في أصلها، لكن

(1) سورة المائدة الآية 18

(2) سورة غافر الآية 60

(3) يتفق جميع الدارسين على قيمة الموضوعية في البحث ؛ سواء في مجال البحث في العلوم الطبيعية أو في العلوم الإنسانية، كما يتفقون على أن نسبة تحققها في الأولى أكبر من تحققها في الثانية، لأسباب تتعلق بطبيعة الظاهرة الإنسانية نفسها، لكن مفهوم الموضوعية نفسه يخضع إلى تاويلات متباينة، وتتجاذبه مواقف مختلفة، ومن بين أسباب هذا التباين ما يقال في أن الموضوعية تشترط مسبقا التخلي عن العقيدة مثلا، على اعتبار أنها تمثل موقفا قبليا يشكل عائقا معرفيا، ونحسب أن هذا الشرط ليس ضروريا دائما، فليس من يستصحب " التوحيد" باعتباره الموجه في البحث الذي يساعد في الاقتصاد في التفكير والجهد كمن يستصحب " الوثنية"، وهذا كما يصدق في ميدان البحث في العلوم الإنسانية يصدق أيضا في ميدان البحث في علوم الطبيعة، لا فرق بينهما في ذلك.

النظرة الذاتية من الباحث فيها قد تطغى وتصبح عاملا معرقلا في الكشف عن الحقيقة، ومثال ذلك ما شاع في أوساط علماء الطبيعة في الغرب، -وخاصة في القرن التاسع عشر- من قصرهم الوجود الكوني على ما هو مشاهد وحسب، حيث نفوا الوجود غير المادي وغير المشاهد، وهذا تبعا لمذاهبهم المادية التي فرضت عليهم المسالك التي يجب أن يوجهوا إليها أنظارهم في البحث، حيث إن المناخ العقدي والفلسفي يفرض هيمنته على الباحث، ويجعله يسير في فلكه، ومن ثم تكون صياغة القوانين المكتشفة متأثرة بهذا المناخ، فالجهد "المبذول نحو تحصيل العلوم الطبيعية، ومنذ التخطيط الأولي لإجراء التجارب المعملية حتى صياغة القوانين العامة والنظريات الأساسية : هو مجهود بشري عليه سمات العاملين عليه، وبصفة خاصة يعكس بوضوح مواقف عقدية وإضافات فكرية وظلالا فلسفية ليست ضرورية لاستيعابه ورعايته وتطويره"[1]، وإذا كان الأمر على هذه الصفة، فإن الميل إلى هذا الطرح يمكن وصفه بالتحيز[2]، فلم يكون هذا الموقف صحيحا، وغيره مواقف مخطئة.

إن ما ينطبق على هذه القضية يمكن أن ينطبق على غيرها، وما يقال في صياغة قانون واحد، يقال في غيره.

وبناء على هذا يمكن فهم الحياد مع السنن على أنه تجرد في فهمها، لكن هذا التجرد ينبغي أن يكون مصحوبا بالإيمان الذي يبلور مواقف أخلاقية بناءة من هذه السنن، سواء في الفهم أو التسخير والذي نخلص إليه أن آفاق الكون بما اشتملت عليه. خلقها الله تعالى على الوجه الذي يمكن الإنسان أن يحيا فيها وأن يسعى في دروبها، ولتيسير ذلك جعلها الله تعالى

---

(1) محجوب عبيد طه، عقائد فلسفية خلف صياغة القوانين الطبيعية، بحث منشور ضمن سلسلة: إشكالية التحيز؛ رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، محور العلوم الطبيعية. تحرير: عبد الوهاب المسيري، ط3، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: 1418هـ/1998م ص39.

(2) يفترض القائل بالتحيز في ميادين العلوم المختلفة أن كثيرا من القوانين في العلوم الفيزيائية أو الهندسة أو الطب أو غيرها من العلوم تتحصن بموضوعية موهومة- وهي للأسف تلقى قبولا كبيرا - بينما هي في أصلها خاضعة للعقائد الفلسفية، والتعصبات القومية ،- ومن بينها المركزية الأوربية- ومن ثم فما يراد لها من عالمية مجرد تعميم لإجابات قدمت في حضارة معينة لتكون إجابة عن اهتمامات باقي الحضارات. إشكالية التحيز ، محور العلوم الطبيعية ، ص9.

تسير في نطاق سنن لا تحيد عنها، وهذه السنن بدورها مخلوقة لله تعالى، والإنسان ليحقق استخلافه، عليه مراعاتها والسير بمقتضاها، ذلك أن التسخير الذي هو تعبير عن وجه من وجوه الاستخلاف التي لا يكتمل إلا بها ، يرتبط ارتباطا وثيقا بمستوى معرفة آفاق الكون، والإنسان إن لم يفعل ذلك باء جهده بالخسران، وهذه المعرفة المؤدية إلى التسخير ينبغي أن تتأسس على علاقة سليمة بآفاق الكون، حتى تكون معرفة تسخيرية. ومكانة التسخير المؤسس على معرفة ربانية ، المفضي إلى عمارة الأرض على أسس سليمة هو ما سنحاول بيان مكانته في استخلاف الإنسان في الأرض.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل السادس:

تسخير الآفاق وصلته بالاستخلاف.

المبحث الأول : مفهوم التسخير.

المبحث الثاني : ميادين التسخير.

المبحث الثالث : مستويات التسخير.

المبحث الرابع : ضوابط التسخير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

تبدو الصلة بين تسخير الآفاق وبين الاستخلاف صلة وثيقة، إذ لا يمكن الحديث عن الاستخلاف من دون تسخير، غير أن النموذج الاستخلافي محكوم هو الآخر بشكل التسخير وطبيعته، فإذا كان هذا الأخير يتجه إلى الموجودات بغرض استثمارها والانتفاع بها، فإن أي انحراف عن التسخير السليم يؤدي في النهاية إلى هلاك الإنسان نفسه، فقد يتجه الإنسان إلى المحيط الذي يعيش فيه بعدوانية، وينقض عليه انقضاض المفترس على فريسته، وقد يلحقه الكلل فينفر من معالجة محيطه الطبيعي، وينسى أن عليه السعي الدائم ليمارس استخلافه، من هنا كان البحث في متعلقات التسخير، فما مفهومه وميادينه؟ وما هي مستوياته وضوابطه؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:مفهوم التسخير.

المطلب الأول: مفهوم التسخير في اللغة

جاء في لسان العرب:"يقال سَخَرْتُهُ بمعنى سَخَّرْتُهُ أي قهرته ورجل سُخْرَة يُسَخَّرُ في الأعمال ويَتَسَخَّرُه من قهَره. وسَخَرَت السفينة أطاعت وجرت وطاب لها السير، والله سخَّرها تسخيرا .والتسخير التذليل. وسفن سواخر إذا أطاعت وطاب لها الريح، وكل ما ذل وانقاد أو تهيأ لك على ما تريد فقد سُخِّرَ لك"[1]، وجاء في مختار الصحاح:"سخَّرَه تسخيرا كلفه عملا بلا أجرة، وكذا تَسَخرَه، والتسخير أيضا التذليل"[2]. ومنه تكون المعاني التي تدور حولها كلمة التسخير في اللغة هي: القهر، الخدمة مجانا والتذليل.

المطلب الثاني:مفهوم التسخير في القرآن الكريم

ورد ت مادة "سخَّر" في القرآن الكريم(27) مرة وبصيغ مختلفة، وسنعرض لها مع بيان معانيها الموضعية بإيجاز، وهي كالتالي:

- الصيغة"**سخَّر**" وردت(16)مرة، ومثال هذا قوله عز وجل: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ(32)وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ(33)**﴾ [3] . والفعل سخَّر مقرون بـــ" لكم" في تسعة مواضع، ومنها التي ذكرت في هاتين الآيتين. وتسخير الله الفلك حاصل بإقدار الناس على صناعتها واستعمالها بإجرائها في البحر بمشيئة الله، وتسخير الأنهار بجعلها معدة لانتفاع الناس، حيث يتخذون منها جداول لسقي زروعهم وجناهم[4]، وكذا بالنسبة للشمس والقمر والليل والنهار حيث جعلت في خدمة الإنسان دون أي جهد منه.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب ج7 ص 145

(2) مختار الصحاح ص 290

(3)سورة إبراهيم الآية 33

(4) أبو السعود 48/5

-"سخرنا" وردت 3مرات ومثال ذلك قوله عز وجل: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ(79)﴾ [1]. وجملة سخرنا جاءت مقترنة بـــ " مع " مرة واحدة، وهي المذكورة في هذه الآية، ومقترنة بـــ"معه" في آية أخرى، وبـــ" له" في آية أخرى، والتسخير المذكور في المواضع الثلاثة تسخير خاص بداود وسليمان، مما يدل على أن هذا التسخير فيه زيادة على تسخير هذه الأشياء لغيرهما، ولنقل إنه تسخير تفضيلي، حيث فضل الله عز وجل هذين النبيين بهذا اللون من التسخير.

- "سخَّرناها"وردت مرة واحدة ؛ وهي قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(36)﴾ [2]. والتسخير هنا جاء في شأن البدن التي جعلها الله من شعائره، وتسخير البدن بتذليلها مع عظم أجرامها للتمكن من نحرها [3].

- "سخَّرها"وردت مرتين، ومنها قوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ(37)﴾ [4]. وهذه أيضا واردة في شأن البدن مثل الآية السابقة.

-"سُخْريا" وردت مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)﴾ [5]. ومعنى "سخريا" في هذه الآية مغاير لمعناها في سائر الآيات الأخرى، إذا فهمنا التسخير على أنه خدمة مجانية، حيث يظهر من السياق أن التسخير هنا ليس خدمة مجانية، وإنما أريد به تبادل المنافع بين الناس، حيث يستخدم بعضهم بعضا " حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا إلى

(1)سورة الأنبياء الآية 79

(2)سورة الحج الآية 36

(3)أبو البركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الفكر،ج3 ص 105ج3 ص 105

(4)سورة الحج الآية 37

(5)سورة الزخرف الآية 32

مرافقهم"[1]، فتسخير الناس لبعضهم بعضا معناه تطويع بعضهم لبعض، وهو ضرب من ضروب التسخير، وهذا مشاهد في حياة الناس، وهو من مقتضيات العمران؛ فلولا هذا ما كان هناك عمران أصلا.

-"المسخَّر"ووردت مرة واحدة، وهي في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(164)**﴾ [2].

- **مسخرات**: وردت 3 مرات، ومنها قوله عز وجل: ﴿**أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (79)**﴾ [3].

نستخلص مما سبق أن المعاني التي يدور حولها الجذر"سخر" هي:

1- **الخدمة مجانا**، 2- **الإقدار على الانتفاع بالشيء**، 3- **تطويع الشيء ليصبح قابلا للانتفاع به**، 4 - **تطويع الناس وجعل بعضهم منقادا لبعض**.

فهذه المعاني مجتمعة تغطي جميع أشكال العلاقة التسخيرية، سواء بين الإنسان وآفاق الكون، أو بين الإنسان وبين بني جنسه.

المطلب الثالث: المفردات المفيدة لمعنى التسخير في القرآن الكريم

وردت في القرآن الكريم مفردات تفيد معنى التسخير،منها:

-**التذليل**: وهذه الكلمة واردة في معرض من الله عز وجل على الإنسان بأن سخر له الأنعام، وعبر عن ذلك بالتذليل، لما في هذا التسخير من بلوغ الغاية في التصرف في الأنعام

(1)أبو السعود، 46/8

(2)سورة البقرة الآية 164

(3)سورة النحل الآية 79

بشتى ضروب الانتفاع، على ضآلة جرمه قياسا إلى جرم بعضها، جاء هذا في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ(71) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ(72)وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ(73)﴾ [1]، وكذلك تذليل الأرض بتيسير السير في دروبها وتسهيل زراعتها بمختلف صنوف الرزق، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ(15)﴾ [2].

-التمهيد: وهو جعلها كالمهد، تشبيها لها بالمهد الذي يجعل مرقدا للصبي، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى(53)﴾[3].

-التمكين: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ(10)﴾ [4].

وهناك مفردات أخرى ورد ذكرها في القرآن الكريم فيها معنى التسخير، ويمكن القول أن سياقاتها تدل على معنى جزئي من معاني التسخير، ومن أمثلة هذه المفردات ما جاء في قوله عز وجل: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(5)﴾ [5]، والآية جاءت في سياق استعراض مظاهر الربوبية المتجلية في السماء والأرض، ومنها مظاهر التسخير التي عبرت عنها بإنزال المطر وإحياء الأرض وتصريف الرياح، حيث عبرت الآية عن التسخير بـ

(1)سورة يس الآية 71-73

(2)سورة الملك الآية 15

(3)سورة طه الآية 53

(4)سورة الأعراف الآية 10

(5)سورة الجاثية الآية 5

"أنزل"، "أحيا"و"صرف"، وهناك مفردات أخرى كثيرة ذكرت في آيات أخرى سنورد طرفا منها لاحقا.

والمتأمل في هذه المفردات يجدها تشير في مجملها إلى طبيعة العلاقة بين الإنسان وسائر الموجودات وهي هنا: الأنعام والأرض وما اشتملت عليه من الجماد والنبات والحيوان والطير، فهذه كلها مسخرة للإنسان ومقهورة على خدمته، وكذلك تشير إلى علاقة الإنسان ببني جنسه، وهي علاقة قائمة على تبادل المنافع لا على مجرد التسخير المجاني، وهو ما يشير إلى اختلاف العلاقة التي يجب أن تقوم بين الإنسان وبين بني جنسه، وبينه وبين سائر الموجودات الأخرى، فعلاقته ببني جنسه يجب أن تكون قائمة على العدل والإنصاف لا على الجور وأما علاقته بسائر الموجودات فهي علاقة انتفاع يتوصل إليها بالسوق الإلهي لا بالغلبة والغصب والخلب[1].

والتسخير الذي تحدثت عنه الآيات الكريمات ليس المراد منه في تقديرنا مجرد تسخير لتيسير الانتفاع المادي للإنسان، بل إن أهم جانب فيه ما اتصل بالمعرفة، وأشرفها ولا شك معرفة الله عز وجل، وهذا المعنى واضح وصريح في كثير من الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ(2) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(3) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

(1) بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي. ط3 دار سوزلر للنشر القاهرة: 2000م ص: 363

﴿يَعْقِلُونَ﴾ [1]، والآيات صريحة في ربط النظر في المسخرات والتدبر فيها باليقين بلقاء الله عز وجل، وعند النظر في هذه الآيات نجدها تضمنت جانبين هامين هما:

- تسخير هدفه تمكين الإنسان من خلال النظر في المسخرات من الإيقان بحقائق الإيمان، وذلك أن الله عز وجل خلق هذه الموجودات عل وجه يجعلها قابلة لأن تعرف من خلال ما بث فيها من سنن ثابتة يسرت سبيل المعرفة وجعلته ممكنا، وعليه تكون هذه المعرفة في نفسها وجها من وجوه الانتفاع في مستوى أدنى، ويكون انتفاع الإنسان بها أكبر، إذا انتقل فيها من مجرد المعرفة إلى الاعتبار والإيمان في مستوى أعلى.

- وأما الجانب الثاني فهو أولا تسخير يرتد على الإنسان بالنفع المادي المباشر في مستوى أدنى، وهو انتفاع يشترك فيه بنو آدم جميعا، من التمتع بالمطاعم والمشارب وسائر صنوف الرزق التي بثها الله في آفاق الكون، وثانيا تسخير يتهيأ للإنسان منه بقدر ما يبذله من جهد في معرفة سنن الله في آفاق الكون، فيطوع بهذه المعرفة من خلال التطبيق العملي ما كان عسير التطويع، فيحصل له بذلك مزيد من" التمتع بنعم الله، وشهود نعمه وسعة رحمته فيقبل على محبته وشكره"[2]، وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(79)﴾ [3]، وهذه الآية جعلت الطير المسخر لمنفعة الإنسان محلا للاعتبار المفضي للإيمان بالواحد القهار.

وليس بين الأمرين تعارض، ذلك أن " طلب الحق عند تعليل خلق السماوات والأرض، لا يعني إبعاد الإنسان عن الاستفادة بما فيهما وما بينهما من مخلوقات وكائنات، وقوى وخصائص ومزايا. بل إن هذه الفوائد إنما هي من الحق الذي خلق الله الكون به" [4]، وهو ما يفسر كثرة الآيات القرآنية التي تحفل بالحديث عن المسخرات بأنواعها.

---

(1)سورة الرعد الآية 2-4

(2) ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 125

(3)سورة النحل الآية 79

(4) عبد الباري محمد داود، دراسات فلسفية وإسلامية في الآيات الكونية، ط1 دار الآفاق العربية، القاهرة: 1419 هـ/ 1999م ص 92

المبحث الثاني: ميادين التسخير

توضح لنا الآيات من سورة النحل ميادين التسخير، وهذه الآيات هي قوله عز وجل: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(5)وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ(6)وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ(7)وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(8) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ(9)هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ(10)يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(11)وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(12)وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ(13)وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(14)وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(15)وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ(16)أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ(17)وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(18)﴾[1]

الآيات ذكرت ميادين ثلاثة هي مجال الفعل الإنساني الذي يعبر به عن خلافته في الأرض، وهذه الميادين الثلاثة هي: الأرض وما اشتملت عليه، وفضاء السماوات، وسنتناول كل واحدة من هذه الميادين على حدة .

المطلب الأول: الأرض

وهي تمثل ميدان التسخير الأول من حيث الأساس، فهي تمثل المهد الذي مكن الله الإنسان فيه، قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ(10)﴾ [2] وحديث القرآن الكريم عن تسخير ميدان الأرض حديث شامل،

(1)- سورة النحل، الآية 5-18
(2)سورة الأعراف الآية 10

فهو يشمل اليابسة وما يحيا عليها من نبات وحيوان وطير، كما يشمل باطنها من معادن وخيرات، بالإضافة إلى عالم البحار والمحيطات وما فيه من كائنات، وسنتناول كل جانب من هذه الجوانب بشيء من البسط حسب ما يسمح به المقام.

1- ظاهر الأرض وباطنها: ظاهر الأرض هو أول ما يلاقي الإنسان، وهو ميدان واسع، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحدثنا عن الأرض وما عليها، وكيف أن الله عز وجل أمكن الإنسان من اتخاذ الأرض سكنا وجعلها طيعة لذلك، ومن ذلك نحت جبالها بيوتا، قال تعالى: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ(82)﴾ [1] وقال أيضا ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ(149)﴾ [2].

ومن أبرز وجوه التطويع، جعل الأرض مناسبة لحياة الإنسان، وهذا الجعل الذي تم بتقدير دقيق، قال عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ(49) ﴾ [3]، يمكن التماسه في أبسط ما نشاهده، وأبرزه طبقات جو الأرض وما توفره من حماية للحياة بجميع أشكالها، يضاف إلى ذلك الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، بالإضافة على الفصول وتنوعها وكلها بمقادير وأوقات محددة بحيث تتفق وحياة الإنسان، قال عز وجل: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ(10)﴾[4] فهناك انسجام واضح في الأداء بين الأرض وما يحيط بها في جو السماء، بحيث يسهل على الإنسان تنظيم حياته، وما يقال بشأن الأرض وما يحيط بها من الغلاف الجوي يقال في التقدير الذي تسير عليه الكواكب والنجوم، ومنها الشمس والقمر وهما أكثر التصاقا بحياة الإنسان، فهما يسيران

(1)سورة الحجر الآية 82

(2)سورة الشعراء الآية 149

(3)سورة القمر الآية 49

(4) سورة لقمان الآية 49

وفق حساب دقيق، قال الله عز وجل: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ(5)﴾ [1]، أي أنهما يجريان وفق حساب دقيق، بحيث تختلف بسبب ذلك الفصول، ويعلم حساب الأيام والشهور والسنين.

كما نجد في آيات القرآن الكريم حديثا عن الأرض وما يترل عليها من ماء، وما ينبت فيها من نبات متعدد الأصناف، ينتفع به الإنسان في أكله، كما يرعى منه أنعامه قال عز وجل: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى(53)كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى(54) [2] وآيات أخرى تحدثنا عن أصناف الثمار المختلفة التي جعلت لمنفعة الإنسان، وليست المنفعة هنا مقتصرة على الأكل من هذه الثمار وحسب، بل ليمتع الإنسان ناظريه بما عليه هذه الثمار إذا أثمرت وأينعت من جمال أخاذ، قال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(99)﴾ [3]. كما نجد في القرآن الكريم حديثا مطولا عن إنزال الماء من السماء وما يتصل به من تسخير السحاب بين السماء والأرض، وكيف يساق هذا السحاب سوقا بواسطة الرياح إلى الأرض الميتة فإذا هي تحيا بإذن ربها،قال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(57)﴾ [4]، وقوله أيضا: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ

---

(1)سورة الرحمان الآية 5

(2) سورة طه الآية 53، 54

(3)سورة الأنعام الآية 99

(4)سورة الأعراف الآية 57

﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ(27)﴾[1]، حتى إذا ما أنزل من المزن سلكه في الأرض ينابيع، قال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ(21)﴾[2] أي أسكنه الأرض، وسلكه فيها طرقا يسلكها ثم يتفجر في الأرض عيونا، قال عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ(18)فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(19)﴾ [3].

ولا يقتصر التذكير والتنبيه إلى المسخرات في أطراف الأرض على الماء وما يخرج به من النبات والثمار، بل يمتد إلى الحديث عن تسخير الحيوان والطير، ومن هذا القبيل الحديث المتكرر عن الأنعام، الذي يطفح بذكر منافعها، قال الله عز وجل:﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ(66)﴾ [4]

وقوله تعالى أيضا: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(21)﴾[5]، فالآيتان تذكران بما في تسخير الأنعام من العبرة والانتفاع مما لا يخفى على كل عاقل، والأنعام يدخل فيها البقر والغنم والإبل وغيرها، والانتفاع بها حاصل بوجوه عدة، منها؛ الانتفاع بأكل لحمها وشرب لبنها واتخاذ جلودها لباسا، وحمل الأثقال عليها والتنقل بها وتسخيرها في الحرث وما إلى ذلك من الوجوه. وكل هذا صلته بخلافة الإنسان في الأرض واضحة جلية.

---

(1)سورة السجدة الآية 27

(2)سورة الزمر الآية 21

(3)سورة المومنون الآية 18، 19

(4)سورة النحل الآية 66

(5)سورة المومنون الآية 21

وأما حديث القرآن الكريم عن تسخير ما في باطن الأرض فهو حديث مستفيض، إذ يكثر في القرآن الكريم الحديث عن الذهب والفضة والنحاس[1] والحديد، وكلها معادن، منها ما يتخذ حليا ومنها ما يدخل في وجوه الصناعة المختلفة، قال عز وجل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ(23)**﴾ [2]، وقال عز وجل في شأن الحديد: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ(10)**﴾ [3] وتليين الحديد هنا من معانيه –والله أعلم– الإقدار على استخراجه وصناعته.

2-البحار والمحيطات: حديث القرآن عن البحار حديث متنوع، اقترنت فيه الدعوة إلى الإيمان بالتذكير بمنافعه، وهذا حتى يكون الإنسان الخليفة في الأرض سائرا في حياته على درب الإيمان غير الغافل عن تحصيل المنافع المختلفة، قال الله عز وجل:﴿**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(14)**﴾ [4] وفي الآية امتنان من الله عز وجل بأن مكن الإنسان من ركوب البحر بالفلك الجارية فيه، وجعله مصدرا للحم الطري، ومحلا لاستخراج الحلي من اللؤلؤ والمرجان. وقال عز وجل:﴿ **اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(12)** ﴾ [5]، وفي الآية ذكر كمال قدرة الله وتمام نعمته على عباده، وأنه خلق ما خلق لمنافعهم[6]، و في هذه الآية

(1) ذكر النحاس في القرآن الكريم، في حالته الجامدة، كما ذكر في حالته السائلة بلفظ القطر، وهو النحاس المذاب

(2)سورة الحج الآية 23

(3)سورة سبأ الآية 10

(4)سورة النحل الآية 14

(5)سورة الجاثية الآية 12

(6) القرطبي، ج16 ص 157

تذكير للإنسان بأن يتخذ الأسباب التي تيسر عليه الانتفاع بخيرات البحر من مثل اتخاذ المراكب التي تجوب البحر، لأن ذلك من تمام خلافته في الأرض.

المطلب الثاني: فضاء السماوات

وأفلاكها مسخرة للإنسان ابتداء، والإنسان لا يبذل جهدا في الانتفاع بآثارها، مثل الانتفاع بالليل والنهار في راحته وعمله، فهو لا يتدخل في سير الأفلاك، ولا يحدد طول الليل ولا النهار، ولا يمكنه ذلك ولو أراد، وهو في اهتدائه بالنجوم لا يتدخل في مساراتها ولا يمكنه ذلك ولو أراد.

قال الله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا(61)وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا(62)﴾[1]، وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ(71)قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ(72) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(73)﴾ [2]. والإنسان إذ لم يمكنه أن يؤثر في مسارات النجوم والكواكب فقد تيسر له أن ينظم أوقات حياته طبقا لحركاتها وهذا بتسخير من الله، قال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا(12)﴾ [3].

غير أن إتيان الحديث على هذه الميادين بهذا الوجه قد يوحي بأنها منفصلة، وكل واحدة منها تعمل باستقلال، لكن هذا المتبادر يندفع إذا علمنا أن هذه المسخرات في

---

(1)سورة الفرقان الآية 62

(2)سورة القصص الآية 71-73

(3)سورة الإسراء الآية 12

مستوياتها المختلفة تعمل بانسجام وتكامل، فكأن اقتران ذكر السماء بذكر الأرض في عدد كبير من آيات القرآن الكريم قصد به التنويه بهذا التكامل والتلاقي، وهذا التلاقي ليس يقتصر على ظواهر الليل والنهار وما شاكلها، بل يمتد إلى ما هو أبعد من ذلك مثل تأثير جاذبية القمر على البحار؛ ما ينتج عنه من ظاهرتي المد والجزر، بالإضافة إلى تأثيرات أخرى لا يتسع المقام لذكرها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: مستويات التسخير

من خلال النظر في المخلوقات المسخرة يتبين أن تسخيرها على وجهين: تسخير ابتدائي، وتسخير كسبي اجتهادي، وسنتناول هذين الصنفين من التسخير بشيء من البيان مع محاولة إيضاح علاقة ذلك باستخلاف الإنسان فيما يأتي:

أ- **التسخير الابتدائي**: ونعني به ذلك النوع من التسخير الذي لا يبذل فيه الإنسان أي جهد، فالكثير من مظاهر الآفاق سخرها الله للإنسان لينتفع بها بشكل مباشر، مثل تذليل الأرض وتمهيدها، وتسخير الشمس والقمر والنجوم، والرياح والأمطار، والليل والنهار، وغيرها مما لا يحصى، فالأرض أوجدها الله على وجه يسهل الانتفاع بمكنوناتها، والشمس تمنح الإنسان النور والدفء دون تدخل منه، والشأن نفسه بالنسبة لغيرها، فهي مسخرة بأمر الله، والنصوص القرآنية الدالة على هذا اللون من التسخير كثيرة ومنها قوله عز وجل: ﴿**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(61) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ(62) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ(63)أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(64)**﴾[1] . وهذه آيات جمعت على نسق واحد اشتملت على خمسة عشر نوعا من أنواع الدلائل، وفيها حديث مستفيض عن جملة من المسخرات جعلها الله عز وجل في متناول الإنسان، من غير احتيال منه، وهي تمس جوانب حياة الإنسان المختلفة، وكل ما يؤثر فيها سواء في السماء أو في الأرض.

(1)سورة النمل الآية 60 - 64

وبالنظر إلى اختلاف الإنسان عن سائر الموجودات باعتباره مخلوقا صاحب إرادة، فمن البديهي أن لا يكتفي بهذا المستوى من التسخير، حيث إنه مفطور على طلب المزيد، غير أن رغبته هذه لكي تتحقق على الدوام، لابد أن يبذل جهدا موصولا يعالج فيه محيطه الطبيعي بكل ما يلابسه من مصاعب، فهو لا يجد كل شيء جاهزا أمامه، بل مطلوب منه أن يكد ويشقى من أجل تحصيل رزقه، وهو في أثناء ذلك ينتقل إلى مستوى آخر من التسخير وهو ما سميناه التسخير الكسبي.

ب-**التسخير الكسبي**: وهو تسخير يتأسس على الصنف الأول، لكنه يمتد ويزداد بازدياد العلم بسنن الله في مخلوقاته، ومن ثم فهذا القسم من التسخير يتفاوت فيه الناس، وتتفاوت فيه الأمم والشعوب، بسبب دخول عامل أساسي فيه، وهو عامل المعرفة، وكما وضح لنا من قبل من أن سنن الله عز وجل محايدة ولا تحابي أحدا، فأكثر الناس فلاحا في التعرف إلى سنن الله هم بالضرورة أقدر على تسخيرها.

وفي القرآن الكريم إشارات عدة، وتنبيهات مختلفة، وتقديم نماذج لأفراد معدودين أفلحوا في هذا الجانب من التسخير، وهي نماذج نحسب أن القرآن الكريم لم يقدمها لمجرد السرد التاريخي، ولكن بقصد التنبيه إلى الاقتداء بمسلكها في تسخير مكنونات الأرض، ومن هذه النماذج نموذج داوود وسليمان عليهما الصلاة والسلام، قال عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ**(10) **أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**(11)﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ**(18)**وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ**(19)**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**(20)﴾ [2]، وهاتان الآيتان من سورة "ص" جاءت بعدهم قصة الخصمين، وهذه أتبعت بقوله تعالى: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ**

(1) سورة سبأ الآية، 10، 11

(2) سورة ص الآية 18-20

﴿خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ(26)﴾ [1]

وهذا يشير إلى أن هذا التأييد من الله هو لخليفة في الأرض عظيم وأمين، وقال عز وجل: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ(12)﴾ [2] ، وقوله تعالى أيضا: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ(79)﴾[3] ، وهذه الآيات القرآنية سيقت هنا ليس على معنى كون داوود عليه السلام استطاع تليين الحديد بسبب معرفته بطرق استخراج الحديد وصهره وتشكيله- وإن كان هذا المعنى ليس مستبعدا[4]- بل لأن هذه معجزات إلهية أيد بها الله عبده داوود، والشأن نفسه بالنسبة لسليمان عليه السلام، حيث إن الله عز وجل هو الذي أجرى له الرياح في مواقيت معلومة، وأسال له عين القطر[5]، إن هذه الآيات سيقت هنا بقصد الإشارة إلى أن هذه المعجزات، لم يكن قصد القرآن الكريم منها سرد وقائع تاريخية وحسب، بل كذلك لـ" يخط الحدود النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعد غاياتها، وغاية ما

(1)سورة ص الآية26

(2) سورة سبأ الآية 12

(3) سورة الأنبياء الآية 79

(4) نقول هذا المعنى ليس مستبعدا، ودلك بمجيء تليين الحديد في الآية بعد ذكر الجبال، ومعلوم أن خامات الحديد تستخرج من مناجم في الجبال، حيث تصح العلاقة بين الحديد والجبال واضحة، وكذلك بالنسبة لسليمان عليه السلام في إعداده للصرح الممرد، فالله عز وجل مكنه من صناعة الزجاج بكل ما تحتاجه هذه الصناعة من مهارات، وليس في القرآن الكريم ما يشير إلى أن داوود وجد الحديد جاهزا وأن سليمان وجد الزجاج جاهزا .

(5) القطر هو النحاس المذاب، "وقد دلت التنقيبات الأركيولوجية في منطقة وادي عربة على ما يؤيد استخراج خامات النحاس وصهرها في مواقع تمناع وفينان وخربة النحاس في أوقات زمنية متعددة منها وقت ينطبق على عصر داوود وسليمان" محمد سميح عافية، القرآن وعلوم الأرض ط1 الزهراء للإعلام العربي، القاهرة: 1414هـ/1994م ص178

يمكن أن تحققه البشرية من أهداف، فهو بهذا يعيّن أبعد الأهداف النهائية لها ويحددها، ومن بعد ذلك يحث البشرية ويحضّها على بلوغ تلك الغاية، ويسوقها إليها. إذ كما أن الماضي مستودع بذور المستقبل ومرآة تعكس شؤونه، فالمستقبل أيضا حصيلة بذور الماضي ومرآة آماله"[1]. والشأن نفسه بالنسبة لمعجزات الأنبياء الآخرين، فلم يكن القصد مقتصرا على عرض هذه المعجزات الربانية لبيان تأييد الله لأنبيائه، بل ليهيب بالإنسان أن يسعى لمحاكاة هذه المعجزات أيضا، وذلك أن هذه المعجزات في قسم كبير منها واقع تحت طائلة الحس؛ بمعنى أن الله عز وجل أجراها في جانب كبير منها وفق شروط عالم الأسباب مضاف إليها مقدار من علم الغيب ما به صارت معجزات، والله عز وجل يريد أن "يدل البشرية على أن نظائر تلك المعجزات سوف تتحقق في المستقبل بالترقي، ويحث الإنسان على ذلك وكأنه يقول له: هيا اعمل واسع لتنجز أمثال هذه المعجزات، فاقطع مثلاً مسافة شهرين في يوم واحد كما قطعها سليمان عليه السلام، واعمل على مداواة أشد الأمراض المستعصية كما داواها عيسى عليه السلام، واستخرج الماء الباعث على الحياة من الصخر وانقذ البشرية من العطش كما فعله موسى عليه السلام بعصاه. وابحث عن المواد التي تقيك شر الحرق بالنار، وألبسها كما لبسها إبراهيم عليه السلام. والتقط أبعد الأصوات واسمعها وشاهد الصور من أقصى المشرق والمغرب كما فعل ذلك بعض الأنبياء. وألِن الحديد كالعجين كما فعله داود عليه السلام، واجعل الحديد كالشمع في يدك ليكون مداراً لجميع الصناعات البشرية، كما تستفيدون فوائد جمة من الساعة والسفينة اللتين هما من معجزات سيدنا يوسف وسيدنا نوح عليهما السلام. فاعملوا على محاكاتهما وتقليدهما. وهكذا قياساً على هذا نجد أن القرآن الكريم يسوق البشرية إلى الرقي المادي والمعنوي، ويلقي علينا الدروس ويثبت انه أستاذ الجميع"[2].

---

(1) النورسي، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط3 سوزلر للنشر، القاهرة: 2000م/ 1421هـ ص 279

(2) النورسي، صيقل الإسلام، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط3، سوزلر للنشر، القاهرة، 2002م، ص499

والقرآن الكريم يعرض علينا أنموذجا آخر لرجل ما هو بنبي، ولكنه عبد مؤمن مكن الله له، إنه ذو القرنين[1]، قال الله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا(83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا(84)﴾ [2] وبفضل هذا التمكين استنجد به قوم وطلبوا منه أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدا منيعا قال عز وجل: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا(94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا(95)آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96)فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا(97)﴾[3]، وما جاء في هذه الآيات من طلبه زبر الحديد ما يكفي لتشييد سد منيع دليل على وفرة هذه المادة، ودليل على إتقان طرق استخراجها وصهرها، وكذلك بالنسبة لإفراغ القطر يدل على التمكن من أسلوب استخراج النحاس وإذابته، وأما مزج النحاس مع الحديد بعد صهرهما فدليل أيضا على معرفة ذي القرنين بطرق تقوية المعادن عن طريق مزج بعضها ببعض، وهو ما تم التوصل إليه حديثا إذ " استخدمت هذه الطريقة حديثا في تقوية الحديد، فوجد أن إضافة نسبة من النحاس إليه تضاعف مقاومته وصلابته، وكان هذا الذي هدى الله إليه ذا القرنين، وسجله في كتابه الخالد سبقا للعلم البشري الحديث، بقرون لا يعلم عددها إلا الله"[4]

ولعل من أوضح صور التسخير القائمة على تنمية المعرفة وتطوير الخبرة التي يدعو إليها القرآن الكريم، ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ

---

(1) ذو القرنين هو رجل مؤمن صالح مكن الله له في الأرض، وما هو بالأسكندر المقدوني، فالأسكندر لم يكن مؤمنا، وقتاله لم يكن جهادا ...

(2)سورة الكهف الآية 83، 84

(3)سورة الكهف الآية 94- 97

(4) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص 2292

﴿الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ(25)﴾ [1]، وحديث الآية عن الحديد وما فيه من بأس، تنبيه للإنسان ولفت لنظره لما فيه منافع يجتنيها الناس منه في تحصيل معاشهم وتدبير مصالحهم لدخوله في صناعات كثيرة. وتعقيب ذكر الحديد بذكر نصرة الله ورسوله إشارة إلى أن من بين ما يستعمل فيه الحديد أيضا ؛ نصرة الله ورسوله، وقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ(60)﴾ [2]، ولا شك أن القوة لجهاد الكفار والمعتدين لا تستغني عن الحديد، وإعداد القوة لهم هو من قبيل الاستعداد لدفع الظلم والعدوان الواقع منهم لا محالة، وأن التقصير في هذا مآله الوقوع تحت سلطان الكافر، وهذا ولا شك مؤذن بزوال القسط والعدل، وفي الآية "إشارة إلى احتياج الكتاب والميزان إلى القائم بالسيف ليحصل القيام بالقسط فإن الظلم من شيم النفوس"[3]. وتوقع الظلم من الكافر أكبر من توقعه من غيره وهو بذلك مدعاة للحذر والاحتياط.

ولم يكتف القرآن الكريم بالدعوة إلى الالتفات إلى ما في الأرض من خيرات، بل إن فيه إشارات عدة إلى وجوه من الانتفاع بخيرات الأرض يتوصل إليها بشيء من التدبر فيه، ومثال ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ(17)﴾ [4]، وفي الآية مثل ضربه الله للحق والباطل،

(1)سورة الحديد الآية 25

(2)سورة الأنفال الآية 60

(3) الآلوسي، 188/27

(4)سورة الرعد الآية 17

لكن فيه لفتة إلى سيلان الأودية بعد نزول المطر الغزير، حيث هذه السيول تمر في سيرها بأصناف مختلفة من التربة وتجر معها ضميا وزبدا رابيا، وهذا الزبد الرابي هو فتات الصخر وحبيباته،[1] وعادة ما يكون هذا الفتات عبارة عن معادن نفيسة فيها ذهب وفضة وغيرهما، حيث يقوم ماء السيل بتخليص هذه الحبيبات مما يعلق بها بفعل نقلها لمسافات طويلة، إلى أن تعلق على جوانب السيل، حيث يمكن جمعها وتنقيتها بصهرها بالنار فتكون بذلك حليا، ولعل هذا ما يتبع في صناعة الذهب وغيره عندما يتم رشح الصخر بالماء بعد تفتيته لتخليص الذهب منه.

نخلص مما سبق إلى أن التسخير الذي تحدثنا عنه بنوعيه يلبي حاجة الإنسان مهما كان مستواه في تحصيل المعرفة، ومهما كان دينه، لكن الاختلاف والتفاوت إنما هو في الرتبة، ذلك أن عطاء الله عز وجل في آفاق السماوات والأرض عطاء موفور غير محدود، وأن الحديث عن نقص الغذاء وقلة الموارد وشحها أمر غير وارد أصلا، قال عز وجل: ﴿**كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا**(20)﴾ [2]، فالله عز وجل يرزق المؤمن كما يرزق الكافر في الدنيا، كل بحسب اجتهاده، لكن معيار النجاح في النهاية هو الفوز بالجنة يوم القيامة، وهو فوز ليس مقطوع الصلة بنموذج التسخير الذي سار عليه الفريقان، فليس يتوهم الإنسان أنه إذا كان كل ما في السماوات والأرض مسخرا له، فمن حقه أن يكون مطلق اليد فيهما من دون أي ضابط، من هنا يأتي السؤال التالي: هل دعوة القرآن الكريم هذه منحصرة في إطلاق يد الإنسان ليستغل جميع الموجودات المسخرة له دون ضابط، أم أنها دعوة صاحبها وضع ضوابط تمنع الانحراف، وإذا كان الأمر على هذه الحال فما هي هذه الضوابط؟

(1) محمد سميع عافية، المرجع السابق ص175

(2)سورة الإسراء الآية 20

المبحث الرابع: ضوابط التسخير.

لقد دعا القرآن الكريم الإنسان إلى التمتع بأنعم الله الواسعة بوجوه التسخير المختلفة في آيات عدة، ومنها قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(32)﴾ [1]، وفي الآية لفت الانتباه إلى الطيبات المختلفة وفيها "إشارة إلى أن في الطيبات غنية عن الخبائث،إذ لا يتعلق باخبائث قصد معقول، ولا مصلحة حقيقية"[2]. وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ(24)أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا(25)ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا(26)فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا(27)وَعِنَبًا وَقَضْبًا(28)وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا(29)وَحَدَائِقَ غُلْبًا(30)وَفَاكِهَةً وَأَبًّا(31)مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ(32)﴾ [3]، ولفت الانتباه إلى النعم الواسعة والحث على التنعم بها مقترن ببذل الجهد في ذلك، والله عز وجل لم يجعل الأرزاق بغير ضابط فذلك يؤدي إلى التظالم بين الناس قال عز وجل: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ(27)﴾ [4].

وهذه الدعوة إلى التسخير قد يظن أنها مجردة من أي ضابط يضبطها، غير أن هذا الظن في غير محله، ذلك أن القرآن الكريم وضع مجموعة من القواعد الأخلاقية التي يجب التزامها، سواء كان هذا التسخير متعلقا بالموجودات الطبيعية، أو متعلقا بتسخير الإنسان للإنسان، وهذه الضوابط هي كالتالي:

---

(1)سورة الأعراف الآية 32

(2) فتحي الدريني، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر . ط1 دار قتيبة، بيروت: 1408هـ/1988م، ج 2 ص477.

(3)سورة عبس الآية 24- 32

(4)سورة الشورى الآية 27

المطلب الأول : الاعتدال وعدم الإسراف

وطلب التزام هذه القاعدة الأخلاقية يبدأ من الفرد ويمتد أفقيا إلى أن يشمل الإنسانية كافة، وعموديا يبدأ من الأكل والشرب ويمتد إلى سائر وجوه التمتع التي أباحها الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(141)**﴾ [1]، فالله عز وجل هدى الإنسان إلى سبل زراعة الأرض، وقوله عز وجل "**أنشأ**"؛ ليس فيه نفي لجهد الإنسان في استصلاح الأرض وزراعتها، قال عز وجل: ﴿**وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ(35)**﴾ [2]، فإذا ما أثمرت مزروعاته له أن يأكل منها من غير إسراف، ويخرج زكاتها للمحتاجين، وهذا الإسراف كما يكون بمجاوزة حد الفطرة في الأكل المفضي إلى حال تصير معها الجنات المعروشات بما اشتملت عليه من نخل وزرع مختلف الألوان غير موفية بحاجاته الطبيعية، يكون أيضا باصطناع حاجات مخالفة للفطرة أيضا، يصبح معها طلب المزيد من المتع الملهيات غاية ما يطلبه الإنسان وهو على هذه الحال، حتى إذا حصّل مراده؛ أفضى به ذلك إلى التبذير وإضاعة ما تعب من أجله، وعندها يكون قد قطع الطريق كاملة باتجاه مؤاخاة الشيطان، قال عز وجل: ﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا(27)**﴾ [3].

والإسراف كما تظهر نتائجه السيئة في المجتمع، تظهر أيضا في البيئة التي تحيط بالإنسان.

---

(1)سورة الأنعام الآية 141

(2) يس الآية 34، 35

(3) الإسراء الآية 27

فبالنسبة لنتائجه في المجتمع؛ نحسب أنه يمكن أن نفسر به حالات الطغيان التي تظهر في المجتمع بين حين وآخر، وما يتبع ذلك من شيوع الظلم وضياع الحقوق، وغياب الإحسان إلى الضعيف والمحتاج، و يمكن القول بأن غياب الاعتدال وتجاوز الفطرة أخرج إنسانا جديدا، هو أقرب ما يكون منه إلى الحيوان منه إلى الإنسان، بل إنه وصف بـــ"الحيوان المأساوي الذي ليس له من الغريزة ما يمكنه من التصرف بأمان، وليس لديه من العقل ما يمكنه من تحمل أعباء غرائزه والإنسان المكتمل، أو الإنسان الكامل كما كان يقال في الماضي، لا يتوقع وجوده إلا في آفاق المستقبل البعيد . ويظل اليومَ ذلك الكائنُ الناقصُ، الضائعُ بين الحيوانية والربانية، حبيسَ الغرائز العدوانية والتملكية التي ورثها عن أسلافه الرئيسات وضاعفها بسلاح معارفه"[1]، وهذه المعارف صيرته لا يفهم غير لغة الشراهة والنهم، وهي لغة لا يقدر على التعبير بغيرها حتى وإن أدى ذلك إلى هلاكه في نهاية المطاف، وليس أدل على ذلك من الحروب التي تطحن الشعوب في سبيل فتح أسواق جديدة، أو سلب ثروات بغير حق، ويمكن القول عن هذا الإنسان الجديد إنه إنسان مستلب، إنسان لم تعد له أية حرية أمام الإسراف الذي يزينه له الشيطان، بل يمكن القول إن هذا "الإنسان" الجديد فقد جميع مقومات إنسانيته وحل محله الحيوان[2]، وتعاونت من أجل هذه الغاية مجموعة من الفلسفات أهمها "الفرويدية" و"الوجودية" حيث أعلنت البنيوية موته، بعد أن أعلنت النتشوية "[3] موت الإله"، فالإنسان في منظور البنيوية "لم يعد إلا ظاهرة عارضة

---

(1) عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، ص 315 . والعبارة نسبها المؤلف لشوبنهاور دون إحالة .

(2) تضافرت مجموعة من الفلسفات الغربية خاصة الحديثة منها على تشكيل نظرة جديدة إلى الإنسان تقوم أساسا على النظر إليه على أن جنسه لا يختلف عن الجنس الحيواني، وأن كليهما ينتمي إلى عالم الطبيعة ، ومن ثمة سوغت الدعوة إلى أخلاقيات جديدة مبنية على الانتخاب الطبيعي وعلى الصراع الدائم والبقاء للأصلح بدلا من الأخلاق المسيحية. عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ط1 ، دار الفكر: بيروت: 1423هـ/ 2002م ص 185.

(3)نسبة إلى الفيلسوف الألماني نتشه(1844-1900)، هو فريدريك نيتشه، مؤسس فلسفة القوة، كان له تأثير كبير في القرن العشرين ، رأى أن الإنسانية عاشت حتى الآن عمى عبادة الأصنام: اصنام في الأخلاق، أصنام في السياسة،

جاءت نتاجا للتطور والبيئة، فهو حبيسُ بُنى باطنية (عقلية) وبنى خارجية (اجتماعية) سبقته إلى الوجود، وهي تشكله وتوقع به وتغرِّبه في كافة شؤونه وأحواله... ومما يندرج في عداد المفارقات الكبرى لعصرنا أن كلمة " اغتراب " تحظى بإقبال عظيم في عالم فلسفي مُنِيَ فيه الإلهُ والإنسانُ بإدانة منتظمة ومتتابعة. ومن ثم التساؤل عمـــن يغرِّب من، ومن يكون المغترِب ؟ "[1]، إن هذه النظرة تنطبق على كل من كرمه الله بالإنسانية ثم نكص على عقبيه وانحدر إلى أسفل سافلين قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ(12)﴾ [2] .

أما نتائجه السلبية على الآفاق الطبيعية التي يعيش فيها الإنسان فهي ظاهرة للعيان، فالفساد أصبح شيئا معتادا لا يثير الانتباه لكثرته، قال الله عز وجل: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(41)﴾ [3]، وإذا كان المفسرون القدامى أولوا الفساد بالمعاصي المانعة من الرزق[4]، وهو معنى صحيح لقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96)﴾ [5]،

أصنام في الفلسفةن ورأى أن مهمته هي تحطيم هذه الأصنام، أشهر مؤلفاته، تأملات في غير الأوان، هكذا تكلم زرادشت ونسب الأخلاق. عبد الرحمان بدوي موسوعة الفلسفة، ص 508-517.

(1) جون ماري بيلت، عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، ص32.

(2)سورة محمد الآية 12.

(3)سورة الروم الآية 41.

(4)قال القرطبي، ـ اختلف العلماء في معنى الفساد، والبر والبحر، فقال قتادة والسدي: الفساد الشرك ، وهو أعظم الفساد. وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد: فساد البر قتل ابن آدم أخاه؛ قابيل قتل هابيل. وفي البحر بالملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا. وقيل الفساد القحط وقلة النبات وذهاب البركة. ونحوه قال ابن عباس ، قال: هو نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا ... وعنه أيضا أن الفساد في البحر انقطاع صيده بذنوب بني آدم . اهـ . القرطبي، ج14، ص42.

(5)سورة الأعراف الآية 96.

فالمعصية مانعة من الرزق والبركة، والإيمان والتقوى سبب في حصولهما[1]، وذلك بفعل ما يولده الإيمان من القناعة وحسن التدبير، وعدم التبذير.

وإذا كان المفسرون القدامى تأولوا الفساد بالمعصية، فإننا اليوم نرى الفساد حقيقة، ومظاهره غير خافية، ونعتقد أن" الجمع بين البر والبحر يؤكد أن المقصود هو فساد البيئة "[2]، سواء البيئة البرية أو البحرية، وهذا الفساد كما هو ناجم عن الحروب ناجم أيضا عن أشكال الصراع الأخرى بين البشر، وقد خفي على بعضهم الفساد الذي يلحق البحار جراء الحروب فتساءل قائلا" أي فساد يصيب البحار من جراء صراعات البشر؟"[3]، وهو تساؤل سوف نحاول الإجابة عليه لاحقا.

فمن مظاهر الفساد في البر، ما نراه من الإسراف في استهلاك كل شيء تصل إليه يد الإنسان بذريعة المزيد في رفاهيته، فكان أن انقلب الضرر الذي ألحقه بالمحيط الذي يعيش فيه؛ انقلب عليه بضرر أكبر، بظهور أمراض مهلكة لم تكن موجودة من قبل.

---

(1) قد يعترض معترض ويقول: إن هذا تفسير للأشياء بغير أسبابها الحقيقية، والتماس حلول ميتافيزيقية لمشاكل اقتصادية أسبابها معلومة، فما دخل الإيمان في زيادة الإنتاج الزراعي مثلا، فالإيمان مسالة معنوية شخصية لا تتعدى الفرد إلى الجماعة، بله أن تجد لها صدى في العالم الطبيعي، وقد يبدو هذا الاعتراض مقبولا بادي الرأي، لكن عند تدبره نجده مجانبا للصواب، ذلك أن الإيمان المقصود هنا هو الذي تنتج عنه مراعاة لطبيعة الأشياء، والذي يدفع صاحبه إلى العمل والإتقان، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإن الإيمان له آثاره المباشرة حتى في زيادة الإنتاج الزراعي، ونعني بالإيمان هنا، احد وجوهه وهو ذكر الله وقراءة القرآن، حيث قام أحد الباحثين في هذا المجال بإجراء تجربة، اختبر فيها مدى تأثر النبات بقراءة القرآن، فنصب لأجل ذلك أربعة بيوت بلاستيكية موحدة في حجمها، ووفر في كل منها الشروط المناسبة للنبات وزرع فيها قمحا من صنف موحد، واختار بيتا جعله بمثابة الضابط، وكانت النتيجة أن البيت الذي قرىء فيه القرآن زاد إنتاجه عن البيت الضابط مئة وأربعين مرة، والذي تعرض نباته للتعذيب هبط إنتاجه إلى ثمانين في المئة.

محمد راتب النابلسي، آيات الله في الآفاق. ط1 دار المكتبي، دمشق: 1425هـ/2004م، ص220، 221.

(2) – نبيل عبد السلام هارون، البرهان العلمي للإسلام،ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة 1415هـ/1995م ص199.

(3) نبيل عبد السلام هارون، المرجع نفسه، ص 199.

والآية جاءت بعد الحض على التصدق على ذوي القربى والمساكين، والتحذير من الربا والشرك، وهما من المعاصي والموبقات التي تؤدي إلى شيوع الفساد، والآية خُتمت بالوعيد ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ ما يدل على أن ألوان الفساد التي ظهرت من أسبابها الشرك بالله والربا، فالشرك بالله وعدم التزام شرعه يؤدي من بين ما يؤدي إليه، شيوع التعامل بالربا، وأغلب الأنشطة الاقتصادية الحالية لا تنفك عنه.

والنتائج السلبية للربا لم تعد خافية، حيث ينتج عنه الفقر ويزداد ضحاياه كلما طال الزمن، فهو العامل الأساس في تركز الثروة في أيدي فئة قليلة من الناس، وهو ما يؤدي إلى أن تأخذ فئة قليلة من الأثرياء مقدارا يزيد على حاجاتها، إلى حد صار ت معه هذه الفئة تلقي بالفائض في البحر، وهذا الذي يلقى في البحر هو ما كان يجب أن يذهب إلى قطاع واسع من الناس الجوعى ممن أهكهم الربا، فما ألقيت لقمة في البحر إلا وجاع جائع كان في حاجة إلى تلك اللقمة، وهذا وجه من وجوه العدوان، وإن كان يظهر غير ذلك، قال الله عز وجل: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ(32)﴾ [1]، وفي الآية اقترن قتل النفس بالفساد في الأرض، لأنهما يردان من مورد واحد، ومن قتل نفسا واحدة بوجه من وجوه القتل، فكأنما قتل الناس جميعا، وهذا ن بدورهما- الفساد وقتل النفس — جاءت فاصلة الآية واصمة من يأتيهما بالإسراف، في إشارة إلى التلازم بين هذه الموبقات جميعا؛ قتل النفس، الفساد في الأرض والإسراف، وإذا علمنا أن الربا من قبيل الفساد في الأرض، كانت النتيجة تلازما واضحا بين الإسراف والربا وقتل النفس.

ثم إن الربا واحد من الأسباب الكبرى لاندلاع الحروب بكل ما تخلفه من دمار على جميع المستويات، ذلك أن الفائض من الربا يذهب في تجييش الجيوش طمعا في المزيد من

(1)سورة المائدة الآية 32.

السطوة لتحصيل مزيد من الثروة، عندها تنشب الحروب بفعل نهوض المظلوم لدفع الظلم الواقع عليه، عندها يكتوي المرابون في الدنيا بنار ما أحدثوا من فساد قبل أن تكوى جنوبهم وظهورهم يوم القيامة بما كنزوا من الذهب والفضة بفعل الربا ، ﴿**لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا**﴾ في الدنيا.

فوجوه الفساد من زيادة الفقر وكثرة الحروب، وإهلاك الحرث والنسل وتدمير البيئة بدافع الشراهة وسائر المفاسد الأخرى التي ظهرت في البر والبحر، في أغلبها ناتج عن الربا.

ومن مظاهر الفساد في البحر أيضا ما صار يلقى فيه من نفايات المختلفة قصدا، وبعضها ليست من النفايات التي تندمج مع مرور الوقت في البيئة الطبيعية البحرية، بل إنها من النوع الذي يبقى كما هو مهما طال عليها الزمن، زيادة على ما يتسرب إلى مياه البحار من بترول وغيره، وهو فضلا على تهديده للحياة البحرية يسمم حياة الإنسان نفسه نتيجة لما يتناوله من أسماك البحار الملوثة [1].

نستخلص من هذا أن مجاوزة حد الاعتدال والإسراف نتائجه وخيمة على الإنسان وعلى البيئة الطبيعية أيضا، غير أن قاعدة الاعتدال وحدها لا تكفي. وتبقى تحتاج إلى قاعدة أخرى تكملها وتعطيها معنى، ونعني بها الشكر.

المطلب الثاني : الشكر

الشكر عرفان الإحسان ونشره، والشكر من الله: المجازاة وإثناء الجميل[2]، والشكر من العبد لله هو" مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية، فيثني على المنعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه موليها"[3]، وأما شكر العبد للعبد فهو الثناء على محسن عرفانا بإحسانه. والشَّكُور: كثير الشكر.

---

(1) عبد الرحمان حبرة، الإسلام والبيئة . ط1 دار السلام، القاهرة:1420هـ/2000م ص84

(2) لسان العرب، 115/8.

(3) م.ن، 115/8.

وفي القرآن الكريم وردت مادة " شكر" 75مرة، وبصيغ مختلفة، منها 7مرات كان فيها الشكر من الله لمن استحقه من عباده، وجاء بصيغ ثلاث: الأولى" شكور"، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿**إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**(33)﴾ [1]، والثانية" مشكورا" كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا**(19)﴾ [2]، والثالثة" شاكرا" كما في قوله تعالى: ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا**(147)﴾[3] أما الصيغ الأخرى فالشكر فيها كان من العباد لله عز وجل، وورود جاء في مقامات مختلفة، منها مقام الحض على شكر نعم الله، كما في قوله تعالى: ﴿**فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**(114)﴾[4] ومنها مقام التنويه بالشاكرين حثا على الإقتداء بهم، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(120)شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**(121)﴾ [5] ومنها مقام التنبيه إلى قلة شكر العباد، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ**(60)﴾ [6] وغيرها من المقامات.

وفي القرآن الكريم ورد الحض على شكر نعم الله التي أنعمها على العباد في آفاق السماوات والأرض في أكثر من عشرين موضعا، وهو ما يدل دلالة واضحة على أن هذه النعم جليلة، والعبد لا يسعه إلا شكر منعمها، وبتتبع واستقراء هذه المواضع تبين أن الشكر

---

(1)سورة الشورى الآية 33.

(2)سورة الإسراء الآية 19.

(3)سورة النساء الآية 147.

(4)سورة النحل الآية 114.

(5)سورة النحل الآية 120، 121.

(6)سورة يونس الآية 60 .

طلب أداؤه مع كل النعم المسخرة في جميع الميادين، وسنقف عند بعض الآيات التي ورد فيها تسخير هذه النعم متبوعا بالحض على شكرها في كل ميدان.

1- في ميدان الأرض: ومظاهر التسخير في هذا الميدان سبق الكلام عليه من قبل، والترغيب في شكر الله على هذه المسخرات يكاد يذكر في كل آية جاء فيها الحديث عن هذا التسخير، من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ(33) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ(34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ(35)**﴾ [1]،فالتوجيه إلى الأكل من جميع الطيبات من غير استثناء تبعه بالأمر بالشكر. وهناك آيات كثيرة تفصل هذه الطيبات؛ منها: طيبات الزروع والثمار، كما في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ(15)**﴾ [2]، وطيبات الأنعام كما في قوله تعالى: ﴿**وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(36)**﴾ [3]، وكذلك طيبات البحر كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(12)**﴾ [4].

2- أما ما يدعو إلى الشكر مما له صلة بآلاء الله في السماوات، فذلك في مثل قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ**

(1)سورة يس الآية 33-35.

(2)سورة سبأ الآية 15.

(3)سورة الحج الآية 36.

(4)سورة فاطر الآية 12.

﴿تَفَكَّرُونَ(73)﴾ [1] وذلك لأن الليل والنهار ظاهرتان تشترك في إظهارهما ؛ الأرض بدورانها والشمس بنورها.

والشكر سبب في دوام النعم وزيادتها، وليس يقتصر هذا على نعمة دون نعمة، بل إن هذا عام لجميعها، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ(7)﴾ [2]، "والآية نص في أن الشكر سبب المزيد" [3] من غير قيد.

وإذا كان الشكر سبب في دوام النعم وزيادتها، فإن نسيانه يؤدي إلى حلول النقم ونزول العذاب، وأوله في الدنيا قبل الآخرة، ويكون بقلة الأرزاق وشحها نتيجة فساد الزرع قال عز وجل: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ(58)﴾ [4] وقوله عز وجل﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ(15)فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ(16)ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ(17)﴾ [5]. فالعقاب الذي نزل بسبإ كان بسبب نسيانهم شكر الله مع ما رزقهم من جنان، حيث حل بهم ما حل بغيرهم مما نسوا آلاء الله عز وجل، قال عز وجل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(115)﴾

(1)سورة القصص الآية 87.

(2)سورة إبراهيم الآية 7.

(3) القرطبي، ج9، ص353.

(4)سورة الأعراف الآية 58.

(5) سورة سبأ الآية 15-17.

[1]، لكن هذا النقص قد يكون ابتلاء كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ(155)**﴾ [2].

وإذا كانت المعاصي مؤذنة بشح الرزق وذهاب الأمن[3]، فإن باب العودة يبقى مفتحا، وهذا عن طريق الاستغفار، إذ أنه سبب في حلول النعمة مجددا، هذا ما يتضح لنا من خلال قصة نوح مع قومه، قال عز وجل: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا(10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا(11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا(12)**﴾ [4]، وهذا الاستغفار بمثابة إعلان التوبة الكفيلة بعودة النعم إلى جريانها كسالف عهدها، ومن هذا القبيل قوله عز وجل على لسان هود: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ(52)**﴾ [5]، وفي الآية تنبيه إلى أن التوبة من ثمارها، زيادة الأرزاق بفعل إرسال السماء بالغيث، وزيادة في القوة، وزيادة القوة مظنة حصول الأمن، ومنع الأعداء من التحرش بهم أو الاعتداء عليهم، وقوله تعالى أيضا: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(96)**﴾ [6]، وفي الآية تذكير بسنة من سنن الله الجارية على الناس جميعا في مختلف أزمنتهم وأمكنتهم، فالإيمان والتقوى يؤديان إلى حلول البركة، والتكذيب وكفران النعمة عاقبته حلول بأس من الله شديد، "والبركات التي يعد الله بها الذين يؤمنون ويتقون، في توكيد ويقين، ألوان شتى لا يفصلها النص ولا يحددها. وإيحاء النص القرآني يصور الفيض

---

(1) سورة الأنعام الآية115.

(2)سورة البقرة الآية 155.

(3) الأمن والرزق مما لا تستقيم حياة الإنسان من دونهما، وهما متلازمان، ولا معنى لأحدهما دون وجود الآخر، لذلك امتن الله عز وجل على قريش بهما وجاءا متلازمين في قوله عز وجل:" فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ(3)الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ(4)" سورة قريش الآية 3،4 .

(4)سورة نوح الآية 10-12.

(5)سورة هود الآية 52.

(6)سورة الأعراف الآية 96.

الهابط من كل مكان، النابع من كل مكان،بلا تحديد و لا تفصيل ولا بيان . فهي البركات بكل أنواعها وألوانها، وبكل صورها و أشكالها، ما يعهده الناس وما يتخيلونه، وما لم يتهيأ لهم في واقع ولا خيال[1].

والذي نخلص إليه، أن آفاق الكون جميعا مسخرة للإنسان، على الوجه الذي يمكنه من تحقيق استخلافه في الأرض، وعليه – وهو بصدد تعميرها- أن يلتزم بجملة من الضوابط، وهذه الضوابط من شأنها أن توجد التوازن المطلوب والتكيف المرغوب بين فطرة الإنسان وفطرة الكون، ودون الوصول إلى هذا المستوى من التكيف تنقلب عمارة الإنسان الأرض إلى دمار، وينقلب السحر على الساحر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3 ص 1339.

الخـــاتـــمة

النتائج العامة للبحث :

لقد كانت القضية مدار البحث تتمثل في تبين مكانة المعرفة المتعلقة بآفاق الكون في تمكين الإنسان من تحقيق استخلافه في الأرض، على اعتبار أن هذا الاستخلاف المطلوب ربما يتوهم تحقيقه بالعزلة ، وعدم معالجة العالم الكوني من حولنا. لكن الأمر في الحقيقة على خلاف هذا تماما ، ذلك أن الإنسان جزء من هذا الكون الفسيح يفعل فيه وينفعل به، وهو إن نأى بنفسه كان نصيبه الفشل الذريع، والخطاب القرآني في صميمه يعارض الرغبة في الانطواء على النفس واعتزال آفاق الكون جملة .

وقد حاولت تتبع هذا الخيط من خلال ما سبق بسطه، وتبين لي في ضوء ذلك ما يأتي:

أن جانب المعرفة يحتل حيزا لا يستهان به في المنظومة الإسلامية عموما، والقرآن الكريم والسنة النبوية حثا على طلب العلم . وجعلا السعي في طلبه جهادا، وحددا لأجل ذلك المصادر التي توصل إلى المعرفة الحق، التي يصلح حال الإنسان إن هو أخذ عنها، كما حددا أيضا جملة الوسائل التي زودها الإنسان لتحصيلها، وتبعا لذلك وضعا الخطوط العريضة وحددا الغاية منها، وقد تبين لي أن خيط الوحدة و الانسجام ما ينفك يتضح ليرشد إلى وحدة في الغاية والهدف، المتمثلة في إرضاء الله تعالى أولا و آخرا، دون أن تكون هذه الغاية معارضة لغاية الإنسان في طلبه العلم و المعرفة في مستوى معين من مستوياتهما ، فغاية الإنسان في طلبه المعرفة إرضاء لفضوله لا يتعارض إطلاقا مع إرضائه لربه، بل إن الغاية الأولى تكتسب قيمتها حين تندرج في غاية أكبر منها.

وإذا كان الاستخلاف ينبني و يتأسس على المعرفة في كل تجلياته، فقد رأيت تقديم المدلولات المختلفة للخلافة و الاستخلاف، وقد تبين لي –والله أعلم– أن الإنسان خليفة في أصل جبلته، لكن هذا لا يعني أن يظهر قدراته في الاستخلاف تلقائيا أو على سبيل الجبر، بل إن هذا الكمون هو مما يتفاوت فيه الأفراد، كما تتفاوت فيه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشعوب و الأمم، فالإنسان خليفة في الأرض، وخليفة الأرض نفسها - ولسنا في حاجة إلى القول بأنه خليفة الله، لما نخشاه من مخالفة النص في هذا الشأن والوقوع من ثمة في مخالفات عقدية- وواجبه تعميرها عمارة استخلافية، لكن هذا التعمير الاستخلافي هو مما يحتاج إلى البيان؛ بيان أسسه ومقاصده، ونتائجه وغاياته. وقد تبين لنا أن الاستخلاف يتأسس على عنصرين رئيسين هما:

أما أولهما فهو عنصر الإيمان بما يندرج تحته من أصول الاعتقاد، وما يصاحبه من مقاصد، فأصول الاعتقاد تتكامل وتتضافر فيما بينها لتمنح للإنسان الطمأنينة اللازمة لينطلق في أرجاء الكون ليعبد ويعمـــر، وقد تبين لنا أن آفـــاق الكون حاضرة في التأسيس للإيمان.

أما ثانيهما فهو عنصر العمارة الذي يتجلى في تنمية مظاهر العمران، وقد تبين أن هذه المظاهر لا قوام لها ولا استمرار ما لم تكن بعيدة عن العبث، مجافية لكل أشكال التحير والفساد ، وفي المقابل تكون مستعصمة بالمقاصد الخمسة، وهو في حال خلوه من ذلك لم يكن له من العمران الحقيقي إلا صورته، ومن أشكاله ما نراه يتحقق عند الأمم غير المبالية بالإيمان.

والإنسان هو القائم على هذا الاستخلاف، ولما كان كذلك، كان لابد من محاولة الاقتراب منه أكثر، وبحث قضية بداية وجوده، وقد بينا استنادا إلى القرآن الكريم أنه خلق من البدء على سبيل الاستقلال من أول وهلة، ولا عبرة بقول من قال بأنه تطور عن كائنات دنيا، ولا عبرة بسعي من سعى إلى التوفيق بين القرآن الكريم وما شاع من نظريات لا دليل يسندها، وقد وضح لنا خاصة من خلال تميز الإنسان روحا وعقلا، من حيث أننا لا نجد أية بوادر أو بذور في الكائنات التي دونه، فضلا عن التفاوت والهوة التي تفصله عن غيره، وهي مما لا يمكن عبوره بحال من الأحوال، وانطلاقا من تفرده بخلقته، فهو متفرد في الغاية من وجوده وفي مصيره.

فهو كائن خلق خليفة، وآفاق الكون هي محل خلافته، والانسجام بينه وبين آفاق الكون أكبر من أن تطمس معالمه، سواء كان انسجاما من حيث قابلية الكون لأن يعرف، أو انسجاما تُمثل صلةُ المودة أبرز معالمه، فآفاق الكون مخلوقة مثله تماما وخاضعة لخالقها، وقد خلقها الله تعالى بتقدير وحسبان دقيقين، وهو كذلك، وفيها من الجمال ما يريح نفسه ويطمئنها، ثم هي فوق كل ذلك محكومة بسنن لا تنخرم إلا بإرادة الله تعالى، فثبات هذه السنن مما يساعده على معرفتها وتسخيرها، فالسنن التي تحكم آفاق الكون سنن مطردة، وهي مطيعة ومذللة لمن يفهمها ويسبر غورها، لكنها في المقابل لا تسلم قيادها لمن لا يكابد مشقة معرفتها. وهي بالإضافة إلى هذا سنن عامة تتجلى لجميع الناس على صفة واحدة لا تتبدل، كل ذلك من أجل تيسير تسخيرها.

وقد تبين لنا أن مسلك القرآن الكريم في هذا الشأن هو الدعوة إلى تسخير آفاق الكون، وليس يدعو إلى الصراع معها، والسيطرة عليها على المعنى المشحون بالتوحش والعدوانية. فالتسخير فيه معنى الانتفاع مع المحافظة على الشيء المنتفع به، على خلاف الصراع والسيطرة الذي يحمل معنى النهب.

والتسخير فيه إقتداء بمنهاج النبوة القائم على مراعاة حد الاعتدال، حتى في أثناء الوضوء من النهر أو البحر، مبالغة في تدريب النفس على الاعتدال، وعدم الإسراف، وهذا الانتفاع ينبغي أن يتبع بالشكر، مع ما ينضاف إليه من الاستغفار في حال الخطأ، لأن الشكر سبب في حصول البركة ودوام النعم وزيادتها.

ومن كل هذا يتبين لنا أن الوحدة بين الإنسان وآفاق الكون هي السمة البارزة، فالإنسان يعرف ربه عن طريق النظر فيها، ويرتقي في سلم الكمالات الروحية والمادية بالسير في دروبها، وإن قصر في التعرف إليها لم يحصل له هذا ولا ذاك.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التوصيات: بناء على ما سبق ؛ رأيت صياغة بعض التوصيات، ويمكن إجمالها فيما يلي:

❖ على كل من يحمل هم الأمة أن يساهم في معالجة الخلل الواضح في علاقة المسلمين بآفاق الكون ، وذلك باستنهاض الهمم للتعرف عليها وفق منهج القرآن الكريم، فليس صحيحا ما قد يسبق إلى الأذهان من أن المسلمين في وقتنا الحالي قد ساروا في هذا الطريق، وحتى وإن فعلوا فإنهم فعلوا ذلك على منهج غير منهجهم، وأسلوب غير أسلوبهم، وهو ما أثمر ثمارا مشوهة.

❖ إعادة النظر في المناهج التربوية التي فصلت حملة القرآن وعلوم الشريعة، عن سائر العلوم المسماة بالعلوم الكونية، لما تبين أن الوحدة بين العلوم هي سمة بارزة في الخطاب القرآني والهدي النبوي.

❖ التنبيه إلى أن الفصل بين العلوم الكونية والشرعية، فصل مصطنع، قصد من ورائه إبعاد المسلمين عن استكمال أسباب التمكين، وأن هذا الفصل مخالف لمقصود الشرع الذي جعل النظر في آفاق الكون مدخلا للإيمان بالله والتعرف إلى آياته تعالى وآلائه، وأن هذا الفصل لا يعدو كونه علمانية مبطنة متذرعة بالغيرة على الدين.

❖ على أهل الاختصاص الاجتهاد في التأسيس لنظرية إسلامية في العلم تكون مؤسسة على القرآن الكريم ، من شأنها أن توجه الباحثين وتهديهم إلى الصواب.

والحمد لله رب العالمين وصل اللهم وبارك على محمد خير الخلق أجمعين.

تمت

بعون الله تعالى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع

ابن تيميه، تقي الدين أحمد:

1- منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط1. 1406هـ .

2- العبودية. تحقيق:خالد عبد اللطيف العلمي، ط3، دار الكتاب العربي،بيروت: 1419هـ/1999م.

ابن الجوزي، عبد الرحمن:

3- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ط3 ، مؤسسة الرسالة:بيروت1407هـ/1987م.

4- العلل المتناهية. تحقيق: خليل الميس، ط1 ،دار الكتب العلمية، بيروت: 1403هـ

5- زاد المسير في علم التفسير. ط1، المكتب الإسلامي للطباعة و النشر، بيروت: 1384هـ/1964م.

ابن حجر، العسقلاني:

6- فتح الباري. دار المعرفة، بيروت.

ابن خلدون، عبد الرحمن:

7- المقدمة، دار الكتاب العربي، بيروت:1425هـ/2005م .

ابن رشد، أبو الوليد (الحفيد):

8- فلسفة ابن رشد. ط1 . دار الآفاق الجديدة ، بيروت: 1402هـ 1982م.

9- تهافت التهافت. ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: 1998م.

ابن عاشور، محمد الطاهر:

10- تفسير التحرير والتنوير . دار سحنون للنشر تونس.

11- تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر 1984 .

ابن عبد البر، أبو عمرو يوسف:

12- جامع بيان العلم وفضله. دار الكتب العلمية ، بيروت.

ابن العربي، أبو بكر:

13- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1418هـ/ 1997م.

ابن كثير، إسماعيل:

14- تفسير القرآن العظيم.ط1، دار الفيحاء، الرياض: 1414هـ/1994م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ابن منظور، جمال الدين محمد:

15- لسان العرب.ط4. دار صادر ، بيروت:2004م.

ابن نبي، مالك.

16- وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين . دار الفكر ، دمشق 1406هـ/1986م .

أبو حيان الأندلسي:

17- البحر المحيط .ط 2. دار الفكر ، بيروت: 1403هـ 1983م.

أبو داود:

18- السنن، ط1، دار ابن حزم، بيروت : 1419هـ /1998م.

أبو السعود، محمود بن محمد:

19- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

أبو القاسم ؛ حاج حمد:

20- العالمية الإسلامية الثانية . ط2 ، دار ابن حزم، بيروت : 1416هـ/1996م .

أحمد زكي بدوي:

21- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان: 1993م.

أحمد سليم سعيدان:

22- مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت: 1409هـ/1988م.

أحمد فؤاد باشا:

23- دراسات إسلامية في الفكر العلمي . ط1، دار الهداية 1418هـ/1997م، ص171.

أحمد فؤاد عبد الباقي:

24- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . بيروت ، دار الأندلس.

أحمد كنعان:

25- أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، ط1، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة:1411هـ/ 1990م.

أحمد محمد حسين الدغشي:

26- نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية.ط1. دار الفكر، دمشق: 1422هـ/2002م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إسلام الرفاعي عبد الحليم:

27- طبيعة العلم .ط1. عالم الكتب، القاهرة: 1422هـ/2002م.

الألباني ناصر الدين:

28- صحيح سنن ابن ماجة، ط3 ، المكتب الإسلامي، بيروت:1408هـ/1988م.

29- ضعيف سنن ابن ماجه، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت: 1408هـ/1988م.

الأمغي ، زاهر بن عواض:

30- مناهج الجدل في القرآن الكريم.

الألوسي، شهاب الدين:

31 - روح المعاني، ط4 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت : 1415هـ/1985م.

الآمدي، سيف الدين:

32- الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية ، بيروت.

الأنصاري، زكريا بن محمد بن زكريا أبو يحي

33 -الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ت: د/ مازن المبارك، ط1. دار الفكر المعاصر،بيروت:1411 م.

البخاري، محمد بن إسماعيل:

34- الجامع الصحيح، المكتبة العصرية ، بيروت: 1424هـ/2003م.

البرهاري، أبو الحسن:

35- شرح السنة، تحقيق: محمد سعيد سالم، ط1، القحطاني، دار ابن القيم، الدمام 1408هـ.

البقاعي ، برهان الدين:

36- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت: 1415هـ .

بكار الحاج سالم:

37- من سنن الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم، رسالة مخطوطة بكلية دار العلوم-جامعة القاهرة.

البهي الخولي:

38- آدم عليه السلام دار التراث: القاهرة.

البوطي، محمد سعيد رمضان:

39- منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، ط3، دار الفكر ، بيروت:1998م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بول ديفز:
40- الله والعقل والكون. ترجمة : د/سعد الدين خرفان و وائل بشير الأتاسي، ط 1، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ، دمشق: 2001م.
البيضاوي ، عبد الله بن عمر بن محمود الشيرازي:
41- أنوار التنزيل و أسرار التأويل، المكتبة التجارية، القاهرة.
بيعوفيتش، علي عزت:
42- الإسلام بين الشرق والغرب. مؤسسة بافاريا، ميونيخ، ألمانيا.
جان ماري بيلت:
43- عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة. ترجمة: السيد محمد عثمان. المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت: 1415هـ/1994م
البيهقي ،أبو بكر:
44- الأسماء والصفات، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ط2 ، بيروت، دار الكتاب العربي:1415هـ/ 1994م
التهانوي ، محمد علي الفاروقي:
45- كشاف اصطلاحات الفنون. تحقيق لطفي عبد البديع. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: 1977م.
الجرجاني، علي بن محمد بن علي:
46- التعريفات تحقيق:إبراهيم الأبياري.ط1.دار الكتاب العربي، بيروت :1405م.
الجمل، سليمان:
47- حاشية الجمل على الجلالين ، المكتبة التجارية ، القاهرة: 1352هـ/1933م.
جميل صليبا:
48- المعجم الفلسفي. الشركة العالمية للكتاب، بيروت: 1414هـ/ 1994م.
الجويني، أبو المعالي:
49- الشـــامل في أصول الدين ، تحقيق علي سامي النشار، فيصل بدير عون وسهير محمد مختار، منشأة المعارف، الإسكندرية:1969م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حامد عبد الماجد قويسي:

50- الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة:1413هـ/ 1993م.

الدريني ، فتحي:

51- دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر. ط1 ، دار قتيبة، بيروت: 1408هـ/1988م.

راجح عبد الحميد الكردي:

52- نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ط1 ، مكتبة المؤيد، الرياض: 1412هـ/1992م.

الرازي ، فخر الدين:

53- مفاتيح الغيب. ط 3، دار الفكر، بيروت: 1405هـ /1985م .

الرازي، محمد بن أبي بكر:

54- مختار الصحاح . دار الفكر، بيروت: 1401هـ /1981م.

الراغب الأصفهاني:

55- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، تحقيق: أسعد السحمراني، ط1، دار النفائس. بيروت: 1408هـ/1988م .

56- الذريعة إلى مكارم الشريعة.تحقيق:أبو اليزيد العجمي ط2، دار الوفاء، القاهرة 1408هـ / 1987م .

57- المفردات في غريب القرآن. ط1، دار المعرفة، بيروت:1418هـ/1998م.

روبرت م. أغروس و جورج ن. ستانسيو:

58- العلم في منظوره الجديد.ترجمة: كمال خلايلي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت:1409هـ/ 1989م.

الزمخشري، محمود بن عمر:

59- الكشاف عن حقائق عوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .ط3، بيروت دار الكتاب العربي : 1407هـ.

سام بفوت:

60- فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها للواقع. ط1، دار الطليعة ، بيروت: 1986م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السنوسي، محمد بن يوسف:

61- شرح أم البراهين في علم الكلام، تحقيق: مصطفى محمد الغماري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1989م.

سيد قطب:

62- في ظلال القرآن.ط11، دار الشروق، القاهرة: 1405هـ/1985م.

السيوطي ، جلال الدين :

63- بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة . دار المعرفة ، بيروت، د.ت .

الشاطبي إبراهيم بن موسى:

64- الموافقات في أصول الشريعة. ط3 ، دار المعرفة، بيروت:1417هـ/1997م

الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد:

65- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تحقيق: أبي مصعب محمد سعيد البدري.ط2، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت:1413هـ/ 1993م.

الطبري ،محمد بن جرير:

66- جامع البيان عن تفسير آي القرآن، بيروت ، دار الفكر :1405هـ.

طه عبد الرحمن:

67- سؤال الأخلاق. ط1. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء: 2000 م .

طه جابر العلواني:

68- التوحيد والتزكية والعمران، ط1، دار الهادي، بيروت: 1424هـ/ 2003م.

عادل نويهض:

69- معجم المفسرين ، ط1، مؤسسة نويهض الثقافية : 1403هـ 1983م.

عبد الباري محمد داود:

70- دراسات فلسفية وإسلامية في الآيات الكونية، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة: 1419هـ/ 1999م .

عبد الحميد أحمد أبو سليمان:

71- أزمة العقل المسلم.ط2. دار الهدى. عين مليلة: 1413هـ/1992م.

عبد الرحمان بدوي:

72- موسوعة الفلسفة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت:1984م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد الرحمان حبنكة:

73- الإسلام والبيئة . ط1 دار السلام ، القاهرة:1420هـ/2000م.

عبد الرحمان المطرودي:

74- الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، القاهرة:مكتبة وهبة:1410هـ/ 1990م .

عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني:

75- أبي آدم: قصة الخليقة بين الخيال الخامح والتأويل المرفوض، ط1. مكتبة وهبة، القاهرة: 1419هـ / 1999م.

عبد الصبور شاهين:

76- أبي آدم . مكتبة الشباب القاهرة: 1988م

عبد الكريم زيدان:

77- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ط3، مؤسسة الرسالة ، بيروت : 1417هـ/1996م.

عبد الكريم نوفان عبيدات:

78- الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، ط1، دار النفائس، عمان: 1420هـ/2000م.

عبد المجيد النجار:

79- الإيمان بالله وأثره في الحياة ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1997م.

80- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل . ط3 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا 1420هـ/ 2000م.

عبد المنعم محمد حسين:

81- العلم الطبيعي ومنهجه بين الرؤية الفلسفية والرؤية الإسلامية،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: 1990م.

عرجون، محمد الصادق:

82- القرآن العظيم؛ هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: 1386هـ/1966م.

العسكري، أبو هلال :

83- الفروق في اللغة، ط7 ، دار الآفاق الجديدة، بيروت:1411هـ/ 1991م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

علي عبد العظيم:

84- فلسفة المعرفة في القرآن الكريم، الهيئة العامة للمطابع الأميرية ، القاهرة: 1393هـ/1973م.

عماد الدين خليل:

85- مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، ط2،مؤسسة الرسالة،بيروت:1405هـ/1985م.

عمر رضا كحالة:

86- معجم المؤلفين، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1414هـ/1993م.

الغرناطي ، أحمد بن إبراهيم:

87- ملاك التأويل، تحقيق سعيد الفلاح. ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1403هـ/1983م.

الغزالي، أبو حامد:

88- تهافت الفلاسفة. تحقيق: سليمان دنيا ، ط4، دار المعارف، القاهرة، [دت].

89- إحياء علوم الدين، ط1، دار الثقافة، الجزائر:1411هـ.

فاروق أحمد دسوقي:

90- استخلاف الإنسان في الأرض، دار الدعوة، الإسكندرية.

91- الإسلام والعلم التجريبي. ط1. المكتب الإسلامي. بيروت 1407هـ 1987م .

92- الخلافة الإسلاميه : حقيقتها وأصولها الاعتقادية وحتمية عودتها . ط1 1418هـ - 1998م .

93- القضاء والقدر في الإسلام دار الاعتصام، القاهرة.

فاطمة إسماعيل محمد إسماعيل:

94- القرآن والنظر العقلي، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي : 1420هـ/2000م.

فؤاد زكريا:

95- التفكير العلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة 1996م.

فيليب فرانك:

96- فلسفة العلم: الصلة بين العلم والفلسفة. ترجمة: علي علي ناصف ط1 المؤسسة العربيه للدراسات والنشر، بيروت 1983م.

القاسمي ، محمد جمال الدين:

97- محاسن التأويل .ط1 دار إحياء الكتب العربية 1958/1377م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري:

98- الجامع لأحكام القرآن.ط2 دار الحديث، القاهرة: 1416هـ/1996م .

القسطنطيني ، مصطفى بن عبد الله الحنفي:

99- كشف الظنون: عن أسامي الكتب والفنون، 1360هـ/1941م.

كرين برينتون:

100- تشكيل العقل الحديث، ترجمة:شوقي،جلال الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة : 2004 م.

لؤي صافي:

101- إعمال العقل. ط1. بيروت، دار الفكر: 1419هـ/1998م.

ماجد عرسان الكيلاني:

102- فلسفة التربية الإسلامية. بيروت: مؤسسة الريان 14119هـ/1998م.

مجدي محمد محمد عاشور:

103- السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم؛ أصول وضوابط، رسالة دكتوراه مخطوطة ، كلية الآداب جامعة عين شمس.

محجوب عبيد طه:

104- عقائد فلسفية حلف صياغة القوانين الطبيعية، إشكالية التحيز؛ رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد. محور العلوم الطبيعية. تحرير: عبد الوهاب المسيري.ط3.المعهد العالمي للفكر الإسلامي: 1418هـ/1998م.

محمد أسد:

105- الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: عمر فروخ. بيروت، دار العلم للملايين:1984م.

محمد إقبال:

106- تجديد التفكير الديني في الإسلام.ترجمة: عباس محمود.دار آسيا.بيروت:1985م.

107- الأسرار والرموز، ترجمة: عبد الوهاب عزام.

محمد حسني موسى محمد الغزالي:

108- تأليه الديانات الوثنية للآيات الكونية وموقف الإسلام منها.ط1 الصواف للطباعة. الرقازيق: 1424هـ/2003م.

محمد راتب النابلسي:

109- آيات الله في الآفاق. ط1 دار المكتبي، دمشق: 1425هـ/2004م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمد رشيد رضا:

110- تفسير المنار ط3 ، دار المنار 1367 هـ.

محمد سميح عافية:

111- القرآن وعلوم الأرض . ط1 الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة :1414هـ/1994م.

محمد عز الدين توفيق:

112- دليل الأنبس بين القرآن والعلم الحديث. ط2، دار السلام: القاهرة 1418هـ/1998م.

محمود موسى حمدان:

113- العلم والعقل ومعرفة، فقه دلالتها واستعمالها في القرآن الكريم، ط1 ، مكتبة وهبة، القاهرة: 1423هـ/2002م.

مسلم بن الحجاج:

114- المسند الصحيح، ط1، دار الفكر ، بيروت : 1421هـ/2000م.

المسيري، عبد الوهاب:

115- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان. ط1. دار الفكر، بيروت:1423هـ/ 2002م.

منتصر محمود مجاهد:

116- أسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية. ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي. القاهرة: 1417هـ/1996م.

مهدي كلشي:

117- من العلم العلماني إلى العلم الديني، ترجمة :سرمد الطائي، ط1 دار الهادي، بيروت: 1424هـ/2003م.

المودودي، أبو الأعلى:

118- الحكومة الإسلامية. ترجمة: أحمد إدريس. ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر.

الموسوعة الفلسفية المختصرة:

119- ترجمة: جلال العشري وعبد الرشيد صادق، إشراف زكي نجيب محمود، دار القلم، بيروت .

الميداني ، عبد الرحمان حسن حبنكة:

120- ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة .ط1.دار القلم: دمشق1416هـ/1995م.

121- لا يصح أن يقال الإنسان خليفة عن الله في أرضه فهي مقولة باطلة .ط1، مؤسسة الريان.بيروت: 1416هـ/1996م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نبيل عبد السلام هارون:

122- البرهان العلمي للإسلام، ط1 ، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة 1415هـ/1995م.

نخبة من العلماء الأمريكيين:

123- الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة: الدمرداش عبد المجيد سرحان.دار القلم، بيروت.

النسفي، أبو البركات:

124- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الفكر.

النورسي، بديع الزمان سعيد:

125- الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط3 سوزلر للنشر، القاهرة :2000م/ 1421هـ.

126-صيقل الإسلام،الخطبة الشامية،ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط3،سوزلر للنشر،القاهرة،2002م.

127-المثنوي العربي النوري، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي. ط3. دار سوزلر للنشر.القاهرة: 2000م.

هاني رزق وخالص جلبي:

128- الإيمان والنقد العلمي .ط1، دار الفكر ، دمشق: 1421هـ/2000م.

وحيد الدين خان:

129- قضية البعث الإسلامي، ترجمة: محسن عثمان الندوي. ط1، دار الصحوة، القاهرة:1405هـ/ 1984م.

يمنى طريف الخولي:

130- فلسفة العلم من الحتمية إلى اللاحتمية، دار قباء، القاهرة : 2001م.

يوسف محمود محمد:

131- أسس اليقين بين الفكر الديني والفلسفي . ط1، دار الحكمة، الدوحة: 1414هـ/1993م.

الدوريات

1- الموافقات،المعهد الوطني العالي لأصول الدين،الجزائر، العدد3، ذو الحجة 1414هـ/جوان 1994م.

2- مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية- ماليزيا،العدد1، السنة1، يناير1997م/رمضان1417هـ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
البقرة	خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.	07	38
البقرة	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(21)الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.	22-21	78
البقرة	هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.	29	67
البقرة	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ.	30	48. 52. 60. 61. 68
البقرة	وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ.....قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.	33-31	02. 17. 25. 27. 118
البقرة	وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.	83	04
البقرة	فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ.	89	12
البقرة	وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ.	123	98
البقرة	الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.	146	04. 10
البقرة	وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ.	151	19

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البقرة	وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ.	155	210
البقرة	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ..... لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.	164	38، 78، 182
البقرة	فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.	209	17
البقرة	سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.	211	97
البقرة	وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ	231	20
البقرة	وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ.	251	19
البقرة	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ..... فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.	258	85
البقرة	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي.	260	38
البقرة	يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ.	269	18، 20
البقرة	وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ.	282	39
آل عمران	إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.	59	109، 114
آل عمران	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ.	81	18
آل عمران	قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ.	137	163
آل عمران	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ..... رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.	190-191	140، 28

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النساء	يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.	26	163، 164
النساء	وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا.	35	96
النساء	وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا.	111	18
النساء	وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ.	113	19
النساء	مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا.	147	207
النساء	إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ..... لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا.	163-165	24
النساء	لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا.	166	6
المائدة	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.	8	98
المائدة	وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ.	18	175
المائدة	فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ .....وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ.	31-33	112، 205

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المائدة	وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ..... إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ.	116	130
الأنعام	ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ..	01	98
الأنعام	قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ.	11	27
الأنعام	وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ(75)فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ..... وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ.	80-75	84، 149
الأنعام	أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ.	89	19
الأنعام	وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ..... انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.	99	27، 160، 188
الأنعام	وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.	115	210
الأنعام	إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ.	117	08
الأنعام	وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ.	121	23
الأنعام	وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ.	133	48، 59
الأنعام	وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ.	141	161، 201

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأنعام	قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ.	162، 163	85، 138
الأنعام	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ .....إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ.	165	49، 53
الأعراف	وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ.	10	54، 55، 183، 186
الأعراف	قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ.	32	200
الأعراف	وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.	56	96
الأعراف	وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ .....كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ.	58-57	86، 169، 188، 209
الأعراف	لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ.	59	76
الأعراف	وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ.	65	76
الأعراف	أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ .....فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.	69	49، 53، 64
الأعراف	﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ.	73	76
الأعراف	وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ..... فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ.	74	49، 53

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأعراف	وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ.	85	97
الأعراف	وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.	96	203، 210
الأعراف	أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ(97) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ(98) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ.	99-97	106
الأعراف	قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ..... فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ.	129	49، 58، 60، 72
الأعراف	وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ .....وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ.	142	50، 54
الأعراف	وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي	143	47
الأعراف	وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ.	148	124
الأعراف	وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي.	150	50، 55
الأعراف	وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ....أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ.	173-172	29
الأعراف	وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ....أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ.	179	28، 36، 38، 116
الأنفال	إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ	22	127

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأنفال	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ.	60	198
التوبة	إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ	28	94
التوبة	رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.	93	
يونس	ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ.	14	50، 53، 56، 64، 66
يونس	هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ.	22	167
يونس	إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.	24	105
يونس	إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ.	60	207
يونس	فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ.	73	50

يونس	قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ.	101	28، 77، 127
هود	وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ.	52	210
هود	فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ.	57	51، 59
هود	وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ.	61	54، 58، 101، 104
هود	وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ.	85	100
هود	قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.	88	94
يوسف	أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ.	40	134
يوسف	وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ.	53	131
يوسف	وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ.	58	04، 11
يوسف	قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.	96	08

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يوسف	وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ.	105	38
الرعد	اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ..... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.	4-2	80، 160، 185
الرعد	إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ.	11	93
الرعد	أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ.	17	198
الرعد	أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ.	19	07
إبراهيم	وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ.	07	209
إبراهيم	مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ.	18	43
إبراهيم	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ(32)وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ(33)وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ.	34 -32	151، 171، 180
الحجر	وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ.	16	160

الحجر	إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.	18	07
الحجر	وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ.	19	154
الحجر	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(28)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ.	29-28	109، 112، 113، 128
الحجر	وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ.	82	187
النحل	يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِي.	02	128
النحل	وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ(5)وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ.....وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(15)وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ(16)أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ(17)وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(18)	18-05	82، 122، 161، 172، 186، 190
النحل	إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.	40	32، 174
النحل	وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ.	66	189
النحل	وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ.	68	23
النحل	فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	74	07

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النحل	وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.	78	36، 126
النحل	أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.	79	182، 185
النحل	فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ.	114	207
النحل	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(120)شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	120 121	207
النحل	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ	125	20
الإسراء	وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا.	12	191
الإسراء	وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا	19	207
الإسراء	كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا.	20	199
الإسراء	أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ.	23	134
الإسراء	إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا.	27	201
الإسراء	وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا.	36	37
الإسراء	تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا.	44	150

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإسراء	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا.	70	46، 115،116
الإسراء	وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا.	85	129
الكهف	مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا.	51	89، 110، 114
الكهف	وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمْ الْعَذَابُ قُبُلًا.	55	163
الكهف	فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا.	74	130
الكهف	وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا(83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا.	84-83	197
الكهف	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا	110	95
الكهف	قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا(94) .....قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا(96)فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَـــرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا.	97-94	197
مريم	فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا.	11	23
مريم	يَا يَحْيَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا.	12	19
مريم	فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا.	59	51

طه	الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ.	55-53	108 109 183 188
الأنبياء	بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ.	05	85
الأنبياء	وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ.	08	124
الأنبياء	وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ.	16	157
الأنبياء	فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ.	79	19، 181، 195
الأنبياء	فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ.	94	95
الأنبياء	وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ(105)إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ.	106-105	105

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحج	يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ.	05	87، 168
الحج	إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ.	23	88، 190
الحج	وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.	36	180، 208
الحج	كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ.	37	180
الحج	يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ	74-73	83
المؤمنون	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ .....ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.	14-12	111، 129

المؤمنون	وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ(18)فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ.	19-18	189 ،80
المؤمنون	وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ.	21	189
المؤمنون	أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ.	69	12
المؤمنون			
المؤمنون	وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ.	78	36
المؤمنون	أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ	115	92
النور	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ	43	79
النور	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ .....يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.	55	51،55،59
الفرقان	وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا.	02	154 ،92
الفرقان	أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا.	44	116 ،37
الفرقان	وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48)لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا(49)وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا.	50- 48	81

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفرقان	وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنْ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا.	54	114
الفرقان	تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا(61)وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا.	62	191
الشعراء	أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي (131) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ(132) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (134) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (135).	135-128	104
الشعراء	﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنْ الْوَاعِظِينَ .	136	104
الشعراء	وَتَنْحِتُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ.	149	187
الشعراء	وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192)نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (193)عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنذِرِينَ(194).	194-192	39، 127
الشعراء	وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ.	214	131
النمل	أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ .....أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(64)	64–60	8،51،53 3، 193
النمل	وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ.	88	155
النمل	وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.	93	
القصص	وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ.	07	23

القصص	وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.	14	18
القصص	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ(71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ(72) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.	73-71	191
القصص	وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ.	75	
القصص	وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ.	80	
القصص	وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.	87	209
العنكبوت	أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(19) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(20).	21-19	89، 114، 147
العنكبوت	وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ.	43	07
العنكبوت	خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ.	44	148
الروم	يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ.	07	43
الروم	أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ .....فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ.	09	43، 101، 102، 104

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الروم	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ .... الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.	30	29
الروم	ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ.	41	203
لقمان	وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ.	12	19
لقمان	يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ(17).	17	03
لقمان	أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً.	20	97
لقمان	خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ.	49	187
السجدة	الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ.	07	155
السجدة	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ.	27	169، 189
الأحزاب	مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا.	38	164
الأحزاب	سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا.	62	164
الأحزاب	إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا.	72	120
سبأ	وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ(10) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.	11-10	190، 194
سبأ	وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ	12	195

	عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ.		
سبأ	لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ.	15	208
سبأ	لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15)فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ(16)ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ.	17-15	209
فاطر	وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ.	09	87، 156، 187
فاطر	وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.	12	208
فاطر	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ.	27	38،43، 79
فاطر	إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ.	28	7، 38، 43، 78
فاطر	هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا.	39	52، 53
فاطر	اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا.	43	164، 167

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يس	وَآيَةٌ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ(33) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ.	35-33	169،201 ، 208
يس	وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ(37)وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(38)وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ(39)لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ.	40-37	156، 174
يس	الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ	65	33
يس	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ(71) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ(72)وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ.	73-71	90، 183
الصافات	وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ(171)إِنَّهُمْ لَهُمْ الْمَنْصُورُونَ(172)وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمْ الْغَالِبُونَ(173)	171، 173	86
ص	إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ(18)وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ(19)وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ.	20-18	19، 194
ص	يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ.	26	47، 52، 54، 56، 63، 195
ص	قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنْ الْعَالِينَ.	75	117
الزمر	قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ	09	07

جمعية التراث للعلوم الإسلامية

الزمر	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ.	21	189
غافر	أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ.	21	102
غافر	لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	57	90
غافر	وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ.	60	175
غافر	اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا ... ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.	64	33
فصلت	ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ.	11	32، 150، 167
فصلت	وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ.	33	43
فصلت	وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ.	37	148
فصلت	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(39).	39	168
فصلت	سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.	53	26، 34
الشورى	تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ.	05	29

جمعية إحياء التراث لعلوم الإسلامية

الشورى	لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.	12	08
الشورى	وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ.	27	200
الشورى	وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ.	28	81
الشورى	إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ.	33	207
الشورى	وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ.	51	24
الزخرف	وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ(6)وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(7).	7-6	85
الزخرف	وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ.	11	90
الزخرف	وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ.	23	86
الزخرف	وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ.	32	180
الزخرف	وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ.	60	47
الجاثية	وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.	05	183
الجاثية	اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.	12	190
محمد	وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ.	06	04

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمد	فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ	19	11
محمد	وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ.	12	203
محمد	فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ.	19	11
محمد	أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا.	24	140
محمد	وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ.	30	12
الحجرات	وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(9)إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.	10-9	96
الحجرات	إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.	18	07
ق	أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ(6)وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(7)تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ(8)وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ(9)وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ(10) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ.	11-6	91، 161

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الذاريات	وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ(20) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ.	21-20	33
الذاريات	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي(56)مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ(57)إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ.	58-56	134
النجم	وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى.	07	26
النجم	وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى.	42	167
القمر	حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ.	05	19 ،18
القمر	وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ.	22	140
القمر	إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ.	49	155، 187
الرحمن	وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ. الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ.	05-04	135، 188
الرحمن	وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ(7)أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ(8)وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ.....فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.	13-07	100 ،99
الحديد	آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ.	07	59 ،52
الحديد	لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ.	25	198
المجادلة	يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ.	11	07
المجادلة	كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ	21	86

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المجادلة	أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ.	22	128
الممتحنة	فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ.	10	10
الصف	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ(2)كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ(3).	3-2	93
المنافقون	وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.	04	124
الملك	لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا.	02	95
الملك	الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ.	3	155
الملك	وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ.	10	37
الملك	هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ.	15	161، 183
الملك	قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ. قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ.	23	36،
نوح	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا(10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا(11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا.	12-10	210
نوح	وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا.	14	110
نوح	وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا.	17	109،152
الجن	وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا(15).	15	99

القيامة	وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ.	02	130
الإنسان	هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا.	01	110
النبأ	أَلَمْ نَجْعَلْ الْأَرْضَ مِهَادًا.	06	91
النبأ	وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا(14)لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا(15)وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا.	16-14	91
النبأ	يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَقَالَ صَوَابًا.	38	128
عبس	فَلْيَنْظُرْ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ(24)أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا(25)ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا(26)فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا(27)وَعِنَبًا وَقَضْبًا(28)وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا(29)وَحَدَائِقَ غُلْبًا(30)وَفَاكِهَةً وَأَبًّا(31)مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ.	32-24	200
التكوير	وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ.	23	26
الانفطار	يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ(6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ(7)فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ.	8-6	33، 98، 125
المطففين	تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ(24)	24	04
الغاشية	أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ(17)وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ(18)وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ(19)وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ.	20-17	77
الفجر	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ(6)إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ.....الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ(11)فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ(12)فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ.	13-6	105
الفجر	يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(27)ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً.	28-27	129
الشمس	وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا..... قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(9)وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا.	10-1	131، 132

التين	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.	04	33
العلق	اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1).	01	118، 122
البينة	وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ(5).	05	134، 140
قريش	فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ(3)الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ.	4 ،3	210

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث النبوية

*إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قبل خراسان فأتوها و لو حبواً . 58

*إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة. 09

*الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. 132

*أطلبوا العلم ولو في الصين. 09

*ألا أحدثكم بما حدثني الله في كتابه أن الله خلق. 30

*ألا وإنّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسدُ كلّه. 39

*إنّ أحدَكم يُجمَعُ خَلْقُهُ في بطن أُمّه أربعينَ يوماً. 128

*إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها . 56

*إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته. 157

*إن الله تعالى خلق آدم على صورته أو-على- صورة الرحمان. 73

*إن اللّهَ قال: من عادَى لِي وَلِيّاً فقد آذَنْتُه بالحرب. 40

*أنتم أعلم بأمر دنياكم. 09

*إنّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ غَضَبُهُ أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. 05

*خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد. 68

*-خمس من الفطرة. 30

*فإن كان لله يومئذ في الأرض خليفة جلد ظهرك و أخذ مالك فالزمه. 75

*فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ. 163

*"الْقُضَاةُ ثَلاَثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ. 05

*الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها. 20

*كل إنسان تلده أمه على الفطرة. 30

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

*لا حَسَدَ إلاّ في اثْنتين: رَجلٌ آتاهُ اللّهُ مالاً فسُلّطَ على هَلَكَتِهِ في الحقّ. **20**
*ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان. 56، 57
*مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسدِ. 124
*من سن في الإسلام سنة حسنة فعُمل بها بعده كتب له أجر من عمل بها. 161
*من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيه الروح، وليس بنافخ أبدا. 129
*والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من التراب. 111
*يا بني كعب بن لؤي! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب!. 131
*يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا. 131
*يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا. 128

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصطلحات

الآفاق 25- 26-27- 83-89-95-124-127-132-139-147- 148- 149-150-
151- 154 -157- 159 -162 -164-165-166-168-174-175-176-179-
193-203.

الإحسان ..... 100.

الإحيائية، حيوية المادة ..... 155.

الاحتمالية..... 173.

الاختراع..... 84-157.

الأسباب والمسببات..... 169-170-171-174-175.

الاستخلاف... 46 -47- 55-56-58-59-60 -61--119-144-145-147-177.

الاستعمار..... 58-59-60.

الإشهاد..... 31-32.

الأركيولوجية..... 195.

الإصلاح..... 54-93-94-95-96-97.

الاطراد..... 168-169-172- 173-174.

الأمانة..... 120-121- 122-138.

الانتخاب الطبيعي..... 202.

الإيجاب الذاتي..... 170.

البرهان..... 13-14-78.

البهيمية البشرية..... 113.

البنيوية..... 202.

التجربة..... 13- 14.

التحيز..... 176.

التذليل..... 180-182.

التسخي..... 122-134-135-150-161-174-175-176-179-177-
180-181-182-183-184-186-187-193-194-197-199-200-208.

التسوية..... 101-112-115-125.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التصور.....21.
التطور.....109-110-111.
التقدير.....84-92-93.
التمكين.....54-55-144-197.
التمهيد.....183.
التنبؤ.....173-174.
الجبرية.....174.
الحتمية ، الحتمية العلمية.....172-173-174.
الحكم الشرعي.....170.
الحكم العقلي.....170.
الحكم العادي.....170.
الحكمة.....16-17-18-19-20-21-125-174.
الخلافة 25-26-27-44-46-47-48-50-53-55-56-58-60-61-62-63-64
.....65-66-71-73-74-82-92-96-118-122-142-144-166.
الربط العادي.....170.
السلطان.....53-55-63-143.
السنة.....162-163-164-165-166--168-175.
السيادة.....52-53-55-74.
العادة.....169-170.
العدل.....94-97-98-99-100-184-198.
علم الأسماء.....26-27-71-113.
العلم الإلهي.....6-8-13.
العلم الإنساني.....6-8.
العلية.....172.
العمارة.....46-97-101-102-105-122-123-124-161-177.
العمران.....43-99-101-102-104-105-106-182.
العناية.....84.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الغائية..... -173-159-158-157.
الفرويدية.....202.
الفطرة.....202-201-85-81-74--33-32-31-30-29.
الفؤاد.....36.
القسط.....198-100-99-98.
القضاء والقدر.....93-92.
اللاحتمية.....173.
المجاهدة.....94.
المعرفة العامية.....10.
المعرفة الذوقية.....10.
المعرفة العلمية.....10.
المعرفة اللدنية.....40.
الملاحظة.....37-28.
الملك.....144-54.
الموضوعية.....175.
الميتافيزيقا.....204-15.
الميزان.....100.
الناظم الإيماني .....106-44.
الناظم المعرفي.....44.
النزعة الاختبارية.....15.
النفس.....34.
الهلوسة.....40.
الوحي.....114-71- 40-39 -25-24-23-22.
الوضعية المنطقية.....15.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعـــــلام

إبراهيم عليه السلام ..... 84-89-149-196.

إبراهيم(ولد النبي محمد ﷺ)..... 157.

ابن الأنباري..... 47.

ابن تيمية..... 138.

ابن جرير(الطبري)..... -64-67-70.

ابن الجوزي..... 20-70.

ابن حجر(العسقلاني)..... 56.

ابن رشد(الحفيد)..... 44-157-171.

ابن سيده..... 63.

ابن شهاب..... 29.

ابن عاشور، محمد الطاهر..... 32-71.

ابن عباس..... 4-25-30-48-65-66- 67-70-91.

ابن عبد البر، أبو عمرو يوسف..... 09.

ابن عطية..... 116.

ابن كثير..... 32-51-52-69-80-81-164.

ابن ماجة..... 57.

ابن مسعود..... 48-64-65-67-70-128.

أبو إسحاق النيسابوري) المفسر..... 120.

أبو الأعلى المودودي..... 72.

أبو حامد الغزالي..... 22-23-169-170.

أبو حيان الأندلسي..... 135.

أبو الضحى..... 78.

أبو القاسم حاج حمد..... 113.

أبوهريرة..... 29-30-131.

أحمد بن حنبل..... 30-56.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أحمد كنعان.....165.
آدم عليه السلام..... 25- 26-27-29 -30-31-55-62-63-64-65-66- 67-
68-69-70-72-109-110-111-112-113.
أرسطو.....150.
الإسكندر المقدوني.....197.
الأصفهاني.....47-72- 94-134-137-138.
أفلاطون.....150.
الآلوسي .....25-48-49-50-51-63-72-87-101-116-121-125-135.
الأوزاعي.....56.
البخاري، أحمد بن إسماعيل .....128-157.
البربهاري.....156.
البقاعي، برهان الدين.....68.
البهي الخولي.....72.
البيهقي، أبو بكر.....69.
البيضاوي.....135.
ثوبان.....58.
جبريل(الملك).....127.
الجرجاني.....3-6-16-130.
جرير(الشاعر).....16.
الجشمي، الحاكم.....32.
الجمل، سليمان.....137.
جميل صليبا.....17.
جورج ستانسيو.....13.
الحاكم، النيسابوري (المحدث).....58.
حذيفة بن اليمان.....57.
الحسن، البصري.....4-64-66.
الحكيم الترمذي.....25.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خالد البشكري.....56.
داوود (عليه السلام).....55-181-194-195-196.
الدسوقي، فاروق أحمد.....72-121- 142.
ذو القرنين.....197.
الرازي، فخر الدين.....36-156.
رشيد رضا.....66.
روبرت أغروس.....13.
روجر بيكون.....13.
زاهر بن عواض الألمعي.....88.
الزجاج.....47-48-120.
الزمخشري.....31-137.
الزهري، أحمد بن سليمان.....12.
زيد بن أسلم.....101.
سليمان(عليه السلام).....181-194-195-196.
السنوسي، محمد بن يوسف.....170.
سيد قطب.....71.
سيبويه.....63.
صالح عليه السلام.....76-104.
عبد الرزاق(المحدث).....57.
عبد الصبور شاهين.....111-112-113.
عبد الكريم زيدان.....165.
عبد المجيد النجار.....72-116-142.
عطاء.....78.
علي، بن أبي طالب.....9.
عياض بن حماد.....30.
عيسى، عليه الصلاة والسلام.....196.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قابيل.....203.
القاري، الملا علي الحنفي.....137.
القاسمي، جمال الدين.....32.
القرطبي... 4-26-29-30-31-48-52- 70-78-87-91-116-117-125-129-164.
القزويني، زكريا.....28.
كعب القرظي.....31.
الكيا الهراسي.....101.
الكيلاني، ماجد عرسان.....139.
لابلاس.....153.
مالك بن أنس.....31.
مالك بن نبي.....123.
مجاهد.....99.
محمد إقبال.....73-110-142-144.
محمد عبده.....70.
المروزي، محمد بن نصر.....30.
مسلم بن الحجاج .....131.
معاذ بن جبل.....5.
معاوية بن سلام.....56.
موسى عليه الصلاة والسلام.....24-54-55-196.
الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة.....67-136.
نصر بن عاصم .....57.
النظر بن شميل.....51.
نوح عليه الصلاة والسلام.....91-196-210.
نيتشه، فريدريك.....202.
نيوتن.....153.
هابيل.....203.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هارون عليه الصلاة والسلام.....55.54.
هود عليه الصلاة والسلام.....210-76.
هيوم، دفيد.....172.
وحيد الدين خان.....10.
يوسف عليه الصلاة والسلام.....197.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية